قصة الإسكندر المقدوني في الأدب الفارسي

أ.د. شرين عبد النعيم

المكتب العربي للمعارف

قصة الاسكندر المقدوني في الأدب الفارسي

دراسة نقدية مقارنة

تأليف

أ.د شيرين عبد النعيم محمد حسنين

أستاذ اللغة والأدب الفارسي ووكيل الكلية للدراسات العليا

سابقا

قسم اللغات الشرقية وآدابها كلية الآداب – جامعة عين شمس

الناشر

المكتب العربي للمعارف

عنوان الكتاب : قصة الاسكندر في الأدب الفارسي
اسم المؤلف : دكتورة/ شيرين عبد النعيم حسنين
تصميم الغلاف : محمد حمدي

الناشر
المكتب العربي للمعارف
26 شارع حسين خضر من شارع عبد العزيز فهمي
ميدان هليوبوليس – مصر الجديدة – القاهرة
تليفون/ فاكس: 26423110-01283322273
بريد إلكتروني : Malghaly@yahoo.com

الطبعة الأولى يناير 2014

رقم الإيداع : 2014/2546
الترقيم الدولي : I.S.B.N. 978-977-276-721-2

قصة الاسكندر المقدوني في الأدب الفارسي

دراسة نقدية مقارنة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن حب القصص صفة مشتركة بين الشعوب، فالناس جميعا يحبون ترديد القصص ورواياتها، وبخاصة إذا كانت هذه القصص تتعلق بالبطولة، كقصة الاسكندر التي هي موضوع بحثنا، فقد حظيت هذه القصة باهتمام الآداب العالمية المختلفة، لبطولة الاسكندر الحربية الفائقة، فقد بدأ غزوه للعالم، وهو في ريعان الشباب، لم يتجاوز العشرين من عمره، واستطاع في مدة اثنى عشر عاما أن يسيطر على بلاد كثيرة في أنحاء العالم المختلفة.

وقد عرف الفرس بحبهم للقصص إلى درجة الولع، كما قال ابن النديم في كتابه الفهرست، وقد دفعهم هذا الحب إلى إعادة رواية أحداث القصة الواحدة مرات ومرات في مختلف العصور، دون أن تفقد القصة جاذبيتها ودون أن يفتر اهتمام الناس بها.

وقصة الاسكندر من القصص التي حظيت باهتمام الفرس على مختلف العصور، وبخاصة بعد أن صالح الفرس الاسكندر، وحاولوا أن يثبتوا أنه إيراني الأصل، وأنه ذو القرنين الذي ذكر في القرآن الكريم في سورة الكهف كما سنوضح فيما بعد – ولذلك احتفظت القصة بأهميتها وجاذبيتها، ووجدت الاهتمام بها في العصور الإسلامية المتعاقبة.

وواضح مما سبق ذكره أن بحثي هذا سيشمل دراسة الأعمال التي تناولت قصة الاسكندر في الأدب الفارسي بعد الإسلام، وأهم هذه الأعمال حسب ترتيب دراستها هي:

أولاً: قصة الاسكندر كما صورها الفردوسي في منظومته الشاهنامه.

ثانيًا: اسكندرنامه القصة النثرية المجهولة المؤلف، المؤلفة في بداية القرن السادس الهجري.

ثالثًا: منظومة اسكندرنامه للشاعر نظامي الكَنجوى.

رابعًا: منظومة آئينه سكندري للشاعر أمير خسرواله هلوى.

خامسًا: منظومة خردنامه اسكندى للشاعر عبد الرحمن الجامى.

سادسًا: قصة اسكندرنامه لمنوجهر خان حكيم.

وسوف أتناول هذه الأعمال التي سبقت الإشارة إليها بالدراسة والتحليل والنقد، مبينة الظروف التي أثرت على صاحب كل عمل من هذه الأعمال عند انشائه للقصة، وأبرز ملامح شخصية الاسكندر في قصته، ثم أقوم بعمل تقويم لها.

كما أنني سوف أبتعد عن تحقيق كل حادثة، أو مناقشة كل واقعة من الناحية التاريخية إلا إذا لزم الأمر، ذلك لأن الشعراء والكتاب بعد أن نسبوا الاسكندر إلى ذي القرنين، حاولها تجسيم بطولته، مما جعل الجانب الأسطوري يغلب على أكثر أحداث القصة دون تقيد بزمان أو مكان، لأنهم كانوا يرون أنهم يروون قصة، ولا يكتبون تاريخا، ويؤكد هذا ما صرح به الشاعر الكبير نظامي الكَنجوى عند نظمه لمنظومته اسكندرنامه، التي تعد أعظم عمل تناول الاسكندر في الأدب الفارسي، اذ يقول: "سلكت طريق الصدق مبتعدا عن الكذب في هذه القصة ولو أنك إذا أردت أن تكتب حقائق صحيحة، فلا ينبغي نظمها، لأنني لو لم أنظمها، لأخرجتها في أبيات معدودة"[(1)].

ثم قمت في نهاية البحث بعمل خاتمة، سجلت فيها أهم النتائج التي استنبطتها من خلال دراستي لهذه الأعمال، لاهميتها بالنسبة للباحث والدارس لقصة الاسكندر في الأدب الفارسي.

وأخيرا أرجو الله أن أكون قد وفقت من خلال هذا البحث، تقديم دراسة وافية عن شخصية الاسكندر المقدوني كما صورها الأدب الفارسي.

مدينة الشيخ زايد: 2012/4/23.

([1]) نظامي كَنجوى: شرفنامه، تصحيح وحيد ستكَردى، طهران 1316ش، ص 69، 70.

در آن برده كزراستى يافتم		سخن را سر زلف برتافتم
وكَر راست خواهى سخنهاى راست		نشايد در آرايش نظم خواست
كَر آرايش نظم ازاوكم كنم		بكم مايه بيتش فراخم كنم

الباب الأول

الاسكندر المقدونى

أولاً: الصراع بين الفرس والاغريق

قبل الحديث عن الاسكندر وفتوحاته وبخاصة فتحه ايـــران، ينبغـــي أن نشير إلى أن الصراع بين الفرس والإغريق لم ينشأ بظهور الاسكندر، بـــل أن جذوره تمتد إلى ما قبل وجوده، فقد كانت أطماع كل من البلـــدين تتجـــه إلـــى السيطرة على مدن حوض البحر الأبيض المتوسط. ثم اشتد هذا الصــــراع بعـــد قيام الدولة الأكمينية (الهخمانشية) التى كانت في ذلـــك الوقـــت أكبـــر وأقـــوى إمبراطورية في العالم، بينما كانت مدن بلاد الإغريق في صراع وتنافس، ممـــا دفع بعض الإغريق إلى أن يهربوا إلى إيران، بل أن بعض الجنود المرتزقة من الإغريق كان يحاربون في صفوف الجيش الفارسي وفي المعارك التـــي قامـــت بين الفرس والإغريق[2].

وكان أول عمل قام به الملك قورش (559- 529ق.م) مؤسس الدولـــة الأكمينية بعد أن استتب له الأمر في إيران، هو القيام بعـــدة حمـــلات توســـعية أخضع بها ليديا واستولى على عاصمتها سرديس عام 549ق.م، ثم استولى على مستعمرات اليونان في آسيا الصغرى عام 545ق.م[3].

وبعد موت قورش تولى العرش ابنه قمبيز (529- 521ق.م) فسار إلى أفريقيا للسيطرة على مصر بهدف تأمين سيطرة الفرس على مركـــز الصـــراع وهو حوض البحر الأبيض المتوسط، وذلك لأن حركة استيطان المدن الإغريقية حول منافذ وسواحل هذا البحر، كانت أكبر خطر يهدد الإمبراطورية الفارســـية، فلما سمع ملك مصر بقدوم قمبيز، أرسل إلى مستعمرات اليونان في جزر البحر الأبيض المتوسط، يطلب العون والمساعدة منها، لأن مستعمرات اليونـــان فـــي آسيا الصغرى وفينيقية قد أصبحت تحت سيطرة الفرس، لكن هذا الملـــك مـــات

---

(2) حسن بيرينا- عباس اقبال أشيتانى: تاريخ إيران از آغازتا انقراض قاجاريـــه بكوشـــش دكتر محمد دبير سياقي، تهـــران، ص 64- وســـيد الناصـــري: الإغريـــق تـــاريخهم وحضارتهم، الطبعة الثانية، القاهرة1977، ص232.

(3) حسن بيرينا – عباس إقبال: المرجع السابق، ص 66.

قبل قدوم حملة الفرس، مما ساعد الفرس على دخول مصر. ومن ثم فإن حملة قمبيز على مصر، لم تكن سوى الخطوة الأولى في المعركة الكبيرة ضد المدن الإغريقية من أجل السيطرة على البحر الأبيض المتوسط[4].

وبعد موت قمبيز تولى دار الأول عرض إيران (521- 486 ق.م) فعبر مضيق البسفور عام 515 ق.م، واستولى على إقليم تراكيا بمساعدة اليونانيين التابعين لإيران في آسيا الصغرى، ثم واصل زحفه حتى وصل إلى مقدونيا، وسيطر عليها، فصارت تابعة لإيران[5].

وفي عام 494 ق.م قام أهالي مدينة أيونيا بثورة على حكامهم الإغريق الموالين للفرس، بسبب فداحة الضرائب التي كانوا يدفعونها، وكانت هذه الثورة بتحريض أثينا وبمساعدتها، وقد نجح دارا الأول في إحباطها، بعد أن تكلف الكثير[6].

ولم ينس دارا ما فعله الأثيثيون فأراد معاقبتهم عام 492 ق.م عن طريق إرسال حملة، ولكن هياج البحر وقيام العواصف أعاقت استمرار الحملة، فعادت من حيث أتت.

وفي عام 490 ق.م وجه دارا حملته الأولى على اليونان، ونجح اثنان من قواده في إنزال الجنود في سهل الماراثون الذي يبعد ستة وعشرين ميلا عن أثينا، ثم أبحرت القوات متجهة إلى أثينا، فلما سمع الأثينيين بوصول الفرس تحالفوا مع الإسبرطيين للدفاع عن بلاد اليونان، وكان الملك دارا قد أرسل رسولين من قبله لهاتين المدينتين، فقاما بقتلهما خلافا لما هو متعارف بين الدول.

ثم تقابل الجيشان الفارسي والأثيني، فقاتل الأثينيون بشراسة وأنزلوا خسائر فادحة بالجيش الفارسي، وكان الاسطول الفارسي يقف متأهبا بالقرب من

---

(4) د. سيد الناصري: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص 233.

(5) حسن بيرينا وعباس إقبال: تاريخ إيران، ص 85- 87.

(6) د. سيد الناصري: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص 239.

الشواطئ الأثينية، لكنه لم يوفق في اقتحام أثينا لسرعة انتقال القوات الأثينية من سهل المارثون إلى العاصمة وتحصينها(7).

أما الحملة الثانية على بلاد اليونان فكانت في عام 480 ق.م بقيادة خشايار شاه ابن دارا، وشملت جيشا واسطولا جمع من كافة الأجزاء التي تتكون منها الإمبراطورية الفارسية، بما في ذلك قوات من إغريق أيونيا الموالين للفرس. وكان النصر فيها حليف الفرس، فاحتل الفرس مضيق ثرموبيلاي، وتقدم خشايارشاه وجيوشه إلى الجنوب محاولين احتلال دلفى ونهب خزائن معبد الإله أبوللون، ولكن الكهنة تصدوا لهم، وساعدهم على ذلك هبوب عواصف شديدة مما جعل الفرس يولون الأدبار. كما استطاع الأسطول الفارسي دخول أثينا وإحراقها. لكن قائد الأسطول الأثينى استطاع بخدعة حربية أن يدخل الجيش الفارسي في كمين أعده له، ويحقق نصرا كاملا في عام 480 ق.م، وكان القائد الفارسي يرقب الحملة من ربوة عالية، فلما عرف نتائجها، قرر العودة فورا إلى إيران تاركا نائبه ليشرف على الحملة نيابة عنه.

بعد ذلك انسحب القائد الفارسي بجيشه شمالا، فلاحقته القوات الإغريقية، وأنزلت به هزيمة ساحقة في عام 479 ق.م، وقتل فيها قائد الجيش الفارسي نائب خشايارشاه، وكانت هذه الحملة هي الحملة الثانية والأخير للفرس ضد اليونان(8).

وفي عام 337 ق.م قام فيليب المقدوني والد الأسكندر بإعداد حملة ردا على حملة الفرس على اليونان، للانتقام منهم بعد أن دنسوا شرف المعابد المقدسة، وحتى لا يدفع لهم الجزية التي فرضت عليه من قبلهم، ولكن فيليب اغتيل قبل أن ينفذ ما عزم عليه، ويقال أن من بين أسباب اغتياله أن الفرس هم الذين دبروا مؤامرة قتله، لإعاقة مشروع الحملة ضد بلادهم(9).

---

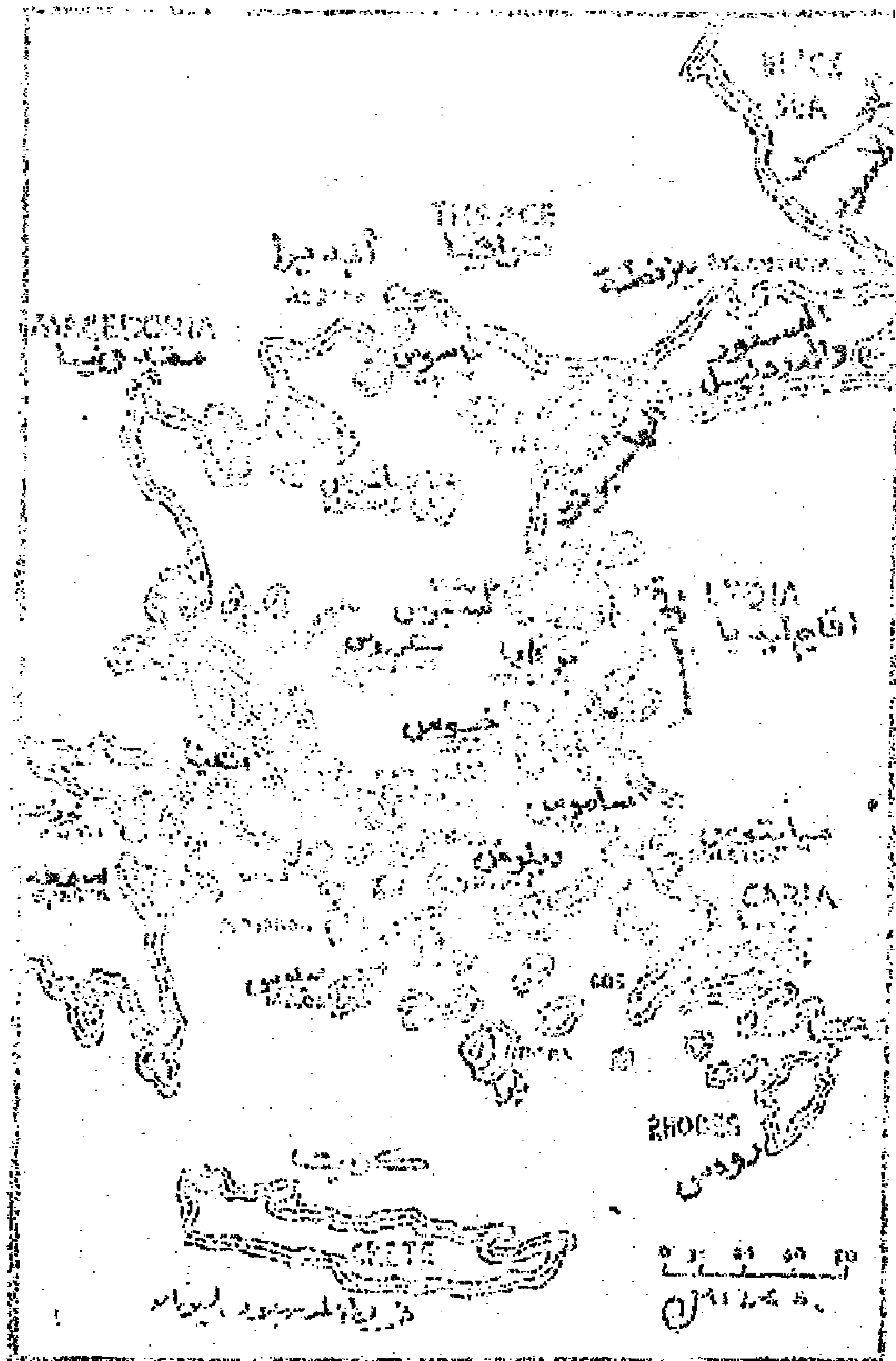
(7) د. سيد الناصري: المرجع السابق، ص 239- 240- حسن بيرنيا وعباس إقبال: تاريخ إيران، ص 89- 91.

(8) د. سيد الناصري: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص 242- 246-حسن بيرينا، عباس إقبال: تاريخ إيران، ص 95- 96.

J.B Bury: History of Greece, London 1900, p: 271- 295.

(9) بيكو لو سطايا وياكوبوسكي وبطرو شفسكي وبلنيتسكي واستر ويوا: تاريخ إيران، از دوران باستان تاپايان سده هجلوهم ميلادي، ترجمة كريم كشاورز ماتهوان 1354، ص

خريطة

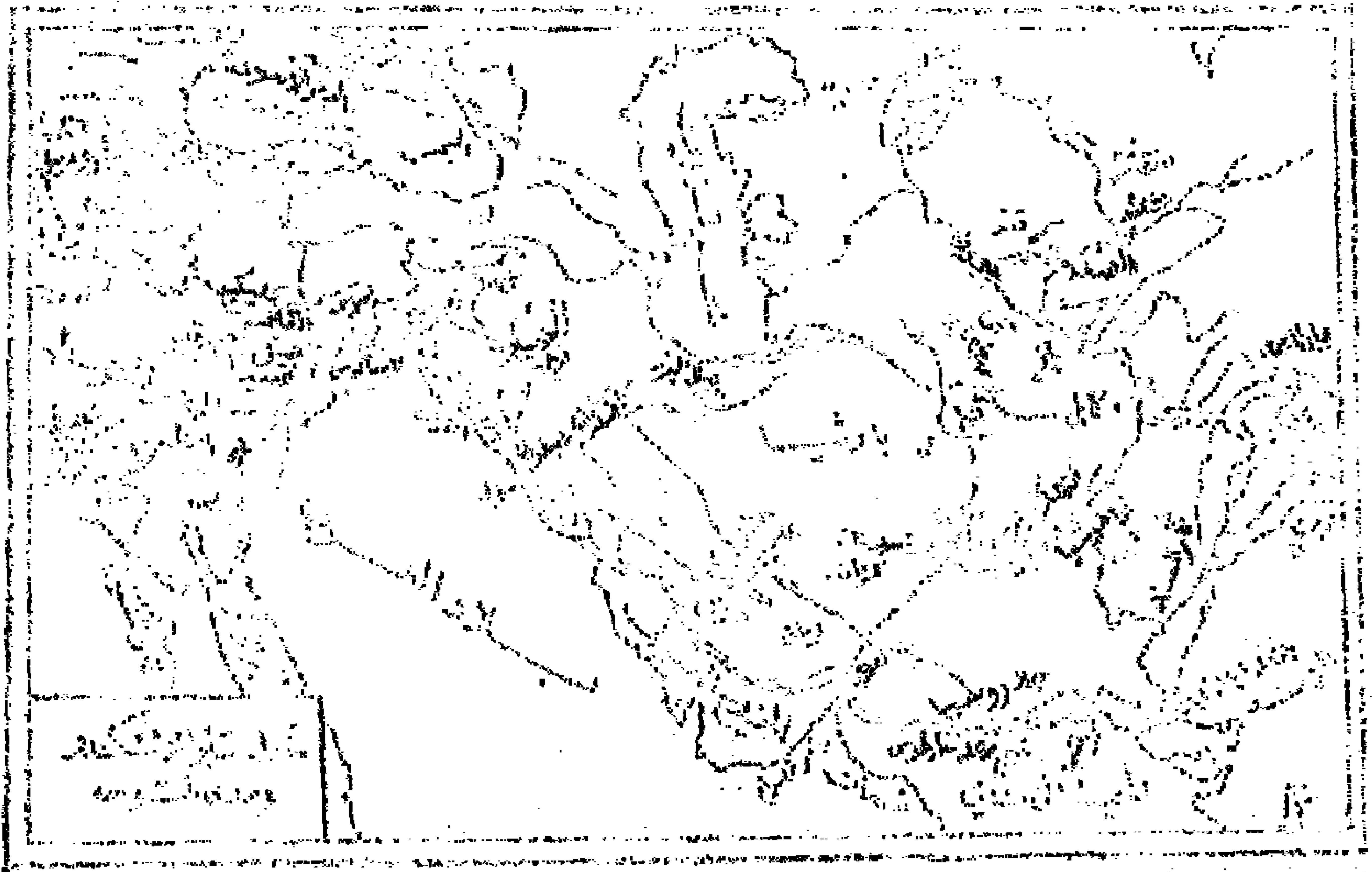


نقلت هذه الخريطة عن كتاب الاغريق تاريخهم وحضارتهم

تأليف د. سيد الناصري.

39- د. سيد الناصري: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص 501- 502، زين العابدين مترجم الملك: آئينه سكندري، جلد أول 1326هـ، ص 376.

خريطة



نقلت هذه الخريطة عن (الاسكندر الأكبر) قصة حياة أسطورة .

تأليف : ثيرادير راتيجمان

ترجمة : محمد كامل كالسي

ثانيًا: الأسكندر المقدوني وفتوحاته

أ- الأسكندر المقدوني:

هو الأسكندر بن فيليب الثاني المقودني، لقب بالأسكندر الكبير أو الأكبر. أمه يونانيه الأصل وتسمى (أولمبياس) (10). ولد عام 356 ق.م ولما بلغ الثانية عشرة من عمره، بدأ أبوه اعداده للملك، فعلمه الفروسية، واستدعى الفيلسوف ارسطاطليس (أرسطو) إلى القصر المقدوني ليشرف على تربيته، فعلمه أصول التفكير الواقعي والعقلاني والنظرة الموضوعية إلى الأمور، كما علمه العلوم البلاغية وأصول النحو والفلسفة والموسيقى والطبيعة والمساحة. وإلى أرسطو يرجع الفضل في تهذيب الأسكندر وصقل شخصيته لأنه كان ملازما له، بينما كان أبوه فيليب مشغولا عنه في معاركه(11).

وقد تزوج الأسكندر مرتين، الأولى من فتاة من منطقة شمال آسيا وتسمى (روكسانه) والثانية روشنك ابنة الملك دارا.

ولما مات أبوه فيليب، تولى هو عرش اليونان ولم يتجاوز العشرين من عمره وذلك عام 235 ق.م. فقضى على منافسيه على العرش، وأعد جيوشه لغزو العالم(12).

وقد عاش حتى الثالثة والثلاثين من عمره، وتوفى عام 323 ق.م.

ب- فتوحاته:

كان الأسكندر قد تولى عرش اليونان بعد أن استطاع أبوه فيليب أن يدخل مدن اليونان في حوزة مقدونيا، فوحد الأسكندر الدولة تحت قيادته.

---

(10) حسن بيرينا: أسكندر، تهران 1344، ص 1736، د. سيد الناصري: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص 544. دهخدا: لغت نامه: 2459.

(11) John Pentuand Mohaffy: The Story of Notions, London p 4-11.

(12) دهخدا: لغت نامه، تهران 1331 وشمسى، ص 2371. بيكولوسكايا وآخرون، تاريخ إيران، ترجمة كريم كشاورز، ص 39.

وصارت دولة قوية، وفي نفس الوقت كان النزاع بين أفراد البيت الأكميني حول ولاية العرش قد أفسد الأحوال في إيران، فصارت الأمير فيها تسير من سيئ إلى أسوأ إى أن وصل الأمر إلى دارا الثالث (336– 330 ق.م) الذي كان ملكا ضعيفا مسلوب السلطة.

ولما سمع دارا الثالث بجلوس الأسكندر على العرش، أرسل إليه رسالة يعزيه في وفاة أبيه، ويطلب منه الخراج الذي كانت مقدونيا تدفعه لإيران، وهو عبارة عن زنة بيضة من الذهب عن كل يوم. فرد عليه الأسكندر برسالة يقول فيها: "إن الدجاجة التي كانت تبيض البيض ماتت، فانصرف عن هذا الخراج[13]. "فأدت دارا أن الأسكندر ينوى محاربته، فأعد جيشا كبيرا من الفرس، واستأجر جنودا مرتزقة من اليونان، وجعلهم تحت قيادة أحد القواد اليونانيين الموالين له، بحيث بلغ عددهم خمسين ألف مقاتل[14].

وفي نفس الوقت كان الأسكندر أيضا ينوي الاتجاه شرقا للحد من تطاول الفرس، وتدخلهم في شئون اليونان، وللانتقام مما فعله الملك خشايارشاه في اليونان. فعبر مضيق الدردنيل عام 334 ق.م مصطحبا جيشا يزيد عدده عن اثنى عشر ألفا من المقدونيين واثنى عشر ألفا من الإغريق والمرتزقة، كما اصطحب معه مجموعة من العلماء والباحثين، ليرصدوا مصادر الطبيعة في البلاد المفتوحة[15].

وكان أول التحام بين جيش الأسكندر والجيش الفارسي عند نهر جرانيقوس، وانتهت المعركة بهزيمة الفرس وهروب دارا الثالث، وأسر الأسكندر ألفين من المرتزقة الإغريق، وأرسلهم للعمل في حقول مقدونيا مدى الحياة عقابا لهم، لإشتراكهم في القتال مع جيوش معادية له[16].

([13]) بناكتي: تاريخ بناكتي، بكوشش جعفر شعار، تهران 1348، ص 43.
([14]) دهخدا: لغت نامه، ص 2375.
([15]) د. سيد الناصري: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص 514– 515.
([16]) فتوحات أسكندر مشهور بذو القرنين، مخطوطه، كتبت عام 1228هـ، 1813م، موجودة بجامعة القاهرة تحت رقم 721 ف.و.و. تارن "الأسكندر الأكبر" ترجمة زكي على ومراجعة د. محمد سليم سالم، طبع القاهرة 1963م، ص 42.

بعد ذلك تقدم الأسكندر إلى أنقرة، فدخلها ومنها اتجه جنوبا فدخل كيليكيه وسيطر على بواباتها الشهيرة، ثم اتجه جنوبا صوب سورية، فسمع بوجود دارا في مدينة سوخى[17] بسوريا، فسارع الأسكندر إليه، وإلتقى الجيشان في مكان يسمى (اسوس) عام 333 ق.م، وانتهت المعركة بهزيمة دارا الثالث وفراره، والقضاء على جيشه، وأسر الأسكندر لأم دارا وزوجته وابنته وأخته[18].

وبعد هذه المعركة أرسل دارا يعرض الصلح على الأسكندر بشروط مجزية وهي:

1- أن يدفع له غرامة حرب كبيرة تقدر حاليا باثنى عشرة ألف جنيه.

2- أن يتزوج الأسكندر ابنته.

3- أن يتنازل للأسكندر عن ممتلكاته الواقعة غربي دجلة والفرات حتى البحر الأبيض المتوسط.

هذا مقابل أن يرد الأسكندر إليه وزوجته وباقي أسرته، لكن الأسكندر رفض، وأعلن أن يبغى مملكة فارس ذاتها وليس ممتلكاتها[19].

وكان لإنتصار الأسكندر في هذه المعركة صدى واسع، فأعلنت جبيل وصيدا بلبنان المبايعة للأسكندر وكذلك فعلت معظم مدن لبنان ما عدا صور، حيث قاومت بشراسة جنود الأسكندر لمدة سبعة شهور، لكنه في النهاية تمكن من تدميرها وهدم جزء من سورها. وردا على قتل أهل صور للأسرى

---

(17) سوخى: هي إحدى أعمال لواء الإسكندرية في سهل بحيرة أنطاكية.

(18) مخططة فتوحات أسكندر مشهور بذو القرنين و.وتارن: الأسكندر الأكبر ترجمة زكي على، ص55- 61.

Bury: History of Greece, p: 755- 762.

(19) زين العابدين مترجم الملك: آئينه سكندري، جلد أول، 381- 383تارن، الأسكندر الأكبر ترجمة زكي، ص 77-78، حسن بيرنيا وعباس اقبال: المرجع السابق، تاريخ إيران، ص 113. د. سيد الناصري: المرجع السابق، ص 517- 518.

المقدونيين، أمر الأسكندر بقتل أهلهما والتنكيل بهم، وبيعت النساء والأطفال في أسواق الرقيق[20].

وفي عام 332 ق.م اتجه جيش الأسكندر جنوبا إلى مدينة غزة، فوجد أن الحامية الفارسية بها قد بتحصينها أملا في الصمود حتى يسترد الملك دارا الثالث قواته، ويعود مرة أخرى لمواجهة الأسكندر. ولكن بعد معركة شرسة وعنيفة نجح جيش الأسكندر في اقتحام المدينة، وتدفق الجنود ينهبون المدينة ويفتكون بأهلهما، وبيعت النساء والأطفال، ولقى ما لا يقل عن عشرة آلاف من الفرس والعرب مصرعهم، واستولى الأسكندر وجنوده على كميات كبيرة من البخور والعطور العربية التي اشتهرت بها هذه المدينة.

ثم اتجه الأسكندر بعد ذلك إلى مصر، فلم يجد مقاومة من المصريين بل انهم استسلموا له، وذلك لأن الأسكندر كان قد أشاع مقدما أنه جاء ليحرر مصر من عبودية الفرس، فرحب المصريون بقدومه.

ثم سار الأسكندر بعد أن دخل الغرما (بوابة مصر الشرقية) حتى النيل وعبره من الشرق إلى الغرب في صحبة أسطوله الذي كان قد لحق به ودخل منف (ممفيس) وسط حفاوة كهنتها وشعبها البالغة. ثم زار معبد بتاح، وقدم القرابين إلى عجل أبيس خشوعا له، مما جعل المصريين يقبلونه فرعونا عليهم.

ومن منف سار غربا متبعا الفرع الغربي للنيل، حتى وصل إلى مدينة كانوب (أبو قير الحالية) حيث شيد فوق شريط من الأرض الرملية يقع بين بحيرة مريوط والبحر الأبيض مدينة الأسكندرية التي سماها باسمه. ومنها سار إلى واحة سيوة لزيارة معبد آمون ليستلهم وحي الإله المصري آمون الذي كان الإغريق يشبهونه بالههم زيوس، فحياه كاهن آمون كابن للإله وهي التحية التقليدية التي تقدم لأي ملك مصري، فكان هذا له أثره العميق في نفس الأسكندر.

---

(20) Bury: History of Greece, p. 763- 772.
تارن: الأسكندر الأكبر، ترجمة زكي على، ص 73- 76.

بعد ذلك رجع الأسكندر إلى منف، فعين مصريين نائبين له على مصر العليا ومصر السفلى، ولكنه وكل الشئون المالية للإغريق[21].

ثم رجع الأسكندر مرة أخرى إلى صور، فأعد العدة للمعركة الفاصلة بينه وبين الفرس، ثم سار شرقا متجها إلى إيران، فوصل إلى مدينة ثابساكوس على نهر الفرات وسار على الساحل الشرقي متجها إلى بابل، لكنه عرف أن الملك دارا يستعد بجيشه لعلاقاته، فتقدم شمالا والتقى بدارا وجيشه عند سهل جوا جميلا عام 331 ق.م[22]. وكان الجيش الفارسي خليطا مختل النظام، بينما كان جيش الإغريق حسن التدريب، دقيق التنظيم، قوي العدد فاستطاع أن يوقع بالجيش الفارسي الهزيمة في يوم واحد. وفر دارا هاربا وتتبعه الأسكندر حتى اربل[23]، لكنه عاد ليتوجه إلى بابل، فلما وصل إليها، رحب به حاكمها الفارسي، لأنه كان قد استاء من هزائم دارا المتلاحقة وهروبه.

ثم دخل الأسكندر بابل، واتبع مع البابليين نفس السياسة التي اتبعها مع المصريين، فألغى القرارات المجحفة التي كان الملك خشايارشاه قد أصدرها ضد العادات القومية البابلية، وأمر بإصلاح المعابد البابلية، وخاصة معبد بعل الكبير الذي دمره خشايارشاه بعد عودته مهزوما من بلاد اليونان[24].

بعد ذلك سار الأسكندر تجاه الجنوب الشرقي إلى شوش مقر القصر الصيفي للملك داراّ، واستولى على قلعتها، ووضع يده على كنوز هائلة من الذهب والفضة.

---

(21) هـ. ايدرسيل: مصر من الأسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، نقله إلى العربية الدكتور أحمد على، القاهرة 1968، ص 38- 40.

Z.B.Bury, S.A Cook, T.E.A Deck: The Cambridge Aneient History Cambridge 1927, Velume VI, p: 378.

(22) د. إبراهيم زرقانه وآخرون: حضارة مصر والشرق القديم، طبع مصر، 461 زين العابدين مترجم الملك: آئينه سكندري، جلد أول، 3828. مخطوطه فتوحات أسكندر مشهور بذو القرنين.

John Pantaland: The Story of Nations, p: 24.

(23) مدينة تبعد ستين ميلا عن إربل.

(24) تارن: الأسكندر الأكبر، ترجمة زكي على، ص 93- 94. د. سيد الناصري الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص 520.

ثم تقدم بعد ذلك إلى برسويوليس، فدخلها وأباح القتل فيها واستولى على كنوز ملوك الفرس، وأحرق قصر ملوك الدولة الأكمينية ليعلن للإيرانيين انتهاء عهد الدولة الأكمينية، ولينتقم مما فعله خشايارشاه باليونان عند غزوها(25).

وفي عام 330 ق.م اتجه الأسكندر إلى همدان، فاستولى عليها وعلى خزائنها، ثم سار عن طريق الري متجها إلى بلخ التي كان دارا قد فر إليهما ليتعقبه بنفسه، وبخاصة عندما عرف أن والي قبض على دارا وزوج به في السجن، ليخلص إيران منه، فلما علم الوالي بقدوم الأسكندر صوب بلخ قرر التخلص منه، وطعنه بخنجر طعنة نافذة، وعندما وصل الأسكندر إليه كان قد فارق الحياة، فأمر الأسكندر بأن ترسل جثته مكرمة إلى برسبوليس في موكب حافل، وأن تدفن بنفس المراسم التي كانت معروفة لدى الأكمينيين وفي مقابر أسلافه من ملوك الفرس. وكان لتصرفه هذا أثره العميق في نفوس الفرس(26).

وبعد أن سقطت إيران في يد الأسكندر، استولى على الأوستاكتاب نبيهم زردشت المجوسي، وأمر بترجمة أجزاء منها تتعلق بالطب والنجوم إلى اليونانية، وبإحراق وإشعال النيران في معابد زردشت(27).

ثم اتجه الأسكندر بعد ذلك شمالا إلى بحر قزوين، لتصفية جيوب المقاومة الفارسية، فاستولى على جرجان، ثم اتجه شرقا واستولى على سيستان(28).

وفي عام 329 ق.م عبر الأسكندر جبال البرز، ووصل إلى نهر جيخون، سم استولى على سند، ومنها اتجه شرقا إلى قندهار، ومن قندهار تقدم

---

(25) تارن: الأسكندر الأكبر، ترجمة زكي على، ص 95- 97، مخطوطه فتوحات أسكندر مشهور بذو القرنين، زين العابدين مترجم الملك: آئينه سكندري، جلد أول، ص 384- 385.

(26) زين العابدين مترجم الملك: آئينه سكندري، جلد أول، ص 383- 483. حسن بيرينا وعباس اقبال: تاريخ إيران، ص 116.

(27) زين العابدين مترجم الملك: آئينه سكندري، جلد أول، ص 385. مخطوطه فتوحات أسكندر مشهور بذو القرنين.

(28) حسن بيرينا وعباس إقبال: تاريخ إيران، ص 117.

إلى نهر كابل وإلى سلسلة جبال الهند (جبال الهملايا). ثم واصل زحفه حتى وصل إلى نهر سيحون، فعبره واستولى على سمرقند، وواصل سيرة جنوب نهر سيحون حيث أنشأ على ضفافهمدينه، سماها اليونانيون الأسكندرية القصوى، ومحلها الآن مدينة طشقند.

وفي عام 327 ق.م عبر الأسكندر سلسلة جبال الهند للمرة الثانية، ثم عبر سهل كابل فنهر السند، وتقدم بجيوشه دون مقاومة تذكر حتى وصل إلى البنجاب.

وفي عام 326 ق.م وصل الأسكندر إلى المحيط الهندي، حيث أنشأ مدينة في منطقة باتاله في دلتا النهر.

وفي عام 325 ق.م ركب الأسكندر الفرع الشرقي لنهر السند حتى وصل إلى مصبه، وقضى يوما في كراتشي، ثم اخترق صحراء جدروسيا (بلوجستان الحالية) وبعد رحلة شاقة عانى فيها الجيش من الحر والجوع والأمراض، وصل الأسكندر وجيشه إلى كرمان. أما أسطوله فقد غادر ميناء كراتشي بقيادة قائده ويدعى (نيارخوس) متجها غربا إلى الخليج العربي حتى رسا عند رأس مصدام في بلاد العرب، ومر في بوغاز هرمز حيث تم لقاء الجيش والأسطول، ثم تابع الجيش والأسطول المسير نحو شوش فوصلاها في عام 324 ق.م[29].

وقد أقيم في شوش حفل كبير احتفاء باتمام غزو الإمبراطورية الفارسية، حيث تم زفاف الأسكندر على ابنة دارا، وزفاف ثمانين من رجاله على إيرانيات[30].

وفي عام 323 ق.م رجع الأسكندر إلى بابل. وهناك أصابته حمى لم يقو جسده المنهك من كثرة الحروب التي قام بها على مقاومتها، فنقلوه إلى قصر

---

(29) تارن: الأسكندر الأكبر، ترجمة زكي على، ص 114- 171.
Bury and Athers: The Cambridge Ancient History, p: 387- 437.

(30) زين العابدين مترجم الملك: آئينه سكندري، جلد أول، ص 386- 387. د. إبراهيم رزقانه وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم، ص 462.

سلاطين بابل حيث فاضت روحه وهو في الثالثة والثلاثين من عمـــره، فنقلـــوا جثمانه إلى مصر حيث دفن في مدينة الأسكندرية بناء علــى مــا كتبــه فــي وصيته[31].

([31]) تارن: الأسكندر الأكبر، ترجمة زكي على، ص 188.

Bury: The History of Greece, p: 818.

ثالثًا: شخصية ذي القرنين

أجمعت معظم كتب التاريخ والتفاسير[32]، علـــى أن ذا القــرنين العبــد المؤمن الصالح الذي ورد ذكره في القرآن الكريم هو الأسكندر المقدوني استنادا إلى أن الأسكندر بلغ مشرق الأرض ومغربها في غزواته كما تذكر الآية عــن ذي القرنين.

ونحن في هذا الصدد ليس أمامنا إلا الآية الكريمة، لكي تثبت لنــا هــل الصفات والأعمال التي ذكرتها عن ذلك العبد المؤمن الصـــالح تنطبــق علـــى صفات الأسكندر المقدوني وأعماله أم لا؟.

فإذا انطبقت الصفات والأعمال التي وردت في الآيـــة الكريمـــة علـــى الأسكندر، صح لنا أن نقول أن الأسكندر المقدوني هو ذو القــرنين الــذي ورد ذكره في القرآن الكريم، وإذا لم تنطبق فسيكون ذو القرنين هذا شخصا آخر غير الأسكندر المقدوني.

وقد قال الله تعالى عن ذي القرنين: "ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا، إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا، فأتبع ســببا، حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة، ووجد عندها قوما، قلنا ياذا القرنين إما أنْ تعذب وأما تتخذ فيهم حسنا، قال أما من ظلم فسوف نعذبـــه، ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا، وأما من آمن وعمل صـــالحا، فلـــه جـــزاء الحسنى، وسنقول له من أمرنا يسرا، ثم أتبع سببا، حتى إذا بلغ مطلع الشـــمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا، كذلك وقد أحطنا بما لديـــه خبرا، ثم أتبع سببا. حتى إذا بلغ بين السدين، وجد من دونهما قوما لا يكـــادون

([32]) خواندمير: حبيب السير في أخبار افرادميشر، جاب دوم، تهران 1353، جلــد أول، ص 209. النبهاني: تفسير البنهاني، مصر 1338هــ، ص 251. النسفي: تفسير النســفي، القاهرة1939م، المجلد الثاني، ص308. الفخر الرازي: تفسير الرازي، مصــر 1308 هــ،ج. ص 750- 751. الشهابي: حاشية الشهابي على تفسير البيغاوي طبع مصــر، المجلد 3و 4، ص 151. أبو ريحان بيروني، ترجمة وآثار الباقية أبو ريحان بيرونـــي، تهران 1321، ص 60- 61. الترجمة العربية ص 36- 37.

يفقهون قولا، قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا، قال ما مكني فيه ربي خير، فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما، آتوني زبر الحديد، حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا، حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا، فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا، قال هذه رحمة من ربي، فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا"(33).

والواضح من الآيات الكريمة أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين، وأن الآيات إجابة عن السؤال. كما تدل الآيات أيضا على أن الرجل الذي سألوا النبي عليه الصلاة والسلام عنه كانوا يسمونه "ذا القرنين".

وقد بينت الآيات الكريمة أن الله مكن لذي القرنين في الأرض، فأعطاه الملك، وهيأ له الأسباب التي يستتب بها ملكه، وينتصر بها على أعدائه.

ثم تبين لنا أيضا أن ذا القرنين تنقل في الأرض، فرحل جهة الغرب، وظل يواصل سيرة حتى بلغ حد المغرب، فوجد الشمس تغرب في عين حمئة، ووجد هناك قوما، فتغلب عليهم، لوم يبطش الا بالظالمين منهم، وأكرم المؤمنين، وجازاهم على إيمانهم خيرا، وضرب مثلا للحاكم العادل الرحيم برعيته.

ثم سار نحو المشرق حتى بلغ أرضا لا عمران فيها، تسكنها قبائل بدوية، فجاوزها وتقدم حتى وصل إلى مكان مضيق جبلي وراءه قوم مفسدون يسمون: يأجوج ومأجوج، كانوا يشنون الغارات على هذه القبائل، وطلبت منه أن يخلصها من هذا الشر، وفاوضته على أن تدفع له مالا مقابل أن يبني لها سدا يحميهم من غارات يأجوج ومأجوج، فرفض ذو القرنين المال مكتفيا بما أعطاه الله من الأموال، وطلب منهم أن يساعدوه بقوة سواعدهم ومواد البناء اللازمة، ليبني لهم سدا منيعا، يعجز يأجوج ومأجوج عن اقتحامه.

هذا كل ما تقرره الآيات عن ذي القرنين الذي ورد ذكره فيها، وإذا قارناه بما ذكر عن الأسكندر المقدوني من صفات وأعمال، سنجد أنه لا يمكن

---

(33) سورة الكهف، آيات 83- 98.

بأي حال من الأحوال أن يكون ذو القرنين، هو الأسكندر المقدوني وذلك للأسباب الآتية:-

أولاً: أن ذا القرنين الذي ورد ذكره في القرآن الكريم كان ملكا مؤمنا بالله وبالآخرة، أما الأسكندر فقد كان ملحدا يعبد الأصنام، فقد سادت الوثنية في أيامه، وكان هو أيضا كما سبق أن ذكرت يزور معابد الآلهة في البلاد التي يفتحها، ويقدم لها القرابين. كما كانت أمه المبياس تؤمن بالشعوذة، فكانت تذهب إلى سريرها وهي تحتضن ثعبانا ضخما آملة في الالتقاء والتزواج بالإله زيوس في شكل ثعبان، فلما حملت زادت هواجسها الدينية، فحلمت أن الإله أنزل عليها صاعقة أشعلت النيران في كل جسدها. ومن ثم راح الكهنة والمنجمون يجتهدون تفسير هذا الحلم، ويتنبئون بقدسية المولود القادم وشجاعته[34].

ثانيًا: تذكر الآيات الكريمة أن هذا الملك أقام سدا، ولم تذكر جميع كتب التاريخ التي تحدثت عن الأسكندر وأعماله أنه أقام سدا.

ثالثًا: من المنطقي أن ما ورد في الآيات الكريمة من أنه بلغ مشارق الأرض ومغاربها ليس القصد منه فتوحات الأسكندر شرقا وغربا على ضوء دراستنا لفتوحاته.

رابعًا: ذكرت الآيات الكريمة أن ذا القرنين هذا الذي تحدثت عنه كان رحيما بأهالي البلاد التي فتحها وقد فعل الأسكندر عكس هذا في البلاد التي قاومته أثناء فتحها مثل صور وغزة وغيرهما، فقد أباح القتل العام وبيعت النساء والأطفال في أسواق الرقيق.

خامسًا: الملك الذي ورد ذكره في الآيات الكريمة لم يكن حريصا على المال فحين عرض عليه القم مالا ليبني لهم سدا يحميهم من غارات قبائل يأجوج ومأجوج، رفض مكتفيا بما أعطاه الله من مال، وطلب منهم أن يعينوه

([34]) د. سيد الناصري: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص 469- 470.

ويمدوه بمواد البناء اللازمة. وهذا عكس ما فعله الأسكندر في البلاد التي فتحها، فكان يستولى على خزائنها وكنوزها.

سادسًا: ويمكن أن نضيف إلى هذه القرائن رأيين أولهما رأى الأستاذ الدكتور عبد النعيم حسنين على ضوء دراسته للآية الكريمة إذا يقول: "إن ما تقرره الآيات التي ذكر فيها ذو القرنين، يؤكد أن – ذا القرنين المذكور في القرآن لا يمكن أن يكون الأسكندر المقدوني بحال من الأحوال، فقد دون تاريخ الأسكندر وأعماله. ولا يوجد شبه في أحواله وأحوال ذي القرنين، ولا يقال عن فتوحاته أنها فتوح في الشرق والغرب، ولم يثبت أنه بني سدا في حياته كلها.

ثم أننا نستطيع أن نجزم بأنه لم يكن مؤمنا بالله، ولا عاد لا – عدلا مطلقا مع الشعوب المغلوبة، كما أنه ليس هناك سبب يسوغ تلقيبه بذي القرنين.

ولعلنا بعد هذا نستطيع أن نقول أن كل ما سجلته الكتب العربية والفارسية عن الأسكندر المقدوني، وأنه هو الذي ذكر في القرآن بأسم ذي القرنين، ليس إلا أسطورة من أساطير الأولين، يكذبها ما ورد في القرآن الكريم، وما ثبت في الوقائع التاريخية الصحيحة[35]. أما الرأي الثاني فهو رأى تارن الذي ورد في كتابه (الأسكندر الأكبر) والذي نقله إلى العربية الأستاذ زكي على إذ يقول منه "لقد حيكت حول الأسكندر الأساطير بعد وفاته، فادعت جميع البلاد أنه ينتسب إليها، ففي الفارسية ابن دارا، وفي القصة المصرية أصبح ابنا لاخر فرعون مصري، وفي الخرافة اليهودية كان ذا القرنين الذي بشر بظهور المسيح، وبوصفه ذي القرنين، أصبح أحد أبطال الخرافة في الإسلام[36].

وصفوة القول أن الأسكندر المقدوني كان بطلا شجاعا ذا شخصية فذة نادرة، فقد استطاع وهو في ريعان الشباب، لم يتجاوز العشرين أن يحكم بلاد

([35]) د. عبد النعيم حسنين: أسطورة الأسكندر ذي القرنين، مجلة المجلة العدد 47 نوفمبر سنة 1960م، ص8.

([36]) تارن: الأسكندر الأكبر ترجمة زكي علي، ص 221.

اليونان، وأن يسيطر على إمبراطورية فارس العظيمة والشام والعراق والهند من خلال فترة حكم قصيرة تبلغ اثنى عشر عاما، هذا في حد ذاته يعد عملا عظيما وخارقا، استحق الأسكندر أن ينال من أجله شهرته العالمية هذه، وأن تحاك مثل هذه الأساطير حوله، وأن يخلط بينه وبين الأسكندر ذي القرنين، دون أن يكون لهذا الخلط سند من حقيقة.

الباب الثاني

قصة الأسكندر عند الفردوسي

تقديم

أ- الفردوسي:

هو أحد كبار شعراء إيران المشهورين، ورائد الشعر الحماسي في الأدب الفارسي.

وعلى الرغم من شهرته العظيمة هذه، إلا أن المصادر قد اختلفت في اسمه فبعضها سمته (أحمدا) وأخرى سمته (منصورا)، وغيرها سمته (حسنا)، كما اختلفت أيضا في اسم أبيه، فذكرت اسمه (اسحق بن شرفشاه) ومرة أخرى (على)، وثالثة (أحمد بن فرخ).

أما كنيته وتخلصه فقد اتفقت عليهما، فكنيته (أبو القاسم)، وتخلصه الشعري (الفردوسي) [37].

وقد ولد الفردوسي إبان حكم السامانيين (279- 389هـ) وكانت ولادته في عام 329- 940م على أرجح الأقوال، بقرية باز التابعة لمدينة طوس، كما عاصر الدولة الغزنوية، واتصل بمؤسسها السلطان محمود الغزنوي.

أمسا وفاته فقد كانت في عام (411هـ = 1020م) على أرجح الأقوال[38].

ب- الشاهنامة:

الشاهنامة أي كتاب سير الملوك هي عبارة عن منظومة رائعة تقع في حوالي ستين ألف بيت من الشعر، نظمها الفردوس في الحديث عن أبطال وملوك إيران منذ أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي لإيران، خصص منها ألفين وخمسمائة وخمسة وستين بيت شعري للحديث عن الأسكندر المقدوني.

---

(37) د. طه ندا: دراسات في الشاهنامه، طمع الأسكندرية، ص 7. بديع الزمان خراساني: سخن وسخنوران، جلد أول، ص 29، جاب دوم 1318.

(38) د. ذبيح الله صفا: كنج سخن، جلد أول ص 67، جاب دوم 1339.
د. طه ندا: دراسات في الشاهنامه، ص 23.

وقد أتم الفردوسي نظم الشاهنامة عام 400 أو 401 هـ بعد أن أمضى ثلاثين عاما في نظمها[39]، وقدمها إلى معاصره السلطان محمود الغزنوي.

أما المصادر التي اعتمد عليها الفردوسي عند نظمه للشاهنامة فهي:

1- الكتب البهلوية التي ألفت في العصر الساساني عن ملوك إيران القدماء، والتي ترجم بعضها المترجمون المسلمون في بداية العصر الإسلامي، ومن أهمها كتاب (خد أي نامه) أي كتاب الملك، وهو كتاب في تاريخ وسير ملوك إيران من عهد كيومرث الأسطوري، حتى آخر ملوك الساسانيين[40].

2- الشاهنامات التي ألفت من قبله في القرن الثالث الهجري، وهي شاهنامه أبي المؤيد البلخي، وشاهنامه أبي على البلخي، وشاهنامة المسعودي المروزي، وشاهنامة الدقيقي الطوسى.

3- أما بالنسبة لأخبار الأسكندر فقد استفاد من كتاب أخبار الأسكندر، وهو عبارة عن مجموعة من الأساطير اليونانية، جمعها أحد المصريين في مصر في القرن الثالث الميلادي ونسبها إلى كاليتنس[41] أحد المؤرخين المعاصرين للأسكندر.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغات المختلفة اللاتينية والرومانية والأرمينية والسريانية والعبرية والبهلوية والعربية[42].

([39]) د. طه ندا: دراسات في الشاهنامة ص 100، د. ذبيح الله صفا: كَنج سخن جلد أول، ص 67.

([40]) البنداري: الشاهنامة: ترجمها نثرا إلى العربية د. عبد الوهاب عزام الطبعة الأولى القاهرة 1350هـ= 1932م، الجزء الأول ص 27- 30. تئود ور نولدكه: حماسه ملى إيران، ترجمة بزوكَ علوى تهزان 1327، ص 30- 32.

([41]) كاليستنس: هو أحد المؤرخين الذين عاصروا الأسكندر، وارفقوه في غزواته عاش من 360 إلى 327 ق.م ويقال إنه ألف كتابا عن تاريخ اليونان في الفترة التي تقع من 378، 357 ق.م، ثم ألحق به مؤلفه عن الأسكندر وفتوحاته وسياسته.

([42]) محمد على تربيت: دانشمند ان آذ ربيجان، جاب اول، طهران 1314، ص 384.

وقد اختلطت موضوعات هذا التاب ببعض الحقائق التاريخيـــة وبعــض القصص الإيرانية[43].

([43]) د. طه ندا: دراسات في الشاهنامه، ص33. د ذبيح الله صفا: حماسه سرائي درايــران، طهران، جاب دوم، ص 86.

قصة الأسكندر كما صورها الفردوسي

تمهيد:

لما كانت منظومة الشاهنامه أول عمل أدبي تحدث عن الأسكندر المقدوني بعد الإسلام، فيجب علينا أولا، وقبل أن نتناول شخصية الأسكندر في الشاهنامه بالدراسة والنقد، أن نبين ما هو موقف الفرس من الأسكندر قبل الإسلام؟.

كان الفرس قبل الإسلام ينظرون إلى الأسكندر نظرتهم إلى المستعمر الباغي، وكانوا لا يذكرونه إلا باسم (سكندر كجستك) أي الأسكندر الملعون[44] لأنه حطم إمبراطوريتهم، التي كانت تعد أعظم إمبراطورية في العالم في ذلك الوقت، وقضى على ديانتهم الزردشتية، وأحرق كتابها المقدس، ومعابد شعائرها.

وبعد أن توطد الفتح الإسلامي لإيران، بدأ الإيرانيون في القرن الثالث الهجري يلوحون بالاستقلال عن الخلافة الإسلامية، والعمل على إحياء تراثهم القديم، وبث الروح القومية بما عرف بالاتجاه الشعوبي، وقد بلغت حركة الشعوبية هذه ذروتها في عصر الدولة السامانية، تلك الدولة التي كانت ينتسب مؤسسها إلى أصل فارسي عريق، والتي عاش الفردوسي شاعرنا في عصرها.

وكان طبيعيا أن يتأثر الفردوسي بهذا الجو الذي عاش فيه، فنظم منظومة الشاهنامه التي سجلت أمجاد وبطولات ملوك الفرس وأبطالهم منذ العهد الأسطوري حتى الفتح الإسلامي لإيران. وعندما جاء دور الحديث عن الأسكندر المقدوني، غلبت عليه شعوبيته، فتصالح معه، وادعى بقصة اختلقها أنه إيراني الأصل، ليمحو عار هزيمة بلاده على يديه، وليعد فتحه لإيران حقا شرعيا لاسترداد ملكه الذي انتزعه منه أخوه دارا الثالث.

([44]) محمد جعفر محجوب: زندكي افسانه أسكندر كبير، مقالة بمجلة سخن: دوره بيست وهشتم، شماره رهم 1357هـ. ش ص 1034.

وقد مهد لهذا عند بدء حديثه عن الأسكندر في الشاهنامه بالعنوان التالي:

حروب داراب[45] مع فيلقوس[46]:

ذكر الفردوسي أن هناك حربا بين (فيلقوس) ملك بلاد الروم، و (داراب ابن بهمن) ملك بلاده، انتهت بفوز داراب وهزيمة فيلقوس، يقول:

دارت معركتان ضاريتان في ثلاثة أيام، وتحقق النصر في اليوم الرابع، ففر فيلقوس وجيشه هاربين منهزمين فأسروا نساءهم وأطفالهم وقتلوا الكثيرين رميا بالسهام[47].

طلب فيلقوس الصلح:

وبعد انتهاء القتال، أرسل فيلقوس رسولا من قبله برسالة لداراب ليصفح عنه، كما أرسل إليه الهدايا الثمينة. فلما وصل الرسول إلى داراب، استدعى رجاله، ليتشاور معهم في شأنه فيلقوس، ذكروا له أن فيلقوس لديه ابنة بارعة الجمال، وأشاروا عليه أن يتزوجهما مقابل العفو عنه[48].

وهناك تتغلب النعرة الإيرانية على الفردوسي، فيصور الملك داراب الثاني في صورة الملك القوي المتكبر، حيث استدعى الرسول وأمره أن يذهب إلى فيلقوس، ويبلغه بأنه إذا أراد الأمن والأمان له ولبلاده، فعليه أن يرسل إليه ابنته والخراج المطلوب منه يقول:

---

(45) داراب: هو الملك دارا الثاني.

(46) فيلقوس: هو فيليب الثاني والد الأسكندر المقدوني، أما فيلقوس فهو الاسم الذي اشتهر به في الكتب العربية.

(47) الفردوسي: الشاهنامه، تصحيح محمد رمضاني، ج3، ص416، طهران 1311ش.

د ورزم كران كرده شد درسه روز		جهارم جو بفروخت كيتي فروز
كريزان بشد فيلقوس و سبپاه		يكي را نبد ترك و رومي كلاه
زن وكود كانشان ببردند اسير		بكشتند جندي بباران تير

(48) نفس المرجع، ص 416- 417.

"فقال له: اذهب إلى القيصر، وقل له: لو أنك تريد الحفاظ على دماء وجهك.

فلديك خلف استار الحجب ابنة جميلة، هي تاج على رؤوس النساء.

أرسلها إلى مع خراج بلاد الروم، هذا لو أردت أن تعيش سالما أمنا في بلادك[49].

زواج داراب من ابنة فيلقوس وإنجابه الأسكندر:

ويبين الفردوسي ما كان يتمتع به ملك بلاده من سطوة وبأس، فيصور خضوع فيلقوس لأمر داراب بقوله:

"سر فيلقوس وجنوده بذلك الطلب، لأن الملك سيصبح صهرا له[50]" ثم أرسل فيلقوس ابنته إلى داراب في صحبة كبار رجالة في موكب كبير وقد تقدمت هي هذا الموكب، حيث جلست في مهد مذهب، مزينة بالجواهر والتاج، وجلست الجواري خلفها، تمسك كل منهن كأسا ذهبيا مملوءا بالجواهر في يديها.

ولما وصل الموكب إلى داراب، أودعوا الحسناء إليه، وأحصوا الجواهر والهدايا لحارس خزائنه[51].

([49]) الفردوسي: الشاهنامه: ج3، ص 417.

بد وكفت رويـيش قيصـر بكـوى		كه كَرجست خـواهي همـى آب روى
بـس بـرده تـويكي دخترسـت		كـه بـر تـارك بـانوان افسرسـت
بر مـن فرسـتيش بـا بـار روم		جو خواهي كه بي رنـج مـاني ببـوم

([50]) نفس المرجع، ص 417.

بدان شـاد شـد فيلقـوس وسـبباه		كـه دامـاد باشـد مـراورا جوشـاه

([51]) نفس المرجع، ص 417– 418.

ثم يواصل الفردوسي بعد ذلك حديثه عن الأسكندر، ليثبت لنا أنه الأبن الأكبر للملك الفارسي داراب الثاني بن بهمن، فيذكر لنا قصة تحكي أن الملك داراب بعد أن تزوج ابنة الملك اليوناني فيلقوس، كان يرقد بجوارها ذات ليلة، فتاءبت، فخرجت من فمها رائحة كريهة، نفر منها الملك، واستدعى كبار الأطباء لعلاجها، واستطاع طبيب ماهر أن يكتشف الدواء لدائها، وهو نبات محرق للحلق يسمى الأسكندر، يوجد ببلاد اليونان، فمسح الطبيب حلقها به، فذهبت الرائحة الكريهة منه، لكن قلب الملك كان قد نفر من عروسه، فأعادها إلى أبيها فيلقوس، وهي تحمل بين أحشائها جنينا، لم تفش أمره إلى أحد. وبعد مضى تسعة أشهر وضعت مولودها، سمته الأسكندر، تيمنا باسم ذلك النبات الذي تخلصت بفضله من رائحة فمها الكريهة[52].

ولما كبر الأسكندر، اختاره جده فيلقوس وليا للعهد، وعلمه نظم وأصول الملك، حتى يكون مهيأ لتولي العرش بعد وفاته[53].

تولي الأسكندر عرش بلاد اليونان:

وبعد موت فيلقوس تولي الأسكندر عرش بلاد اليونان، فجاءه رسول من قبل أخيه دارا الثالث، الذي كان قد تولي عرش إيران بعد وفاة أبيه، يطلب منه الخراج، الذي كان جده فيلقوس يدفعه لأبيه داراب الثاني، فامتنع الأسكندر عن دفع الخراج وقال له:

"إذهب إلى دارا وقل له: أن الدجاجة التي كانت تبيض البيضة الذهبية ماتت، وليس لنا شأن بالخراج الآن"[54].

([52]) الفردوسي: الشاهنامه، ج3، ص 418.

([53]) نفس المرجع: ص 419. لم يشر الفردوسي إلى أن أرسطو كان معلم الأسكندر كما ذكرت المصادر التي تحدثت عن الأسكندر.

([54]) الفردوسي: الشاهنامه، ج3، ص 422.

بد وكفت رويش دارا بكوى		كه أزبازما شد كنون رنك وبوى
كه مرغى كه زرين همى خايه كرد		بمرد وسر بازبى مايه كرد

ذهاب الأسكندر إلى مصر:

ويبدأ من هنا الفردوسي في تصوير الأسكندر ملكا فاتحا وبطلا غازيـا، فيذكر أن الأسكندر بعد رفضه دفع الخراج لدارا الثالث، صمم على غزو العالم، ففتح كنوز جده وأمر بأعداد الجيوش، ثم اتجه إلى مصر، ويصف الفرد وسـى قتال الجيشين يقول:

تقابل الجيشان، وتحاربا اسبوعا كاملا.

وفي اليوم الثامن لحقت الهزيمة بمصره وأغلـق الأسـكندر الطريـق أمامهم[55].

وما ذكره الفردوسي هذا يتنافى مع الحقائق التاريخية، لأن كتب التاريخ قد ذكرت عكس هذا، وقالت أن المصريين رحبوا بقدومه ليخصلهم من حكامهم الطغاة الموالين للفرس.

ولعل الفردوسي أراد بذلك أن يصور الأسكندر غازيا فاتحا، أو أنه أراد ألا يصور الحكم الفارسي لمصر بأن كان متسما بالقسوة والغلظـة ممـا دفـع المصريين للترحيب بالأسكندر المنقذ لهم من الفرس وأعوانهم العتاة الظالمين.

ذهاب الأسكندر إلى إيران:

ثم اتجه الأسكندر بعد ذلك من مصر إلى إيران، وهناك دارت بينه وبين دارا ثلاث معارك ضارية، كان النصر فيها حليف الأسكندر، ويصف الفردوسي المعركة الأولى فيقول:

---

(55) نفس المرجع السابق، ص 422.

دو لشكر بروى انـد رآورده روى		ببودنـد يـك هفتـه برهاشـجوى
بهشتم بمصـراند رآمـد شكسـت		سـكندر سـرراه ايشـان ببسـت

اشتبك فرسان الحرب من الخلف والأفيلة من الأمام اشتباكا شرسا ومن شدة ارتفاع أصوات الأبواق فزعت قلوب الرجال.

ومن صهيل الخيل وصياح الفرسان وصليل الحراب الكبيرة يخيل لك أن الأرض قد أصبحت جبلا حربيا. وصار لون السماء كلون الصدا.

واستمر الفرسان اسبوعا في تصادم والتحام حيث ظلت الجيوش وجها لوجه طوال هذه الأيام.

وفي اليوم الثامن ارتفع الغبار عاليا فجعل الشمس الساطعة زرقاء اللون. فحجبت الرؤية عن جيش إيران، فلم يشاهدوا إلا مكانهم.

فولى الملك دارا وجهه وايضا جيشه الشجاع وفروا صوب نهر الفرات، هاربين من ميدان المعركة[56].

([56]) الفردوسي: الشاهنامه، ج3، ص 426– 427:

سوران جنك ازبس وبيل بيش		همه بركرفته دل ازجان خويش
زبس ناله بوق وهندي دراي		همه مود را دل بره‌آمد زجاي
زآوازاسبان و بانك سران		جرٌ نكيدن كرز هاي كران
توكفتي زمين كوه جنكَى شدست		زكَرد آسمان روى زنكَى شدست
بيك هفته كَردان بر خاشجوى		بروى اندر آورده بودندى روى
بهشتم بر امد يكى تيره كرد		بدانسان كه خورشيد شد لاجورد
بيوشيد ديدار إيران سباه		نديدند جزخاك اورد كَاه
جهاندار دارا به بيجيد روى		همان نامور لشكر جنكَجوى
برود فرات اندر آمد سبباه		كَريزان برفتند ازان رزمكَاه

واتجه الأسكندر بعد ذلك إلى شاطئ نهر رودبار وقتل عددا لا حصر له من الإيرانيين(57).

أما المعركة الثانية فيذكر الفردوسي أن دارا بعد هزيمته الأولى جمع جيشا، وتهيأ للقتال، فلما سمع الأسكندر بذلك توجه لمحاربته، وتقابل الجيشان، ودارت بينهما معركة ضارية لمدة ثلاثة أيام انتهت بفوز الأسكندر.

يقول الفردوسي في وصفها:

استمر القتال بينهما ثلاثة أيام متتالية، وضاق المكان من كثرة القتلى.

وللمرة الثانية انتصر الأسكندر، وصار الكوكب عاليا والأرض مشرقة(58).

وفي معركة ثالثة تقابل الجيشان، وانتهى الأمر بهزيمة دارا وفراره إلى كرمان، ودخول الأسكندر فارس، وفي وصف تلك المعركة الثالثة يقول الفردوسي:

اصطف الجيشان، وتحاربا بالحراب والسهام والخناجر.

وصل الليل، وشدد الأسكندر الهجوم، فلحقت الهزيمة بدارا.

وفر الملك دارا إلى كرمان ناجيا بروحه من براثن الأعداء.

ودخل الأسكندر فارس، واستولى علي تاج الملك فخر فارس(59).

---

(57) نفس المرجع ونفسه الصفحة:

سكندر بشد تالب رود بار		بكشتند از ايرانيان بي شمار

(58) الفردوسي: الشاهنامه، ج3، ص 427:

سه روز اندر ان رزمشان شددرنكَ		جنان شد كه ازكشته بدجاي تنكَ
سكندر دكَر باره بيروز كَشت		بلند اختر وكَيتى افروز كَشت

وهنا يغلب على الفردوسي التعصب لبني جنسه فيصير دارا ملك بلاده في صورة المحب للسلام والأسكندر في صورة العاشق للقتال.

فيذكر أن دارا بعد هزيمته الثالثة أرسل رسالة إلى الأسكندر من أجل الصلح والسلام يقول فيها:

لو أنك عقدت الصلح الآن، فإن قلبك سيخجل من البحث عن القتال. وتكون لك كنوز كشتاسب واسفنديار وجميع معدات الملك.

كما سيكون لك أيضا عرش كيخسرو والتاج الذهبي وزينة الملك والحزام الذهبي.

وسأرسل كنوزي إلى كنوزك، وفي نفس الوقت سأكون مواسيا لك في المحن.

ومعينا لك في الحروب، ولا أتاخر عن خدمتك ليلا أو نهارا.

ولو أنك جئت إلى إيران قاصدا الود والسلام فسيليق بك عرش السلطنة.

ولن أعصي لك أمرا ولو للحظة واحدة، ولن أتنفس نفسا واحدة دون مشورتك(60).

---

(59) نفس المرجع السابق، ص 430.

سباه دوكشور كشيدند صف		همه نيزه وكرز وخنجر بكف
شب آمد بدارا درآمد شكست		سكندر مياه تاختن را بيست
جهاندار دارا بكرمان رسيد		همى ازكف دشمنان جان كشيد
سكندر بيامد باستخر بارس		كه ديهيم شاهي يد وفخر بارس

(60) الفردوسي: الشاهنامه، ج3، ص 432- 433:

كنون كر بسازي وبيمان كنى		دل ازجنك جستن بشيمان كنى

لكن الأسكندر رفض دعوة الصلح، ورد عليه برسالة مملوءة بالغرور والتكبر، يعلق عليها الفردوسي فيقول:

عندما كتب الأسكندر رد الرسالة، زرع الشجرة في حديقة العظمة(61).

فلما قرأ دارا رسالته تعجب من حال الدنيا وقال:

"أن القتال أفضل لي من التبعية للأسكندر، وأن المعين لي في الدنيا هو الله"(62).

ولعله كان يزمع الاستعداد لجولة رابعة، ولكن الأقدار لم تمهله لذلك، كما ستعرف بعد قليل.

همه گنج گشتاسب واسفنديار		همه ياره وطوق باگوشوار
همان تخت كيخسرو وتاج زر		همان خود وخفتان وزرين كمر
فرستم بگنج تواز گنج خويش		همان نيز وزريده رنج خويش
همان من ترايار باشم يجنگ		بروز وشبانت نجويم درنگ
توكر سوى إيران خرامى رواست		همه باد شاهي سارسر تراست
زفرمان تويك زمان نگذرم		نفس نيزبي راي تو نشموم

(61) الفردوسي: الشاهنامه، ج3، ص 433:

سكندر جو آن نامه باسخ نوشت		بباغ بزرگي درختي بكشت

(62) نفس المرجع، ص 433:

سرانجام گفت"اين زكشتن بتر		كه من بيش رومي ببندم كمر
نه بينم همى درجهان ياركس		جز از ايزدم نيست فرياد رس

وفي الحقيقة كان تصوير الفردوسي لهذه المعارك قريبا جدا من التاريخ الحقيقي، حيث ذكرت كتب التاريخ أن المعارك التي دارت بين الأسكندر ودارا الثالث ثلاث معارك، وانتهت جميعها بفوز الأسكندر وهزيمة دارا الثالث كما ذكرت أيضا أن دارا عرض الأسكندر الصلح، ولكنه رفض.

مقتل دارا الثالث:

أما عن مقتل دارا فيذكر الفردوسي أنه كان ماشيا مع وزيرته، أحدهما يدعى (ماهيار) على يمينه، والآخر يدعى (جانوسيار) على يساره فلما حل الليل هبت رياح، فأمسك أحدهما بمدية، وطعنها في صدر الملك، فانحنت رأسه من شدة الطعنة، وسقط على الأرض، فتركاه، وسارعا بالعودة إلى الجند، ثم ذهب أحدهما في التوالي إلى الأسكندر وقال له:

"أيها الملك المظفر أننا قتلنا عدوك في الخفاء، وخلعنا عنه تاج الملك"[63].

فلما سمع الأسكندر قول القاتل، تظاهر بتأييد صنيعه، وطلب منه أن يرشده عن مكان سقوط دارا.

ويصف لنا الفردوسي تأثر الأسكندر لمصيبة أخيه دارا، وتعاطفه معه فيذكر أن الأسكندر توجه على الفور إلى دارا وهو في شدة من التألم والتأثر عليه، ولما وصل إليه، ترجل من على حصانه في سرعة خاطفة، وأراح رأسه على صدره ونظر إليه، ومسح على وجهه بيديه، وخلع التاج من على رأسه، والدرع من على صدره، وانهمرت الدموع من عينيه لسوء حالته، وقال له:

هكذا هان عليك أن تسيء الظن بي:

انهض واجلس في مهدك المذهب ولو كنت تملك القدرة فامتط صهوة جوادك.

---

(63) الفردوسي: الشاهنامه، ج3، ص 434:

بكشتيم ما دشمنت ناكهان		سر آمد بروتاج وتخت مهان

وسأحضر لك الأطباء من الهند وبلاد الروم، فإنني أبكي دما على وجيعتك.

فأنا الآن أترك لك العرش والملك حتى تتحسن حالتك ثم نتفاهم.

لأني حاليا انصرفت عما كنت أضمره لك من سوء وعداوه من قبل"[64].

وختم حديثه معه بقوله:

أن الأمر مفوض إليك، فقل ما تريده، وأنا موكل بتنفيذه[65].

فرد دارا قائلا:

أولاً وقبل أي شيء أيها البطل اخشى الله.

لأنه هو الذي خلق السماء والأرض والليل والنهار، وخلق القوة والضعف.

وارع ابنتى حبيبتي، وتزوجها واعمل على راحتها.

لقد سمتها أمها (رورشنك) فسعد العالم وإيران بوجودها.

([64]) الفردوسي: الشاهنامه، ج3، ص 435:

بدو كفت كاين بو تو آسان شود		دل بد سكالت هراسان شود
توبرخيز ودرمهد زرين نشين		وكرهست نيروت بر زين نشين
زهند وزرومت بزشك آروم		زدرد توخونين سرشك آورم
سبارم ترا بادشاهي وتخت		جوبهتر شوى ما ببنديم رخت
جفا بيشكان تراهم كنون		بياوزم ازدارها سرنكون

([65]) نفس المرجع، ص 436:

سكندر بد وكفت فرمان تراست		بكوى آنجه خواهي كه بيمان تراست

ولن تجد منها أي سوء، ولن تكون مسببه للأضرار كالأعداء.

لأنها ربيبة الملوك، وتاج لرؤوس الأبطال(66).

فأجابه الأسكندر بأنه تقبل نصائحه، وسوف يعمل بها في بلاده(67).

وبعد ذلك لفظ دارا أنفاسه الأخيرة، فحزن الأسكندر عليه، وأعد له مراسم الدفن اللائقة به، يقول الفردوسي:

بنوا له مقبرة مطابقة لأصول عقيدته، فجاءت مطابقة لجلاله ومذهبه.

وغسلوه من الدماء بماء الورد الصافي، لأنه قد حان وقت نومه الأبدي.

وزينوه بالديباج الرومي، ونثروا عليه الجواهر والذهب.

وعطوا جسده بالورد البيضاء، فلم ير شخص وجه دارا بعد ذلك.

ووضعوا كرسي عرش مذهب داخل المقبرة، والبسوا رأسه تاجا معطرا.

ووضعوه داخل تابوته الذهبي، وبكت العيون دما عليه.

---

(66) الفردوسي: الشاهنامه، ج3، 436:

نخستين جنين كفت كاي نامدار		بترس از جهان داور كرد كار
كه جرخ وزمين وزمان آفريد		توانائي وناتوان آفريد
زمن باك تن دختر من بخواه		بدارش به آرام دربيشكاه
كجا مادرش روشنك نام كرد		جهان را بدو شاد وبدرام كرد=
=نيابي زفرزند من سرزنش		نه بيغاره از دشمن بد كنش
جو برورد شهرياران بنرد		براي افسر نامداران بود

(67) نفس المرجع، ص 437.

وعندما هموا لحمل تابوته، تكاتف الجميع عل حمله.

وسار الأسكندر في المقدمة وخلفه العظماء بعيون تسكب دما.

وهكذا ووری دارا القبر إلى يوم القيامة[68] وسط أحزان الجميع ولطم الخدود.

وبعد أن انتهت مراسم الدفن، أعد الأسكندر مشنقتين، وأمر بشنق الوزيرين، عقابا لهما على جريمتهما[69].

ويصف الفردوسي استحسان الإيرانيين لضيعه هذا فيقول:

لما رأى الإيرانيون ما فعله، أشادوا بذلك الملك الهمام.

وصاحوا جميعا أحسنت أحسنت، ولقبوه بلقب ملك العالم[70].

---

(68) الفردوسي: الشاهنامه، ج3، ص 437:

يكي دخمه كردش بـه آئـين اوی		برانسـان كـه بـد فـره وديـن اوى
بشستندش ازخون بروشـن كـلاب		جـو آمـدش هنكـام جاويـد خـواب
بياراسـتندش بـديباي روم		همـه بيكـرش كـوهر وزرش بـوم
تـنش زيـر كـافور شـد نايديـد		وزان بـس كسـى روى دارا نديـد
بدخمه درون تخـت زريـن نهـاد		يكى بر سـرش تـاج مشـكين نهـاد
نهـادش بتـابوت زر انـدرون		برويـر زمـر كـان بباريـد خـون
جو تـابوتش از جـاي برداشـتند		همه دسـت بـر دسـت بكـذا شـتند
سكندر بيـاده بـه بـيش انـدرون		بزرٍ كان همـه ديـدها بـر زخـوف
جنـين تاسـتودان دارا برفـتٌ		همى بوسـت بـروى بكفتـي بكفـت

(69) نفس المرجع، ص 437.

وقد أثرت هنا شعوبية الفردوسي تأثيرا كبيرا في تصويره للأسكندر أخا لدارا الثالث ملك بلاده، فصوره في صورة جميلة، بـدت صـادقة نابعـة مـن الأعماق بعيدة عن التكلف.

جلوس الأسكندر على عرش إيران:

يصور الفردوسي الأسكندر هنا في صورة الملك الطيب العادل، الـذي أحبه شعبه وأيده والتف حوله، فيذكر أن الأسكندر بعد أن دخل إيـران، وجـه رسالة إلى عظماء إيران طالبهم فيها بالانضمام تحت لوائـه، والـدخول فـي طاعته، وعدم عصيانه كما أمر بأن تسك النقود باسمه[71].

ولما جلس على عرش إيران، توافدت الناس من كل ناحية لتهنئته، فقال لهم:

"إننا لا نريد خراجا من بلاد العالم لمدة خمسة أعوام، إلا ممـن يكـون خصما لنا".

وسأمنح الفقراء عطايا كثيرة، ولن نريد من الأغنياء شيئا"[72].

فسعد الإيرانيون بما قاله، وأثنوا على ملك العالم العادل[73].

([70]) نفس المرجع: ص 438:

جوديدنـد ايرانيـان كوچـه كـرد		بـزارى بـران شـاه آزاد مـرد
كرفتنـد يكسـر بـرو آفـرين		ورا خواندنـد شـهريار زمـين

([71]) الفردوسي: الشاهنامه، ج3، ص 439.

([72]) نفس المرجع: ج4، ص 1:=

=نخواهم بازازجهـان بـنج سـال		جزاز آنكه كويـد كـه هستم همـال
بـدرويش بخشـيم بسـيار جيـز		زدارنـده جيـزي نخـواهم نيـز

([73]) الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص1:

زواج الأسكندر من روشنك:

وبعد ذلك أوفى بعهده وأرسل رسالة إلى روشنك ابنة دارا، ليبلغها أنه سيتزوجها يقول فيها:

"لقد أودعك والدك لي، ورحل بعد ذلك، وحمل معه الاسم الطيب الذكر.

وعندما تأتي داري وقصري، ستجدين أنك ضالتي المنشودة في الدنيا.

فأنت أجمل النساء، وزينة العرش وأنت الضياء للعظمة والشهرة والسعادة.

ووفق تقاليد أبناء الملوك عليك أن تحضري بصحبة رجال الدين الموجودين بأصفهان.

فستكونين مصدر السرور والبهجة في بيتنا، فأنت أجمل النساء في ملكتنا.

فيلحق لك الفلك العالي كل اتتمنيه، وليباعد بينك وبين الأعداء، وليحفظ من كل سوء"(74).

از ايران برآمد يكي آفرين		بران دادگر شهريار زمين

(74) نفس المرجع، ص 2-3.

بدرمر ترا بيش مارا سبرد		وزانيس شد ونام نيكى ببرد
جوآئي شبستان ومشكوى من		به بيني توباشي جهان جوى من
سر بانواني وزيباي تخت		فروزنده فره ونام وبخت
بر آئين فرزند شاهنشهان		به بيش اندرون مويد اصفهان
بمشكوى ما ياش روشن روان		توئى در شبستان سر بانوان

فلما وصلت الرسالة إلى روشنك، سرت لسماع هذا الكلام، واطمأن قلبها[75].

ثم استدعى الأسكندر بعد ذلك أمه من بلاد اليونان، وطلب منها أن تذهب إلى روشنك لتحضرها، وتأخذ معها الحلى والمجوهرات وتاجا مرصعا بالجواهر الثمينة لها، ومقدار ثلاثين ألف دينار ودرهم لتنثرها عليها، وتصطحب ثلاثمائة جارية رومية، وتعطي كل واحدة منهن كأسا تمسكه في يدها وفق عادات الملوك، كما أوصاها ألا تتخلى عن شيء من عادات ورسوم الملوك[76].

وهكذا نفذت أمه كل ما كلفها به، ثم بدأت في الرحيل، مصطحبة معهما المترجمين وعشرة من الفلاسفة أحاب اللسان العزب، وعندما اقتربت من اصفهان، استقبلها حشد كبير من عظمائها.

ثم رجعت وبصحبتها روشنك إليه في موكب جميع يصفه الفردوسي فيقول:

طلب الموابدة أربعين مهدا من الحضرة وزينوها.

وجلست روشنك مسرورة في هودج وبصحبتها الخدم.

ومن قصرها حتى منتصف الطريق نثرت عليها الجواهر والدنانير وسارت الخيول والجند وراءها.

وزينوا المدينة بالزينات وامتلأت بالأفراح.

وغطوا هودجها بالديباج الرومي، وعطروا صدرها بالمسك الصافي.

وعندما دخلت الحسناء الجميلة بلاط الأسكندر، نظر إليها عدة نظرات ولما أجلستها أمه على كرسي العرش الذهبي، فتن الأسكندر بها[77].

بكام تو كَرد جرح بلند	.	ز دشمن تنت دور ود ور از كَزند

(75) الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص2-3.
(76) نفس المرجع: ص 4.
(77) الفردوسي: الشاهنامه، ج3، ج5:

ذهاب الأسكندر إلى الهند:

أما الجزء التالي عن الشاهنامة والذي يبدأ بذهابه إلى الهند فقد غلبت عليه الأساطير والخرافات، كذلك لم يصور الفردوسي لنا فيه معركة من المعارك التي دارت بينه وبين سكان البلاد التي فتحها، بقدر ما اهتم بذكر أن الأسكندر كان يرسل رسالة إلى ملك البلد التي يريد فتحها يهدده ويتوعده فيها، ويذكره بانتصاراته والملوك العظام الذين أطاح بهم، فكان الملك يخاف، ويرسل له الرد بالدخول في طاعته، وتنفيذ أوامره، وإرسال ما يريده إليه.

وكان أول حديث الفردوسي عند (كيد) ملك الهند، فذكر أن كيد رأى مناما لمدة عشرة أيام متتالية، فجمع المفسرين وقص عليهم كل ما رآه في هذه الليالي، ففسروه له بأن الأسكندر سيأتي إلى بلاده لغزوها[78].

وكان الأسكندر قد أعد جيشا وسار به حتى نزل في مدينة بالقرب من الهند، وأرسل له رسالة شديدة اللهجة يتوعده ويقول:

ازايوان برستند كان خواستند		جهل مهد زرين بيارا ستند
يكي مهد باجتر وباخادمان		نشست اندرو روشنك شادمان
زكاخ دل آراي تانيم راه		كهر بود ودينار واسب وسباه
بيستند آذين بشهر اندرون		براز خنده لبها ودل بر زخون=
=بران جتر ديبا درم ريختند		زبر مشك سارا همي بيختند
جوماه اندرآمد بمشكوى شاه		سكندر بدو كرد جندي نكاه
جومادرش برتخت زرين نشاند		سكندر بروبرهمي جان قشاند

(78) الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص6.
انظر الحلم وتفشيره: ص 6-11.

من الأسكندر البطل المنتصر رب السيف والتاج والعرش، إن كل ملك مظفر حين أراد مقاومتنا، لقى عقابه.

ثم واصل الحديث فقال:

وعلم أننا أصحاب العرش وأننا الفاتحون المنتصرون.

لهذا فأنا أكتب لك رسالة لتنير بصيرتك المظلمة.

وعندما يقرأها كاتبك لا تتأخر ولا تفكر.

وإذا حل الليل لا تنتظر النهار ونفذ أوامري في سرعة.

فلو خالفتها فأنني أطيح برأسك وتاجك وعرشك(79).

فرد عليه كير برسالة ود، كما أهداه أربع هدايا تعد من عجائب الدنيا ويصف هذه الهدايا فيقول:

لي أبنة جميلة لا أظهرها، لأن الشمس العالية لو رأتها ستغيب أمام جمال محياها، وذؤابتها فخ بلونها الأسود، وتنعيث من فمها رائه اللبن، وتنثني

---

(79) نفس المرجع: ص 11- 12:

زاسكندر راد بيروز كر		خداوند شمشير وتاج وكمر
وزانيس جنين كفت هو شهريار		كه باشد ورا بخت بيروز يار
بداند كه ما تخت را مايه ايم		جهاندار بيروز را سايه ايم
نوشتم يكي نامه نزديك تو		كه روشن كند جان تاريك تو
مر آن را جو برتو بخواند دبير		منه بيش دير وسكالش مكير
اكر شب رسد روشني رامباي		هم اندر زمان سوى فرمان كراي
وكر بكذري زين سخن نكدرم		سر وتاج وتخت به بي بيرم

شجرة السرو أمامّ قامتها، وتنثر الدر عندما تتكلم، ويذهب العقـل مــن جمـــال محياها، فيسرد الحكايات عنها، وحدائتها سبب خجلها، فلم ير شخص مثلها على مر الزمان.

ثانيًا: لدى كأس سواء ملاءته بالخمر أو بالماء البارد، لا يــنقص منـــه الشراء فالخمر لو ظل في يد الندماء عشر سنوات يبقى كما هــو كــذلك مــن العجيب أنه يسقيك الخمر ويسقياء الماء البادر ولا ينقص من الشراب.

ثالثًا: عندي طبيب صغير ماهر يعرف الداء من رؤيته لدموع العـــين، ولو مكث سنين في بلاط الملك المظفر، فلن يشكو الملك من أي داء مطلقا.

رابعًا: وعندي فيلسوف من الفلاسفة، يستطيع أن يحدث الملك عن جميع الموجودات سواء عن الشمس الدائرة أو القمر المنير[80].

([80]) الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 13:

وزان بس فرستاده را شـــاه كَفــت		كـــه مـــن دختـــري دا رم در نهفـــت
كـــه كَـــر بينـــدش آفتـــاب بلنـــد		شـــود تيـــره از روى آن ارجمنـــــد
كمند است كَيسوش همرنـــكَ قيـــر		همى آيـــد ازد ولـــبش بـــوى شـــير=
=خم آرد زبالاي او ســـرور بـــن		در افشان كنـــد جـــون ســـرايد ســـخن
زديـــدار وجهـــرش خردبكَـــذرد		همـــــى داســـــتان را خـــــود بـــــرورد
جوخامش بود جاي شرمست وبس		جـــوا ودر زمانـــه نديـــد ســـت كـــس
يكى جام دارم كـــه برمـــي كنـــى		وكَـــــر آب ســـــرد انـــــدرو افكنـــــى
بده سال اكَـــر بـــا نـــديمان بهـــم		نشـــيني نكَـــردد مـــي ازجـــامن كـــم
همت مي دهد جام وهم آب ســـردٌ		شكَفت آنكـــه كمـــى نكَيـــرد زخـــورد

فأرسل الأسكندر عشرة من رجاله لرؤية هذه العجائب. واحضارها، ثم عفا عنه.

ويبدو أن هذه القصة هي احدى الأساطير الإيرانية الهندية المتداولة بين الشعبين، حيث اتصلت الثقافتان قديما واختلطت الأساطير الإيرانية بالأساطير الهندية، ووجد الفردوسي الفرصة سانحة فنظمها وربط بينها وبين الأسكندر[81].

ثم يذكر الفردوسي لنا قصة أخرى يظهر فيها مهارة الأسكندر الفردية في المبارزة والقتال، فيحكي أن الأسكندر واصل سيره في الهند، حتى وصل إلى مدينة قنوج، فنزل بها، وأرسل إلى قائد هندي اشتهر بشجاعته ويدعى (فور) رسالة مملوءة بالتهديد والوعيد، فلما قرأ فور الرسالة، تعجب من أمر الأسكندر، وأرسل له ردا عنيفا، أشعل نار الحرب[82].

فما كان من الأسكندر إلا أنه توجه على رأس جيش كبير جرار لمحاربته، وقد انتهى القتال بينهما بمقتل فور على يد الأسكندر، بضربة قاضية من سيفه، يصفها الفردوسي فيقول:

تقدم الأسكندر في سرعة خاطفة، وأطلق من جعبته سهما نافذا على ذلك الرجل الشجاع.

سوم آنكه دارم يكى نويزشك		كه علت بكويد جوبيند سرشك
اكر باشد او ساليان بيش كاه		زدردى نييجد جهاندار شاه
جهارم نهان دارم ازانجمن		يكى فيلسوفست نزديك من
همه بودنيها بكويد بشاه		زكر دنده خورشيد ورخشنده ماه

([81]) البنداري: الشاهنامه: ترجمة د. عبد الوهاب عزام، ج1، ص31. انظر الحلم وتفسيره مترجما 21 العربية في كتاب من روائع القصص في الأدب الفارسي تأليف زهراي خانلري كياوبر ويزنا تلرخانلري، تعريب الدكتور أمين عبد المجيد، طبع القاهرة.

([82]) الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 20- 21.

فأنفصل رأسه عن جسده، وسقط على الأرض[83].

ثم يشيد الفردوسي بخلق الأسكندر النبيل، وتعاطفه مع شعوب البلاد التي يفتحها، حيث كان يدخل البلاد من أجل حبه للتفح، وليس من أجل البغى وجمع المال، والسلب والنهب، فيذكر أن قواد الهند ذهبوا إليه بعد وفاة فور، وهم في حالة من القلق الشديد، فطيب خاطرهم، وقال لهم:

لقد مات فور الهندي، فلا يجب أن نترككم لأحزانكم.

وسأمنحكم عطايا كثيرة الآن، وأنزع الحزن والخوف من قلوبكم.

وأوزع عليكم كنوزه، فهي محرمة على جيشي./

وسأجعل كل النهود أغنياء، وكأن كان منكم صاحب عرش وتاج[84].

ثم أجلس بطلا هنديا كبيرا من أصل عريق على العرش، ويدعى (سورك)، ونصحه بعدم تبديد الأموال.

يقول الفردوسي:

([83]) نفس المرجع: ص26:

سكندر جو بادادرآمد زكرد		بزد تيز تيغي بران شيرمرد
ببريد بال وسر وكر دنش		زبالا بخاك اندر آمد تنش

([84]) الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 27:

جنين كفت كر فور هندي بمرد		شمارا بغم دل بنايد سيرد
نوازش كنون من بافزون كنم		زد لتان غم وترس بيرون كنم
بيخشم سراسر همه كنج اوى		حرامست بر لشكرم رتج اوى
همه هندوانرا توانكر كنم		بكوشم كه باتخت وافسر كنم

ولاه العرش ونصحه قائلا: لا تبدد الأموال وتنفقها في الخفاء[85].

زيارة الأسكندر للكعبة:

ويذكر الفردوسي بعد ذلك أن الأسكندر دعاه هاتف إلى ضرورة زيارة الكعبة، فتوجه إليها، فقابله هناك رجل يدعي (نصر بن قتيب)، وشكى له ظلم بني خزاعة، فما كان من الأسكندر إلا أن قضى عليهم، وخلص بلاد الحجاز واليمن من ظلمهم، ثم توجه إلى البيت الحرام، فسعد بنو اسماعيل بقدومه[86].

وقد أراد الفردوسي من ذكره للكعبة، أن يصور الأسكندر للقارئ ملكا مؤمنا موحدا بالله عادلا يرفع الظلم عن المظلوم، حيث لم يثبت تاريخيا أن الأسكندر توجه إلى بلاد الحجاز أو اليمن مطلقا.

عودة الأسكندر إلى مصر:

ويذكر الفردوسي أيضا أن الأسكندر توجه من جدة إلى مصر، فاستقبله حاكمها بحشد كبير وبالمال والتاج، فسعد الأسكندر بهذا الاستقبال، ومكث شهرا في مصر، ليستريح هو وجيشه[87].

ذهاب الأسكندر إلى بلاد الأندلس:

ثم أرسل الأسكندر وهو في مصر رسالة شديدة اللهجة إلى ملكة بلاد الأندلس، وتدعى (قيدافه) [88] يطالبها بالخراج يقول فيها:

عندما تصلك رسالتي سيتفتح ذهنك المظلم.

فعليك أن ترسلي لنا الخراج، واعلمي أنه لا طاقة لك بنا.

([85]) نفس المرجع ونفس الصفحة:

سر تخت شاهي بدوداد وكَفت		كه دينار هر كَز مكن در نهفت

([86]) الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 28- 29.

([87]) نفس المرجع، ص 29.

([88]) تذكر الملكة قيدافه في الروايات اليونانية باسم (كندكه)، وكتبت في العربية (قيدافه)، ويبدو أن الفردوسي قد تأثر بما ورد في العربية.

وإذا قاومتينا لن تجدي الا ُعقاب الزمان القاسي.

وخذي عبّرة، مما لحق بدارا وفور[89].

فردت عليه برسالة تقول فيها:

لقد تحقق لك النصر على فور الهندي، ودارا وأبطال السند، فأنتصـــرت عليهم وأطحت برؤوسهم.

وأنت تضعني الآن على قدم المساواة معهم، وتلبس تاج النصر.

لكنني أفوقهم عظمة وجاها وجيشا وثروة ملكية.

فلدي جيش كبير، يفوق جيش أي ملك.

فلو استدعيته من كل جهة، لن يوجد موضع للجلوس في هذا المكان[90].

---

(89) الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 30:

جو اين نامـــه آرنـــد نزديـــك تـــو		در خشـــان شـــود راى تاريـــك تـــو
فرستي بنزديك مـــا بـــاز و ســـاو		بـــداني كـــه بامـــا تـــرا نيســـت تـــاو
وكَر هيج تـــاب انـــدر آرى بكـــار		نبينـــي جـــزاز كَـــردش روز كَـــار
جوانـــدازه كَيـــرى زدارا وفـــور		خـــود آمـــوز كَـــأرت نبايـــد زدور

(90) الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 31:

ترا كـــرد فيـــروز برفـــور هنـــد		بـــدارا وبـــر نامـــداران ســـند
به بيروزي اندرسرت كشت كـــش		ازان نامـــداران شمشـــير كـــش
مـــرا باجوايشـــان برابـــر نهـــى		بســـر بـــر ز فيـــروزي افســـر نهـــى
مـــرا زان فزونســـت فـــر ومهـــى		همـــان لشـــكر وكَـــنج شاهشـــهي

فلما وصلت هذه الرسالة إلى الأسكندر، توجه على رأس جيش إلى بلاد الأندلس. ولما وصل هناك ذهب إلى الملكة قيدافة متنكرا في زي رسول يرافقه عشرة من كبار رجاله.

وقال لهم:

فلنتوجه الآن ولا تنادوني إلا بـ "نطيقون"[91].

لكن الملكة قيدافه استطاعت أن تتعرف عليه، ووجهت إليه نصيحة فقالت:

أيها الملك العظم لا تحدر رأسك عن الشهامة والمروءة، فليس قتل فور الهندي، ودارا بن داراب وعظماء السند دليلا على عظمتك وقدرتك، لأنه لو عاد الدهر يوما بعظمائه، لكان نصيبك منه أكبر، وأنت تقول: انني خبير وعليم بأمور الدنيا، وأنا لا أرى قولك صحيحا، فأين ذهبت خبرتك وفطنتك، فتأتي متنكرا كالأفعى، إنك تحيك لنفسك الكفن وأنت شاب بقدومك متنكرا في شكل رسول، ولكن ليس مذهبي أراقة الدماء وقتل العظماء، لأن أي ملك لا يكون قادرا إلا بأعماله، ولا يكون عالما إلا ببسط العدل وأعلم أن أراقة دماء الملوك، لن تجلب في النهاية إلا إشعال النيران، فأمن وعد مسرورا، وغير أسلوبك هذا بعد عودتك، ثم تعال هنا برسول، ويعرفك بأنك الأسكندر، وطالما أنني أناديك الآن بـ "نطيقون" فأنني مضطرة إلا إجلاسك بعيدا عني، وأعلم أنه لن يعرف شخص سرك ولن يسمع أيضا أسمك أو صوتك، وها أنا أجعلك تعود إلى بلادك على خير، فيجب أن تكون عند حسن ظني، وتأخذ على نفسك عهدا بألا تضمر السوء لابنائي وأقاربي وبلادي، وأن تجعلني ندا لك[92].

هزاران هـزارم بـدر لشكرسـت		كه برهر سرى شهر يـارى سرسـت
وكر خوانم ازهر سوئى زيردسـت		نمانـد بـرين بـوم جـاى نشسـت

([91]) نفس المرجع، ص 33.
([92]) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 37– 38.

فلما سمع الأسكندر هذا الكلام، سر وأمن السوء والقتل، وأقسم لها، بأن لن يفعل إلا الخير والصواب، ولن يفكر في السوء والعدوان، ثم تصالح معهـا، وغادر البلاد هو وجيشه، متجها إلى مدينة برهمن[93].

ويبدو أن الفردوسي كان يقصد ببلاد الأندلس التي تحدث عنها بـلاد الجزيرة من السودان المصري، وذلك لأنه يعرف في التاريخ منذ عهد بعيـد أن ملكات هذه البلد كن يسمين (كنداسة) نسبة إلى الأسرة التي ينتسبن إليهـا، وقـد كشفت الحفائر عن وجود مقابر لهؤلاء الملكات[94].

والواضح هنا ان اسم كنداسة قريب الشبه حدا من (كندكه) في اليونانية، أو (قيدافه) في العربية، هذا بالإضافة إلى أنه لم يثبت تاريخيـا، أن الأسـكندر توجه إلى بلاد الأندلس.

ذهاب الأسكندر إلى مدينة برهمن:

وتختلط الأساطير بالخرافات، فيذكر لنا الفردوسي أسطورة كان هدفـه منها إبراز شجاعة الأسكندر النادرة، وإضفاء لمحة إسلامية عليه وعلى جنـوده من خلالها.

وتحكي هذه القصة أن الأسكندر وصل من مدينة برهمن إلى مكان فرأى بحرا عميقا واسعا لا نهاية له، ورجـالا يلبسـون ثيابـا كالنسـاء، ويتزينـون ويتطيبون ويتحجبون، ولغتهم ليست عربية ولا رومية ولا تركيـة ولا بهلويـة، وغذاؤهم يعتمد كله على الأسماك، ولا يوجد طريق في هذا المكان، وفجأة ارتفع جبل من الماء متلألأ وساطعا كالشمس، فرأى الأسكندر من الصـواب أن يعـد سفينة بسرعة، فقال له أحد الفلاسفة ليس لك طريق في هذا البحر العميق فانتظر حتى يراها شخص يكون لديه قدر من المعرفة، فجلس ثلاثون رجلا من الـروم والفرس، وقفزت سمكة صفراء اللون من ذلك الجبل وسط الجماعة، فغاصـت السفينة في الماء بسرعة هائلة ولم يبق لها أثر، فتعجب جند الأسكندر مما حدث، وذكر كل منهم اسم الله[95].

([93]) الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 38- 46.
([94]) البنداري: الشاهنامه، ترجمة د. عبد الوهاب عزام، ج2، حاشية ص 11- 12.
([95]) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 49.

ذهاب الأسكندر إلى الحبشه:

ثم يذكر الفردوسي واقعة غير تاريخية لكنها من نسج خياله أراد منهـا أظهار مهارة الأسكندر وجيشه القتالية الفائقة فذكر أن الأسكندر اتجه بعد ذلـك إلى الحبشة، بعد أن أمر جيشه بحمل أدوات القتال، فيقول:

تقدم الأسكندر وجيشه لمحاربة الأحباش كالأسد المفترس.

فقتلوا منهم ما يزيد على الأف، وجرحوا كثيرين.

فجرت الدماء بغزارة على الأرض كأنها بحر الصين.

وارتوت بها، وتراكمت جثث القتلى في كل مكان.

فأمر الأسكندر بإلقاء الأخشاب عليها، وإشعال النار فيها(96).

وقد بالغ الفردوسي هنا في تصوير شجاعة الأسكندر وجيشه في القتال، ولكنه إلى جانب ذلك أظهر الأسكندر في صورة المستعمر الباغي الـذي ينكـل بأعدائه، وهذا يتنافى مع الصورة التي رسمها للأسكندر في منظومته الشاهنامه، وهي صور البطل المنتصر والملك الفاتح العادل المؤمن الموحد بالله.

(96) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 50- 51:

برهنه بجنـكَ انـدر آمـد جـبش		غمـى كشـت ازان لشـكر شـيرفش
بكشتند ازايشانت فـزون ازهـزار		بـه بيجيـد ديكَـر سـر ازكـار زار
زخون ريختن كَشت روى زمـين		سراسـر بكـر دار دربـاي جـين
جواز خون درو دشت آلوده كَشـت		زكشته بهر جـاي بـر تـوده كَشـت
بـران تـوده خاشـاكها برزدنـد		بفرمـود تـا آتـش انـدر زدنـد

ذهاب الأسكندر إلى مدينة نوم بايان:

ويذكر الفردوسي أسطورة*أخرى فيقول: أن الأسكندر اتجه بعد ذلك إلى مدينة (نوم بايان)، فلما اقترب منها رأي اناسا لا حصر لهم قد ولـوا وجـوههم صوبه لقتاله بقلوب مملوءة حقدا وكراهية، فقاتلهم جيش الأسكندر، وقضى على معظمهم، ويصف الفردوسي مهارة جيش الأسكندر في القتال فيقول:

عندما اقترب الجيش منهم، أظلمت الدنيا في مدينة نرم بايان.

وشدد عليهم حاملو الأحجار القذف مثل رياح الخريـف عنـدما تطـيح بأوراق الشجر.

وأغار الجند بالسيوف والسهام، فصار النهار المضيء مظلما.

ولما قضى عليهم استراح الأسكندر وانصرف بالجيش[97].

ومرة أخرى تختلط الأساطير بالخرافات فيذكر الفردوسة لنا اسـطورة يصور فيها شجاعة الأسكندر وذكاؤه فيقول:

أن الأسكندر واصل سيرة حتى وصل هو وجيشه إلى مدينة واسـعة لا حدود لها فرأى جبلا شاهق الارتفاع وكأنه يناطح السحاب، ووجد علـى ذلـك الجبل حية، سمها فاتك بالناس، فلم يستطع الجيش أن يمر بجوارهـا، لأن رذاذ

---

(97) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 51:

جو تنكَ اندر آمـد بديشـان سـباه		جهان كشـت بـر نـرم بايـان سـياه
يكى سنكَ بـاران بكردنـد سـخت		جوبـاد خـزان برزنـد بـرد رخـت
به تيغ وبه تير انـدر آمـد سـباه		توكفتى كـه شـد روز روشـن سـياه
جواز نـرم بايـان فـراوان نانـد		سـكندر بياسـود ولشـكر برانـد
بـران تـوده خاشـاكها برزدنـد		بفرمـود تـا آتـش انـدر زدنـد

يرتفع عاليا حتى القمر، فيخرج متوهجا من فمها كالنيران المشتعلة، وهي في ضخامة الفيل ولها ذؤ ابتان هما الفخ لفريستها، وتأكل كل ليلة خمس أبقار وأهل المدينة لا طاقة لهم بها، فأمر الأسكندر جنود، بأن يطلقوا سهما نافذا عليها فتنفست تلك الحية الضخمة نفسا، تألم الكثير بسببه، فأمر الأسكندر بدق الطبول وإشعال النيران في كل ناحية، فلما امتلأ الجبل بأصوات دق الطبول، خافت الحية وتراجعت، فأعطى الأسكندر نقودا لأحد قواده، ليحضر خمس بقرات ويذبحها ويسلخ جلدها، ثم يدهن أجسادها بالسم والزيت، ويلقيها أمام الحية، وفي لحظة ماتت الحية، وخلص الله تعالى بفضل حكمة الأسكندر وذكائه الناس من بلائها[98].

ذهاب الأسكندر إلى مدينة الروم:

ويذكر الفردوسي قصة يبرز فيها للقارئ هدف الأسكندر من فتح بلاد العالم يقول فيها:

أن الأسكندر اتجه وبصحبته قواد الروم إلى مدينة تسمى (هروم) تسكنها النساء، ولما وصل إليها أرسل إليهن رسالة يقول فيها:

إن كل شخص حكيم بصير عاش عمرا طويلا في هذه الدنيا.

قد سمح بما فعلناه في الأرض، وعن كل عظيم أطحنا به.

فكل من يخرج عن طاعتنا، لن يجد إلا الهلاك.

فأنا أريد أن أرى كل مكان في العالم بحيث لا يوجد أي مكان في الغالم خافيا علي.

لذلك فإنني لا أسع من أجل الثروة والمال، بل أسعى من أجل المعرفة.

وحينما جئت إليكن جئت من أجل السلام لا الحرب.

فعندما تقرأ أي إمرأة حكيمه منكن هذه الرسالة.

---

(98) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 51- 53.

فيجب ألا تعارض في مجيئ، فلن يلحق هذا المجـيء الضـرر بـأي منكن(99).

وقد كتبن له رد هذه الرسالة وأرسلته مع رسوله منهم يقلن فيه:

إنك لو جئت بجيشك إلى مدينة هروم لن ترى حدودها.

لأن لمدينتنا ضواحي كثيرة لا حصر لها، وفي كل واحدة منها عشـرة ألاف امرأة.

وطوال الليل نقف مستعدات للقتال، ولكن لا نحب الإغارة على غيرنـا. ولن تجد في أي ناحية تذهب إليها من هذه المدينة إلا بحرا عميقـا لـن تـرى حدوده.

ويجب عليك أن تعبره، سواء كانت حالة الطقس طيبة أم سيئة.

وكل منا في وقت القتال تصبح فارسا مقداما.

(99) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 54.

هر آنكس كله دارد روانـش خـرد		جهـان را بعمـري همـس بسـبرد
شنيد آنكه ما در زمين كـرده ايـم		سـر مهتـرى بـر كجـا بـرده ايـم
كسى كوزفرمان مـا سـر بتافـت		نهـالى جـزاز خـاك تيـره نيافـت
نخواهم كه جائى بـود ودر جهـان		كـه ديـدار آن باشـد از مـن نهـان
زبهـر فزونـى نكـردم همـى		مـن ازبهـر دانـش بـدردم همـى
جو آيم مـرا باشـما نيسـت رزم		بـدل آشـتى دارم وراى بـزم
جو بر خواند اين نامـه بنـد منـد		هر آنكس كه هست ازشـما ارجمنـد
به بنديـد بـيش آمـدن را ميـان		كـزين آمـدن كـس نبينـد زيـان

وأيضا لدينا جيش يتكون من ثلاثين ألف امرأة يكسبن التيجان الذهبية والمجوهرات.

يفتكن بالأعداء في يوم القتال وينكلن بهم.

وأنت رجل عظيم ولك شهرتك، فلا تلطخ اسمك بالعار.

فلو جئت وبرفقتك أبطال الروم إلى مدينة هروم.

قاصدا السلام والود، لن تجد إلا الحفاوة والترحيب.

وأن جئت أيها الملك عازما الحرب والقتال.

سيتصدى لك جيش كبير جرار يعتم الشمس والقمر[100].

---

(100) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 55- 56:

أكَر لشكر آرى بشهر هروم		نه بيني زنعل وزبي روى بوم
بي اندازه در شهر ما برزنست		زبهر فزوني به ننكَ اندريم
زهز سوكه آئى براين بوم وبر		بجز زرف دريا نبيني كَذر
ببايد كَد شتن بدرياي زرف		اكَر خوش بود روز اكَر باد وبرف
زما هركه در روز كَار نبرد		زاسب اندر آرد يكى شير مرد
همانا زما زن برد سي هزار		كه با تاج زرند وباكَو شوار
كه مردى زكَرد روز جنكَ		زجنكَال او خاك شند بيدرنكَ
تو مرد بزركَى ونامت بلند		در نام برخويشتن بر منبد
جو خواهي كه بانامداران روم		بيائي بكَردي بكَرد هروم
جوبا راستى باشي ومردمي		نه بيني جزاز خوبى وخرمى

فلما قرأ الأسكندر الرد قال:

إنني لم أجئ لمحاربة النساء، بالفيلة والطبول والفرسان بل جئت لمشاهدة مدينتكن، ولكن حق قبول زيارتنا أو رفضها(101).

وعندما وصل إلى مدينة هروم، خرجت النساء لاستقباله حاملات التيجان والثياب والجواهر والطيب، فرحب بقدومهن. ولما طلع النهار دخل المدينة وتفقدها، وسألهن عن كل شيء رآه، وشاهد البحر، ثم توجه بجيشه صوب الغرب(102).

ذهاب الأسكندر إلى الظلمات:

ويكمل الفردوسي حديثه فيذكر أن الأسكندر أثناء سيره وصل إلى ضاحية كبيرة، يسكنها ناس وجهاء، وجوههم حمراء اللون، وشعرهم أصفر، ويبدو عليهم جميعا أنهم أبطال حرب، فأمرهم الأسكندر بأن يصطفوا أمامه، وسألهم عن العجائب التي لديهم، فأجابه رجل عجوز قائلا: "أيها الملك الشجاع السعيد الحظ توجد عين ماء عند حدود المدينة لم نر شخصا عندها، وتختفي الشمس الساطعة فيها حين تصل عندها، فتصبح الدنيا حالكة في السواد، ويصير الظاهر خفيا، وقد سمعت كلاما كثيرا عن ذلك المكان، وهو أنه لا يمكن مطلقا إدراك قاعها ويوجد رجل عابد يقول أن ماء تلك الينبوع تسمى ماء الحياة، والشخص الذي يشربها ينعم بالجنة، فاغمل جسدك بها ليطهر من الذنوب، فسأله

وكَر جزيرين باشي أي شهريار		به بيجي زما در صف كارزارا
به بيش تو آريم جندان سبباه		كه تيره شود روى خورشيد وماه

(101) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 56:

نه من جنكَ را آمدم با زنان		به بيلان وكوس وفبيره زنان
مرا راى ديدار شهر سماست		كَر آئيد نزديك ما هم رواست

(102) نفس المرجع، ص 57- 58.

الأسكندر عن كيفية الوصول إلى الظلمات، فأجابه قائلا: يجب أن تمتطى سهراء، فأمر الأسكندر بإحضار حصان قوي، وأختار عشرة آلاف بطل من أبطال الحرب، ثم سار حتى وصل إلى مدينة كبيرة لا حدود لها، وكل شيء فيها يبدو واسعا، ومملوءة بالحدائق والميادينم والقصور، فنزل بها في وقت الفجر، ثم توجه إلى ينبوع الماء بمفرده وانتظر هناك حتى سطعت الشمس، وهبطت في ذلك الينبوع، فتعجب لقدرة الخالق، ورجع إلى جنوده بأفكار وتساؤلات كثيرة تسيطر على عقله، وظل أكثر من أربعين يوما مضربا عن الطعام، حتى بدأ دخان يدعو للعجب، فأرسل جنوده إلى ذلك المكان، فتقدم أحدهم، ثم تراجع، وكان للأسكندر مستشار يسمى (الخضر) فاستدعاه الأسكندر، ووضع ثقته فيه وقال لما يها الرجل الحكيم لى رغبة شديدة في أن أحضر حفنة من ماء الحياة، فإن الكثيرين سيقبلون على عبادتها، فلن يموت شخص لأنها واهبة للروح وسيلجأ لها الملحد عن طريق العمل، فرد الخضر على الأسكندر قائلا: لدى مطرقتان عندما تريان الماء، تنيران الليل المظلم كالشمس الساطعة، فخذ أحدهما وتقدم، وكن حاميا لنفسك، أما الثانية فستنير لي وللجنود الطريق إلى الظلمات، وأنت قائدي ومرشدي للطريق حتى نصل إلى الماء، وساروا يومين متتاليين ليلا ونهارا، لم يذق أحد طعاما خلالهما وفي اليوم الثالث ظهر طريقان وسط الظلمات، فضل الأسكندر الطريق، بينما وصل الخضر إلى ماء الحياة، وكشف سر الحياة في الدنيا، واغتسل بذلك الماء النقي، ولم يفكر إلا في الله، ثم أكل واستراح، ورجع مسرعا وهو يزيد في المدح والثناء على الخالق.

أما الأسكندرخ فق خرج إلى النور، فرأى جبلا عاليا متلألأ، وحينما اقترب منه شاهد (إسرافيل) ينفخ في الصور، فلما أبصر إسرافيل الأسكندر ناداه قائلا:

أيها العبد لا تكن طماعا هكذا، فسوف تسمع ذات يوم صوتا.

يقول لك: أعد نفسك للرحيل عن هذه الدنيا، واعط العرش والتاج لغيرك[103].

([103]) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 61.

والواضح هنا أن الفردوسي قد تأثر في حديثه عن ذهاب الأسكندر إلى الظلمات بالقصة العربية المتأثرة بقصة موسى والخضر التي وردت في القرآن الكريم، ولم يتأثر بالقصة اليونانية، لأنها اختلفت في الحدث، كما أن القصة اليونانية ذكرت أن كاليستنس كان مستشاره في هذه الرحلة وليس الخضر كما ذكرت القصة العربية[104].

بناء الأسكندر سدّ يأجوج ومأجوج:

ثم ينتقل الفردوسي إلى أسطورة أخرى، يؤيد فيها رأي بعض المفسرين المسلمين في أن الأسكندر هو ذو القرنين الذي ورد ذكره في القرآن الكريم فيقول أن الأسكندر اتجه صوب الغرب، فرأى مدينة في الطريق غاية في النظافة وكأن العواطف لم تهب عليها مطلقا، فلما وصل إليها استقبله العظماء على ظهور الأفيلة على مسافة ميلين، فلما رآهن الأسكندر رحب بهم في تعال وكبرياء، وسألهم هل لديهم عجائب لم ير مثلها، فاشتكوا له من فعل الزمان قائلين: "لدينا مشكلة صعبة جدا، فهذا الجبل العالي الذي يناطح السحاب، مصدر التعب والألم والبلاء لنا، فهو الشيء الذي لا طاقة لنا به، فبسبب قوم يأجوج ومأجوج لا يهنأ لنا نوم ولا بال، فعندما ما يغيرون على مدينتنا، يصبنا الغم والبلاء، فجميعهم أصحاب وجوه تشبه وجه الجمل، وألسنتهم سوداء وعيونهم حمراء بلون الدم، ووجوهم سوداء اللون، وأسنانهم طويلة وكبيرة مثل الحراب، وأجسادهمت مغطاة بالشعر، وصدورهم وأثديتهمك وأذانهم ضخمة في حجم الفيل، وسيداتهم تلدن ألف طفل، وصغيرهم وكبيرهم لا حصر له. فلو يدبر الملك لنا حيلة ترفع الغم عن قلوبنا، لوجد الثناء الكثير من كل شخص منا،

كه اى بنده آزجندين مكوش	كه روزى بكوش آيدت بك خروش
كه رفتن بيباراى وبربندرخت	بمان ديكر پرا مر اين تاج وتخت

[104] براون باك: إيران نامه ياكارنامه ايرانيان، جلد دوم، بهره أول، طهران 1321ش، ص 284- 286.

ولدعونا له بطول العمر في الدنيا، فنظر الأسكندر إليهم متعجبا، واغتم وفكر، ثم أجابهم قائلاً: يكون العوذ والحاجة منكم، وتكون المقدرة والعون منا(105).

ويذكر الفردوسي أن الأسكندر أهتم بهم وبمشكلتهم، فبنى لهم سدا يفصل بينهم وبين قوم يأجوج ومأجوج، ويصف الفردوسي عملية بناء هذا السد فيقول: جاء الأسكندر إلى الجبل ونظر إليه، ثم استدعى مجموعة من الفلاسفة، وأمر بإحضار الحدادين، ويجلب كميات كبيرة من النحاس والحديد والمطارق الثقيلة، كما أحضروا كميات لا حصر لها من الحصىً والأحجارخ والحطب اللازمة للبناء، وامتثل أمام الأسكندر عمال البناء والحدادون الماهرون الجديرون للقيام بذلك العمل من أنحاء العالم، كما حضرت أيضا جماعة من ذوي الخبرة والمعرفة من كل اقليم، فبنوا حائطين في مواجهة الجبل، يصل ارتفاعهما من الأرض حتى السحاب، وعرضهما بمسافة مائلة ملك اصطفوا بجانب بعضهم البعض، ثم وزعوا الحديد بجوار بعضه البعض بمسافة ذراع ووضعوا قليلا من النحاس في وسطه، وسكبوا كل المعادن دفعة واحدة على الحائطين، فصارا مرصعين بالمعادن من القاعدة حتى القمة، وبعد ذلك خلطوا النفت والزيت بكميات كبيرقن وصبوها على المعادن، وأشعلوا النيران فيها، وخلطوا المعادن بعضها ببعض، فانصهرت بالنيران وأقامت سدا منيعا، وهكذا تخلصت الدنيا من يأجوج ومأجوج، وساد الأرض الهدوء والسلام(106).

ذهاب الأسكندر إلى الصين:

ثم ينتقل الفردوسي إلى الحديث عن ذهاب الأسكندر إلى الصين فيصوره في صورة الملك القوي المرهوب الجانب، الذي يخشاه ملوك البلاد التي يتقدمها لفتحها فيذكر أنه لما وصل إلى مشارف الصين، أرسل رسالة إلى ملكها (فغفور) يقول فيها:

يجب عليك ألا تخوض غمار الحرب معنا، وإلا ستجد مصير فور ودارا ملك العالم وقرقار وغيرهم من العظماء.

---

(105) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 61- 62.
(106) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 63.

فاذهب من الشرق إلى الغرب، ستجد كل شخص يأتمر بأوامري.

فلو خالفت أي أمر لي، سأطيح بك وببلدك.

وعندما تقرأ رسالتي، أحضر الجزية، ولا تتعب نفسك وتقاومني.

فلو جئت لتراني أنا وجيشي، فستجد مني كل المودة والحسنى.

وسأبقى لكِ التاج والعرش، ولن يصيبك الضرر.

وإذا امتنعت عن المجئ فسيكون الطريق مفتوحا أمامي.

وأرسل لي طرائف الصين من أحصنة وسيوف وثياب وعاج ودبياج.

وكل ما تجده من كنوز، إذا أردت أن تأمن جانبنا.

وحينذاك أعود بجيشي عن الطريق، وأبقى لك عرشك وتاجك[107].

(107) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 68:

نبايــد بســيجيد مــارا بجنــكَ		كه از جنكَ شـد روز بروفـور تنـك
جو دارا كه بـد شـهريار جهـان		جـو قرقـار تـازي وديكـر مهـان
زخــاور بــرو تــادر بــاختر		زفرمــان مــن كــس نيابـد كَــذر
اكــر هــيج فرمــان مــا بشــكنى		تــن وبــوم وكشــور بــرنج افكنــى
جو نامه بخــواني بيــاراى ســاو		مرنجان تن خــويش وبــا مــا مكــاو
كَرآئى به بينــي مــرا بــا ســباه		بــه بيــنم تــرا يكــدل ونيكخــواه
بداريم بر تو همين تــاج وتخــت		بجيــزى كَزنــدت نيايــد زبخــت
وكَر كند باشى بــه بــيش آمــدن		زكشور ســوى شــاه خــويش آمــدن
زجيزي كه باشد طرايـف بجـين		ز زرينــه وتيــغ واســب ونكَــين

وبعد أن قرأ الملك فغفور رسالة الأسكندر، تأثر لما كتب فيها ورد عليه برسالة كلها عتاب وموعظة يقول فيها:

وصل المبعوث البارع اللسان برسالة الملك الخبير العليم.

وقرأت ما كتبته، وقصصته على كبار رجال مملكتي.

لقد منحك الخالق الشجاعة والرجال والجيش الكبير الجرار.

أن أجل أي عظيم حينما ينتهي، يموت سواء في الحرب أو في السلم.

ولما كانت نهاية أجل الملوك يوم قتالك معهم، فإن الزمان لن يقلله أو يزيد عليه مطلقا.

فأنت لست أفضل ولا أعظم منهم، فاصرف عن ذهنك هذه التخيلات.

فأين ذهب فريدون والفحاك وجمشيد، لقد واراهم التراب.

فأنا لا أخشاك، ولا أحب إشعال نيران الحرب لأني لست مثلك عاشقا للقتال.

فليس مذهبي إراقة الدماء ولا إضمار السوء للغير.

وتستدعيني لتلحق الهزيمة بي، أنني أؤمن بالله دون غيره.

وسأرسل لك أكثر مما طلبته، وليس جزاء العطاء التأنيب والعتاب[108].

هم از جامه وبرده وتخت عاج		زدیبای بر مایه وطوق وتاج
زجیزی که یابی فرستی زگنج		جو خواهي که ازما نبایدت رنج
سیاه مرا باز گرد ان زراه		بباش ایمن ازگنج وتخت وکلاه

[108] الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 69:

رسيد آن فرستاده جرب گوى		همان نامه شاه فرهنگ جوى

ثم أرسل له الهدايا وكانت عبارة عن تاج مرصع بالجواهر، وكرسي عرش مصنوع من العاج، وألف جمل محملة بالفضة والذهب والديباج الصيني والحرير والكافور والمسك والبخور والروائح، وألف جمل محملة بمواليد الحيوانات الصينية النادرة، واصطحب هذه الأشياء ألفا حكيم يمتطون الأحصنة الأصيلة بألجمتها الذهبية، وثلاثة مائة غلام بأحزمتهم الذهبية ومعهم ثلاثمائة جمل وبرها أحمر اللون محملة بالكثير من تحف الصين(109).

قلما وصلت الهدايا إلى الأسكندر، سر بها وقال لرسوله:

إذهب إلى الملك فغفور الصيني وقل له: ستجد عندنا كل ود محبة.

ولا يحق لنا الآن أن نقول أن الصين تحت حوذتنا، بل الصين لك.

وليس لنا شأن ببلادكم وليست لنا الرغبة إلى مقابلة جيشكم.

سخنهاي شاهان همه خوانديم		وزان بابزر كان سخن رانديم
جو برمهتري بكذرد روز كار		جه در سور مبرد جه در كار زار
جو فرجامشان روز رزم توبود		زمانه نه كاهد نه هر كز فزود
توزيشان مكن بيشى وبرترى		كه كر زاهنى بيكمان بكذري
كجا شد فريدون وضحاك وجم		فراز آمد از باد وشد سوى دم
من از تونترسم نه جنك آورم		نه بر سان توباد كيرد سرم
كه خونر يختن نيست آئين من		نه بد كردن اندر خور دين من
بخوانى مرا برتوباشد شكست		كه يزدان برستم نه خسرو برست
فزون زان فرستم كه داري منش		نبايد زبخشش مرا سرزنش

(109) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 70.

ونحن نستريح الآن، لأن مثل ذلـــك الجـــيش الجـــرار لا يســـتطيع أن ينصرف بسرعة[110].

واستراح الأسكندر شهرا، ثم رجع هو وجيشه[111].

ذهاب الأسكندر إلى بلاد السند:

ويصور الفردوسي لنا أحدى بطولاتُ الأسكندر القتالية لما توجـــه إلـــى بلاد السند لفتحها فيقول:

تصدى لمحاربته فرسان السند ويعاونهم الهنود.

فلما حل الليل ألحق الهزيمة بهم، واقتحم بجيشه البلاد.

وأسر الكثير من النساء والأطفال والشباب والشيوخ[112].

([110]) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 70.

بـــروبيش فغفـــور جينـــى بكـــوى		كه نزديك هميشـــه خـــرد بـــاد جفـــت
كه كفتى كَر ايدر نباشي رواســـت		همه بوم ماجين وجـــين مـــر تراســـت
ايا شهر وبومت مراكـــار نيسنـــت		ســـباه تـــرا بـــار ديـــدار تيســـت
بيا سايم ايدر كـــه جنـــدين ســـباه		بـــه تيـــزي نشـــايد كشـــيدن بـــراه

([111]) نفس المرجع، ص 71.

([112]) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 71:

يـــذيره شـــدندش ســـواران ســـند		همـــان جنـــكَ را يـــاور آمـــد زهنـــد
شب آمد بران دشت ســـندى نمانـــد		ســـكندر ســـباه از بـــس انـــدر برانـــد
كَرفتنـــد ازيشـــان فـــراوان اســـير		زن وكـــودك وخـــرد وبرنـــا وبيـــر

ذهاب الأسكندر إلى اليمن:

ثم اتجه الأسكندر بعد ذلك إلى اليمن، فلما سمع ملك اليمن بقدومه، خرج ومعه كبار رجال دولته لاستقباله، واختار الهدايا الثمينة والنفيسة اللائقة بـه، وقدمها له، فأثنى عليه الأسكندر، وغادر اليمن في الليل[113].

ويبدو أن الفردوسي قد تأثر بما ذكرته كتب التاريخ من أن الأسكندر كان ينوى غزو بلاد العرب، لكن الأجل لم يمهله، فتحدث عن ذهابه إلى اليمن كحقيقة تاريخية مّن أجل الإشادة به.

حصول الأسكندر على كنز كيخسرو:

ثم ينتقل الفردوسي بعد ذلك إلى الحديث عن عثور الأسكندر على كنز كيخسرو، فيقول أن الأسكندر أثناء سيره إلى بابل بدا له رجل ضخم الجسم مملوء بالشعر، وأذناه كبيرتان، في حجم أذني الفيل، وجسده يبدو من تحت الشعر شديد السواد، فقال للأسكندر أنت تعيش في هذه الدنيا، وهناك حي يشبه الجنة، ولا توجد أرض مثيلته، وأهله يعيشون على الأسماك، وليس لهم غذاء سواها، فأمره الأسكندر أن يذهب إلى ذلك الحي ويحضر شخصا منه ليراه، فذهب إليهم ذلك الرجل الطويل الأذنين على الفور، وسلمهم رسالة الأسكندر قائلا: أن الملك الطيب الذكر يدعوكم لمقابلته، فحضر سبعون شخصا منهم بين شيوخ وشباب أمام الأسكندر، وقدموا له فروض الطاعة والولاء، وتحدثوا معه فترة طويلة، وقالوا له: أننا لدينا كنز كيخسروا وهو يليق بك أيها الملك الجديد، فأسرع الأسكندر صوب مدينتهم، فدخلها وتفقدها ثم اتجه إلى مكان الكنز، فكان الكنز عبارة عن تاج وكرسي عرش ذهبيين، ومجموعة من التيجان والأحزمة والنياشين، فحمله وعاد إلى موقع جيشه مسرورا[114].

والواضح هنا أن شعوبية الفردوسي قد تغلبت عليه، فأراد أن يبين للقارئ مدى حب الإيرانيين للأسكندر، لدرجة أنهم قدموا إليه أثمن وأغلى شيء

([113]) نفس المرجع، ص 71- 72.

([114]) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 73- 74.

لديهم وهو كنز الملك كيخسروه الذي كان أحد ملوك الدولة الكيانية تلك الدولة التي حكمت إيران في العصر الأسطوري.

كما يبدو أيضا أن الفردوسي كان يقصد بتلك المدينة التي تحدث عنها مدينة مكران بإيران وليست مدينة تقع بالقرب من بابل، وذلك لحديثه عن كنز كيخسرو، كما أن مدينة مكران كان أهلها عقد اشتهروا بكثرة أكل السمك، فسميت مكران بسبب ذلك، وأصل كلمة مكران في الفارسية ما هي خوران) أي أكلة السمك[115].

ذهاب الأسكندر إلى بابل ومعرفته بدنو أجله:

ويواصل الفردوسي حديثه فيذكر أن الأسكندر اتجه بجيش كبير جرار إلى بابل، فوصلها ليلا، فسعد العظماء لرؤيته[116].

ثم يحكى الفردوسي لنا حكاية غريبة ويذكر أن الأسكندر عرف منها أن وقت رحيله من الدنيا قد حان يقول فيها: بعد أن وصل بابل ليلا، رزقت سيدة بمولود تعجب الناس منه، فكان رأسه مثل رأس الأسد، وبأرجله حوافر، وله أكتاف مثل الرجال، وذنب مثل ذنب البقرة، ومات فور ولادته، فحمله الناس على الفور إلى الأسكندر، فنظر إليه متعجبا متشائما وقال: يجب أن تختفي هذه السلالة من الدنيا، ثم استدعى الكثير من المنجمين، وتحدث معهم كثيرا في أمر ذلك الطفل الميت، فقالوا له بما أنك رأيت رأس الطفل الميت مثل رأس الأسد، فهذا معناه أن عهد سلطنتك قد انتهى، فاغتم الأسكندر لما سمع هذا الكلام واختل تفكيره، وقال: ليست لدى حيلة أمام الموت، ولا تدبير في هذا الأسر فليس لي عيش في الدنيا أكثر من هذا، ولن يقلله الزمان أو يزيده مطلقا، ومرض ببابل في نفس اليوم، وأدرك أن أجله قد حان، فاستدعى كاتبه وقص عليه ما ورد بذهنه، وأمره بكتابه رسالة إلى أمه، يخبرها أن موته أصبح متوقعا[117].

---

(115) البنداري: الشاهنامه، ترجمة د. عبد الوهاب عزام، ج2، حاشية ص 18.
(116) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 74– 75.
(117) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 75 – 76.

وصية الأسكندر إلى أمه:

وقد كتب الأسكندر في هذه الرسالة وصيته لأمه فقال:

الآن حان وقت رحيلي من هذه الدنيا، وليس لي حيلة أمام الموت.

فانصتي لوصيتي ولا تزيدي عليها.

أولا أعدي لي تابوتا ذهبيا، وكفنا مصنوعا من الأقمشة الصينية اللائقة بي.

وعطرية برائحة العنبر، ولا يحزن شخص على مرض.

وغطى جميع يقوب التابوت بالشحم والكافور والمسك الطيب.

ثم امسحي داخله بماء الورد، بحيث يكون الديباج الصيني من أسفل وما الورد من أعلى.

وبعد ذلك ضعى جثماني بداخله، ورددوا الأناشيد حين تغطون وجهي.

أيتها الأم الحكيمة أعملي بوصيتي حتى يحين يوم رحيلك من هذه الدنيا.

واحتفظي قدر حاجتك مما أحضرته من الهند والصين وبلاد توران ومكران وإيران، ووزعي ما يزيد عن حاجتك منها.

ولي رجاء عندك أيتها الأم العطوف أن تكوني سعيدة ومتفائلة.

ولا تتركي نفسك فريسة للأحزان، فلن يخلد إنسان(118).

---

(118) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 77:

من ايدر همه كار كردم ببركَ		به بيجار كَى دل نهادم بمركَ
باندرز من كَوش بايد كشود		باين كَفت من در نبايد فزود
نخست آنكه تابوت زرين كنيد		كفن بر تنم عنبر آكَين كنيد
ز زر بفت جيني سزاوار من		كسى سر نبيجد زتيمار من

وقد نجح الفردوسي هنا نجاحا عظيما في تصوير الأسكندر في صـورة محببة إلى نفوس القراء وهي صورة الملك المؤمن الراضي بقضاء الله، العادل، الرحيم برعيته حتى آخر لحظات حياته، حيث أوصى أمه بأن تحتفظ بما تحتاجه فقط من الكنوز التي جمعها من البلاد المفتوحة وأن توزع الباقي على الفقـراء والمحتاجين.

وفاة الأسكندر:

ثم امتد المرض على الأسكندر، وأحس بالموت، فجمع جنـود، حولـه ووجه إليهم نصيحته، بين فيها الفردوسي منهج الأسكندر السليم في الحياة فقال:

قال القيصر بصوت ضعيف: كونوا حذرين وأصحاب رأي وحزم.

واعملوا بنصيحتي إذا أردتم أن تعيشوا حياة حرة.

فسيروا على نفس الطريق من بعدي، إن الزمان لم يسىء لي[119].

همـه درز تـابوت مـارا بقيـر		بكـافور كَيريـد ومشـك وعبيـر
نخسـت آكنيـد انـدرو انكَبـين		زبـر انكَبـين زيـر ديبـاي چـين
وزان بس تن من نهيـد انـدروى		سر آيـد سـخن جـون ببوشـيد روى
تويند مـن اي مـادر بـر خـرد		نكَهـدار تـا روز تـو بكَبـذرد=
=زجيزى كه آوردم از هنـدوجين		زتـوران ومكـران وإيـران زمـين
بدار وببخش آنجـه افـزون بـود		وزانـدازه خـورد بيـرون بـود
بتوحاجـت آنسـتم اي مهربـان		كـه بيـدار باشـي وروشـن روان
ندارى تن خويش را رنجـه بـسس		كه ايـدر نمـا ندسـت جاويـد كـس

(119) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 78.

وبعد أن أنهى كلامه فاضت روحه[120]، فحزن الجنود على موته حزنا شديدا يصفه الفردوسي فيقول:

ارتفع الصراخ عاليا من جميع الجنود يتخلخل الهواء من شدته.

وغطوا رؤوسهم بالتراب، وبكوا دما من أعينهم[121].

دفن الأسكندر بمدينة الأسكندرية:

وقد نفذت أمه وصيته، فغسلوه بماء الورد الصافي، ودهنوا جسده بالكافور، وأعدوا له كفنا من الديباج الصيني، وغطوا جسده بالديباج وعطروا قدميه بماء الورد، ثم حملوا نعشه لدفنه في الأسكندرية[122].

ويصف الفردوسي استقبال شعب الأسكندرية لنعشه فيقول:

هاجت الدنيا عندما وصلوا به إلى الأسكندرية.

ووضعوا نعشه في مكان فسيح، وامتلأت المدينة بالتساؤلات.

وتجمع الناس من رجال ونساء وأطفال حوله.

ولو قدر احصاء أعدادهم الهائلة، لوجودها تزيد عن مائة ألفا"[123].

جنين كفت قيصر بآواي نرم		كه ترسنده باشيد وبا را وشرم
از اندرز من سربسر مكذريد		جو خواهيد كزجان وتن برخوريد
بس ازما شمارا همين است كار		نه با من همي بد كند روز كار

(120) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 78.

(121) نفس المرجع، ص 78:=

=زلشكر سراسر برآمد خروش		هوا را بدريد از آواز كوش
همه خاك برسرل همي ريختند		زمز كان همي خون دل بيختند

(122) نفس المرجع ونفس الصفحة.

رثاء حكماء اليونان للأسكندر:

ويصف الفردوسي رثاء ارسطو فيقول:

تقدم الحكيم أرسطو أمام حشد من الناس، وعيونه تسكب دما.

وقال بعد أن وضع يده على التابوت: أيها الملك المؤمن.

أين فطنتك ومعرفتك ورأيك، حيث صار هذا الصندوق الصغير مكانا لك.

لقد كنت مصدر القوة في أيام شبابك، فلم اخترت التراب مكانا لمرقدك[124]؟.

كما اجتمع حكماء الروم ورثوه فقال أحدهم:

---

[123] الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 79.

جو بردند اورا باسكندري		جهانرا دگر گونه شد داوري
بهامون نهادند صندوق اوى		زمين شد سراسر براز گفتگوى
باسكندري كودك ومرد و زن		بتابوت او بر شدند انجمن
وگر بر گرفتي زمردم شمار		مهندس فزون آمدى صد هزار

[124] نفس المرجع، ص 79:

حكيم ارسطاليس بيش اندرون		جهاني برو ديد گان برزخون
برآن تنگ صندوق بنهاد دست		جنين گفت كاى شاه يزدان برست
كجا آن هش ودانش وراى تو		كه اين تنگ تابوت شد جاى تو
بروزجواني بدين مايه سال		جرا خاك را بر گزيدى نهال

أيها الملك الضخم الجسد، ما أكثر ما أطحت بهم، وما أكثر ما حققت من أمجاد، فأين ذهب حزمك وهمتك ورأيك السديد؟

وقال آخر:

لم يفلت شخص من قبضتك، فلم صافحت الموت؟

وقال آخر:

لقد استرحت من المتاعب والآلام، وأيضا من البحث عن الملك والجاه.

وقال آخر:

واحسرتاه، لقد انقضى عهدك، ووقف لسانك عن الكلام.

وقال آخر:

يا من تفوق الشمس والقمر، لم أحتجب وجهك الجميل عن أمتك[125].

رثاء أمه وزوجته روشنك له:

ويختتم الفردوسي حديثه عن الأسكندر في الشاهنامه برثاء أمه وزوجته له فيقول:

---

[125] الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 79- 80:

حكيمـــان رومـــى شـــدند انجمـــن		يكى كفـــت كـــاي بيـــل روئينـــه تـــن
زبايت كه افكند وجايت كه جسـت		كجـــا آن همـــه حـــزم وراى درســـت
دكر كفت كزدست توكس نجسـت		جرا ســـودى اى شـــاه بـــامرك دســـت
دكر كفت كاسودى از درد ورنــج		هـــم از جســـتن بادشـــاهي وكـــنج
دكر كفت روزك تواتـــدر كذشـــت		زبانـــــت زكفتـــــار بيكـــــار كشـــــت
دكر كفت كاي برتر ازماه ومهــر		جهيوشي همي زانجمن خـــوب جهـــر

وبعد ذلك جاءت أمه بسرعة، وحكت وجهها في صدرها مرات عديدة، وقالت:

أيها الملك الشهير الفاتح السعيد الحظ المؤمن.

لقد رحلت عني وعن المتاعب والجيش والأمة.

لتكن روحي عبدة لروحك، ولتنصرف السعادة عن قلبي.

ثم جاءت زوجته روشنك والأحزان تعتصرها وقالت:

أيها الملك الحر الفاتح الغازي أين دارا؟ لقد أفتقدته الدنيا أيضا.

وكذلك خسروا رأسك وقرقار وخاقان الصين وملك شهرزور.

وملوك آخرون استشهدوا في يوم القتال.

لقد كنت مثل السحاب من حيث السرعة والرفعة، فقلت لك لقد أمنت من الموت.

وجاز لي أن ألقبك بأنك العدل للزمان والأمين على شعبك.

من كثرة الحروب وإراقة الدماء في البلاد التي استوليت عليها بجيوشك.

وعندما قضيت على عظماء العالم، أطحت بتاج السلطنة.

وعندما سقطت الأمطار على الشجرة التي زرعتها، رأيت التراب مزيلا لغمك.

وحتى لو بقيت ذكرى سيئة عنك الآن، فقد عفا الله عما سلف ولتنعم بجنة الخلد(126).

---

(126) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 81:

وزان بس بيامد دوان مادرش		فراوان بماليد رخ بريرش
هميكفت كاى نامور بادشا		جهاندار ونيك اختر وبارسا=

وكان رثاء أمه وزوجته هو خاتمة الحديث عن الأسكندر في الشاهنامه.

وفي الحقيقة فقد وفق الفردوسي توفيقا كبيرا في إبراز المكانة الرفيعة التي كان يحتلها الأسكندر في العالم للقارئ، وذلك بتصويره لمظاهر حزن وجزع جنوده وشعب الأسكندرية وحكماء بلاده وأمه وزوجته على وفاته، من خلال رثائهم له.

=بنزديكى اندرو تو د ورى زمن		هم ازد وده ولشكر وانجمن
روانم روان ترا بند باد		دل هركه زين شاد شد كند هباد
وزان بس بشد روشنك بر ز درد		جنين كفت كاى شاه آزاد مرد
جهاندار داراى دارا كجاست		كزو داشت كيتى همه بشت راست
همان خسرو واشك وفرقار وفور		جوخاقان جين وشه شهر زور
دكر شهريار ان كه روز نبرد		سرانشان زباد اندر آمد بكرد
جوابرى بدى تند وبارش تكرك		تراكفتم ايمن شدستي زمرك
زبس رزم وبيكار وهون ريختن		بهر مرز بالشكر آويختن
زمانه ترا داد كفتم جواز		همى دارى از مردم خويش راز
جو كردى جهان از بزر كان تهى		بينداختى تاج شاهنشهى
درختى كه كشتى جو آمد ببار		همى خاك بينم ترا غكار
وكر ماند ايدر زتو نام زشت		نيابي عفى الله خرم بهشت

تقويم قصة الأسكندر عند الفردوسي

قد أثرت شعوبية الفردوسي تأثيرا واضحا في معالجته لقصة الأسكندر في منظومته الشاهنامه، فقد هدف منذ البداية إلى محو عار هزيمة بلاده على يد الأسكندر، وذلك باختلافه قصة ادعى فيها أن الأسكندر إيراني الأصل. وقد دفعه هذا الإدعاء إلى تصوير الأسكندر في صورة الملك الفاتح المظفر، والبطل الغازي الشجاع، الذي يقوم بالغزوة تلو الغزوة، ويخوض المعركة تلو المعركة، محققا النصر في كل منها، بفضل قيادته الحكيمة لجيوشه أو مهارته الفائقة في المبارزة الفردية مع خصمه.

لذلك بمجرد أن تولى عرش بلاد اليونان فكر في التوجه صوب إيران لاسترداد عرش أبيه، الذي كان قد انتزعه منه أخوه، وفي الطريق سيطر على ما صادفه من بلاد ثم حقق ما كان يصبو إليه من استعادة عرش إيران وبعد ذلك خرج من إيران مكتسحا لأنحاء العالم المختلفة.

وبما أنه إيراني فقد حرص الفردوسي أيضا على تصوير الأسكندر في صورة الملك العادل الذي يغزو البلاد من أجل الفتح، وليس من أجل البغي وجمع المال فبعد أن تولى عرش إيران أعفى العالم من الخراج لمدة خمسة أعوام، وأنعم على الفقراء دون المساس لأموال الأغنياء، كما أوصى أمه حين أحس بالموت ألا تحتفظ بأكثر مما تحتاجه من الأموال التي جمعها من البلاد المفتوحة، وأن توزع الباقي على الفقراء والمحتاجين من الرعايا.

وأن كانت صورة العدل هذه والنابعة من تعصب أعمى قد خدشت في بعض المواقع، فعلى الرغم من أنه تحدث عن انتساب الأسكندر للأصل الفارسي بتلك الصور المختلفة، ألا أن شعوره الحقيقي تجاه الأسكندر الأجنبي الفاتح قد غلب عليه في بعض المواطن، حيث صورة مرة في صورة المستعمر الباغي العاشق للقتال كرفضه الصلح والسلام مع الملك دارا الثالث ملك بلاده، وتارة في صورة القاسي القلب السافك للدماء، وذلك من خلال تصويره لقتاله مع

الأحباش، وتنكيله بأشلاء قتلاهم، وتارة أخرى في صورة الملك الضعيف القليل الحيلة والذكاء، ويبدو ذلك في تصوير ضعفه وخضوعه لملكة بلاد الأندلس.

أيضا من الملاحظات التي تؤخذ عليه أنه ترك نفسه سجينها عند نظمه لقصة الأسكندر، فلم يبين للقارئ في أثناء حديثه أي جهة من العالم توجه إليها الأسكندر، والبلدان التي قام بفتحها في هذه الجهة، لذا جاءت أحداث القصة متداخلة غير مترابطة مما يشتت فكر القارئ، ويصرفه عن تتبع سير أحداث القصة.

وقد حرصت على ذكر سير القصة كما رواها الفردوسي في شاهنامته دون أن أعدل في سير الأحداث حتى يدرك القارئ مدى التخبط الذي وقع فيه الفردوسي، وعدم التزامه الدقة في الانتقال من بلد إلى بلد ويغفر للفردوسي ذلك إذا أخذنا ما كتبه على أنه حديث بطولة وليس حديث تاريخ يلتزم فيه صاحبه الدقة والمنطق وخط منتظم لسير الأحداث.

وعلى الرغم من هذه المآخذ، يمكن القول بأن الفردوسي قد وفق توفيقا عظيما، على الرغم من غلبة الأساطير على قصته في تحقيق هدفه منها، وهو اقناع القارئ بأن الأسكندر كان ملكا فاتحا مظفرا، وبطلا غازيا شجاعا، وأنه استحق هذا القدر من الاهتمام في الشاهنامه لكونه أحد الملوك الإيرانيين القدماء، وليس غريبا عن هذه الأرض التي جعل الشاهنامة محورا للحديث عن ملوكها وأبطالها في العصور الأسطورية والتاريخية قبل الإسلام.

وهكذا كانت صورة الأسكندر في معظمها لدى الفردوسي صورة شعوبية الهدف منها الدفاع عن وطنه وأنه لم يغلب من أي عدو خارجي قبل الإسلام. وأن كل من حكموا إيران كانوا من أصل إيراني سواء أكان هذا الأصل واضحا للعيان أو خفى إدراكه- كالاسكندر- على البعض.

الباب الثالث

"أسكندرنامه"

القصة النثرية المؤلفة في بداية القرن السادس الهجري

أولاً: قصة الأسكندر كما صورتها القصة النثرية أسكندرنامه:

تعد القصة النثرية الفارسية (اسكندرنامه) العمل الثاني في الأدب الفارسي، تحدث عن الأسكندر بعد الشاهنامه، وتعد في نفس الوقت أيضا أول عمل أدبي فارسي مستقل بذاته عن الأسكندر المقدوني.

لم يبق من أسكندرنامه هذه إلا نسخة خطية وحيدة موجودة في مكتبة السيد سعيد نفيسي الخاصة بطهران تحت رقم (1306) وتقع في 508 صفحة. وأولها وآخرها ضائعان[127]، كما سقطت صفحات من عدة مواضع متفرقة من هذه النسخة، بالإضافة إلى أن هناك عدة صفحات قد تقطعت أطرافها، فضاعت بحواشيها[128].

وقد كتبت هذه النسخة الخطية على ورق سميك أصفر اللون، ويعرف نوعه باسم (البغدادي) وبخط نسخ واضح باللون الأزرق، والعناوين باللون الأحمر، وتحتوي كل صفحة على عشرين سطرا. كما ذكر كاتب هذه النسخة اسمه في موضع منها وهو (عبد الكافي بن أبي بركات).

وقد تحقق لهذه النسخة الخطية الوحيدة أن تطبع تحت إشراف السيد ايرج أفشار رئيس مكتبة جامعة طهران المركزية عام 1343هـ.ش[129].

وقد كتب لها مقدمة تقع في سبع وثلاثين صفحة تحدث فيها عن ما فعله بشأن هذه النسخة أثناء الطبع، فأشار إلى السمات التي اتسمت بها النسخة الخطبة من الناحية اللغوية[130]، كما أشار إلى ما قام بتصويبه من الحروف والكلمات أثناء الطبع تيسيرا على القارئ[131]، ثم كتب تعريفا لكل شخصية من

---

(127) أسكندرنامه: تصحيح ايرج افشار، طبع طهران 1343ق، المقدمة، ص 33.
(128) المرجع السابق: المقدمة ص 33- 34. د. عبد النعيم حسنين: نظامي الكَنجوى، ص 430.
(129) اسكندرنامه: المقدمة، ص 37.
(130) المرجع السابق: المقدمة، ص 30- 33.
(131) المرجع السابق: المقدمة، ص 35- 37.

الشخصيات التي وردت في قصة (أسكندرنامه) [132]، وتقع القصة بعد الطبع في سبعمائنة واحدى وسبعين صفحة، وهذه الطبعة هي التـي سـأتناولها بالبحـث والدراسة[133].

ومن أسف أن مؤلفها ليس معروفا لنا أيضا، ولا التاريخ الذي ألفت فيه. وقد رجع بهار ملك الشعراء أنها كتبت في القرن السادس الهجري، كما يبدو من خطها المنسوخ بطريقة تميل إلى الثلث، حيث كان شائعا اسـتعماله فـي ذلـك القرن[134].

كما أيد ايرج افشار رئيس المكتبة المركزية بجامعة طهران قول بهـار بالقياس إلى الخط المكتوبة به، ونوع الورق المستخدم في الكتابة وقال أنها كتبت في القرن السادس الهجري ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون متأخرة عن القرن الثامن الهجري.

ويذكر ايرّج افشار في دليلين آخرين على صحة ما ذهب إليـه قولـه: استعمل المؤلف ألفاظا وأفعالا واصطلاحات وعبارات تدل على أنه اطلع علـى كتب غير تاريخية مثل (سمك عيار) و (داراب نامه) و (هماى نامه) كما أطلـع على كتب التاريخ التي ألفت من قبله مثل تاريخ الطبـري وجوامـع الحكايـات لمحمد عوفي.

والدليل الآخر يتمثل في ذكره بعض الأحداث في القصة، وهذه الأحداث ليس لها علاقة بالعصر الذي عاش فيه الأسكندر، ولكنها قريبـة أو معاصـرة لعصر المؤلف، وألحقها هو بقصة الأسكندر، وهي تساعدنا على تحديد تـاريخ التأليف، فقد ذكر- على سبيل المثال- الأسرة القرة خانيه التـي حكمـت إقلـيم التركستان من (320هـ= 925م) حتى (560 هـ= 1165م) [135].

([132]) المرجع السابق: المقدمة، ص 39- 43.
([133]) لم أتمكن من الحصول على نسخة مطبوعة كاملة، وقد تفضلت زميلـة لـي مشـكورة بتصوير المقدمة وأولها وآخرها وأجزاء منها لي أثناء سفرها إلى إيران.
([134]) بهار: سبك شناسي، طهران 1321، جلد دوم، ص 129.
([135]) اسكندرنامه: المقدمة: ص 22- 24.

وهناك قرينة أخرى تدل على أن هذه القصة قد ألفت في أواخر القرن الخامس الهجري أو أوائل القرن السادس الهجري، حيث ذكر الفردوسي ومنظومته الشاهنامه في مواضع كثيرة مما يدل على أنها ألفت بعد الفردوسي(136).

وقد قيل أن هذه القصة هي نفس القصة المترجمة عن اليونانية التي قام بكتابتها الحكم اليوناني كاليستنس لكن بهار استبعد هذا القول، وذكر أن هذه القصة الفارسية قد تكون أقرب إلى الترجمة العربية لهذه القصة اليونانية(137).

وقد أيد الأستاذ الدكتور عبد النعيم حسنين قول بهار هذا، وذكر أن قصة الأسكندر التي نسبت إلى كاليستنس، قد ترجمت إلى العربية في العصر العباسي بتشجيع من السامانيين ثم امتزجت بقصة أبي كرب شمر بن يرعش الملقب بذي القرنين الذي حيكت حوله قصص كثيرة، واختلطت القصتانت للتشابه فيما بينهما، ولقب الأسكندر بذي القرنين، ثم ترجمت القصة بعد ذلك إلى الفارسية(138).

والحقيقة أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون هذه القصة النثرية (أسكندرنامه) هي قصة كاليستنس اليونانية وذلك لعدة أسباب:

أولاً: كما سبق أن ذكرت أشار مؤلفها إلى الفردوسي ومنظومته الشاهنامه، وهذا يدل على أنها ألفت بعد عصر الفردوسي، كما تأثر أيضا بالموضوعات التي وردت في الشاهنامه وهذا سوف أوضحه بعد ذلك.

ثانيًا: ورد في القصة شواهد إسلامية في مواضع كثيرة مما يدل على أن مؤلفها كان مسلما، فعلى سبيل المثال يقول: خداي عز وجل، خداي تعالى، بعون ايزد تعالى، بندارى سليمان(139).

---

(136) د. عبد المنعم حسنين: نظامي الكَنجوى، ص 431 نقلا عن القصة النثرية الخطية، ص 90، وفي مواضع أخرى.

(137) بهار: سبك شناسي، جلد دوم، ص 128.

(138) د. عبد النعيم حسنين: أسطورة الأسكندر ذي القرنين: مقالة منشورة بمجلة المجلة العدد 47 الصادر في نوفمبر 1960م.

(139) أسكندرنامه: ص 751، 759، 760، 761.

ثالثًا: وردت في القصة أساليب عربية مما يدل على أن مؤلفها كان يعرف العربية فعلى سبيل المثال يقول: رحمة الله عليه، توكلت على الله، سبحان الله العظيم، الملك، زاهدة صفة لكلمة دختر مؤنث زاهد[140].

رابعًا: لقب الأسكندر في عدة مواضع من القصة بذي القرنين، فذكره في بعض العناوين باسم "الملك الأسكندر ذي القرنين"[141] هذا دليل على أن هذه القصة ليست ترجمة عن القصة اليونانية، كما أن المؤلف بعد أن تحدث عن قصة مجيء الأسكندر إلى الدنيا، وتبشير المنجمين لجده فيلقوس بأنه سيصبح ملكا على العالم من مشرقه إلى مغربه علق وقال:

لقد أوردت هذه القصة من أجل أن تعلم من هو ذو القرنين؟ وكيف حالة وولادته؟ ولم سمى بذي القرنين؟ وتوجد أقوال بشأن هذا الأسم، قد وردت في كتب أخرى. ونحن لم نذكر هذه القصة في البداية لأنها لم تكن معروفة[142].

ومن هذه الأدلة والأسباب نستطيع أن نقول أن هذه القصة النثرية (أسكندرنامه) قصة فارسية إسلامية من تأليف مؤلف فارسي الأصل، تأثر بما كتبه الفرس من قبله عن الأسكندر، وبما كتبه المفسرون العرب عن ذي القرنين.

أما بالنسبة للموضوعات التي تناولتها القصة النثرية أسكندرنامه فهي عبارة عن مزيج من التاريخ الحقيقي والتاريخ الأسطوري، إذ بدأت بالحديث عن (داراب بن بهمن بن اسفنديار) وقهره لبلاد الروم، وإجبارها على دفع خراج له مقداره بيضة ذهبية وهدايا وتحف ثمينة. ثم تحدثت عن زفاف اينة فيلقوس ملك الروم إلى داراب بن بهمن ملك إيران، وحب داراب وتكريمه لها عن بقية نسائه لدرجة أنه أسقط الخراج عن بلاد الروم من أجلها[143] ثم تحدثت عن الرائحة

([140]) نفس المرجع: ص 750، 751، 752، 757.

([141]) نفس المرجع: ص7.

([142]) أسكندرنامه: ص 5.

النص: وأين قصة ازبهر آن كفته مى آيد تابداني كه اين ذو القرنين كه بود، وحال وزارن اوجكونه بود، واورا جرا ذو القرنين خوانند – ودرين اسم أقوال است وشرح آن در ديكر كتب معتبر يادكرده اند، وماتا أين قصة ازوال نكوييم معلوم نشود.

([143]) أسكندرنامه: ص 4.

الكريهة التي كانت تنبعث من فمها، ونفور الملك داراب منها، واعادتها إلى أبيها أحشائها جنين.

وقد أخفى أبوها فيلقوس نبأ حملها عن الناس، ولما وضعت الأسكندر، أشاع بين الناس أنه رزق بمولود من جارية. وقد بشره المنجمون بأنه سوف يصبح ملكا على العالم من مشرقه إلى مغربه، فرباه وعلمه أصول ونظم الملك، ليكون وليا على عرشه.

ثم تحدثت القصة بعد ذلك عن جلوس الأسكندر على العرش، وعن عدله وأنصافه، وفرحة الملوك بتولية عرش بلاد الروم، وتوافد الرسل ببرقيام التهنئة عليه(144).

كما ذكرت القصة أن الأسكندر عرف من أمه فيما بعد أن أباه هو داراب الثاني بن بهمن ملك إيران، ثم انتقلت القصة للحديث عن محاربة الأسكندر لأخيه دارا وفوزه عليه، ومقتل دارا على يد واحد من وزيريه، وإعدام الأسكندر لهما عقابا لجنياتهما(145).

بعد ذلك انتقلت القصة إلى الحديث عن فتوحات الأسكندر فذكرت أن الأسكندر ذهب إلى مدينة عمان، فقدم ملكها الهدايا له، حتى يتجنب قتاله، فعفا عنه الأسكندر، ولم يحاربه(146).

ثم توجه بعد ذلك الأسكندر إلى الهند وتزوج ابنة ملكها فور(147)، ثم دخل كشمير وسرانديب(148).

ثم انتقلت إلى الحديث عن زيارة الأسكندر لقبر آدم عليه السلام، وذهابه إلى مدينة الذهب(149). وبعد ذلك عن توجهه إلى بلاد الحجازة ودخوله مكة، ثم زيارته لقبر الرسول عليه السلام(150).

---

(144) اسكندرنامه: ص 5.
(145) أسكندرنامه: ص 7-12.
(146) نفس المرجع: ص 13- 16.
(147) نفس المرجع: ص 16- 24.
(148) نفس المرجع: ص 25، 58.
(149) نفس المرجع: ص 80-95.
(150) نفس المرجع: ص 101- 106.

وتمضي القصة بعد ذلك فتذكر أن الأسكندر دخل اليمن[151]، ثم مصر[152] ومنها إلى بلاد الأندلس[153]، ثم ذهب إلى الظلمات بحثا عن ماء الحياة[154]، وبعد خروجه من الظلمات ذهب إلى البحر الأخضر، ومنه إلى إقليم إلتركستان[155]. ثم توجه الأسكندر بعد ذلك إلى الصيين، فتأمرت زوجة ملكها- التي ذكرت القصة أنها كانت خالة الأسكندر - معه على قتل زوجها، في حين تأمر أبناء خاقان الصين مع إحدى الجواري على وضع السم للأسكندر للانتقام منه، لكن الأسكندر اكتشف المؤامرة بذكائه وفراسته[156].

وبعد الصين توجه الأسكندر إلى ولاية طغماج[157]، ومنها إلى ولاية الروس[158].

أما الجزء الباقي من القصة فكله يتناول حروب الأسكندر مع الشيطان والأشرار والزنوج والترك الكفرة.

([151]) نفس المرجع: ص 107.
([152]) نفس المرجع: ص 132.
([153]) اسكندرنامه: ص 192.
([154]) نفس المرجع: ص 206.
([155]) نفس المرجع: ص 221.
([156]) نفس المرجع: ص 256- 297.
([157]) نفس المرجع: ص 313.
([158]) نفس المرجع، ص 409.

ثانيًا: مقارنة بين ما ورد في الشاهنامه والقصة النثرية عن الأسكندر

نقسم المقارنة بين ما ورد في الشاهنامه والقصة النثرية عن الأسكندر إلى قسمين:

أ- الموضوعات التي تناولتها كل منهما.

ب-شخصية الأسكندر.

وإذا تحدثنا عن الموضوعات التي تناولتها كل منهما، سنجد أن مؤلف القصة النثرية (أسكندرنامه) قد تأثر بالموضوعات التي تناولها الفردوسي عن الأسكندر في الشاهنامه، إلى حد كبير اتفق مع الفردوسي في الأحداث الرئيسية لهذه الموضوعات وإن اختلف عنه في الأحداث الثانوية. فعلى سبيل المثال اتفق مع الفردوسي في أصل الأسكندر وأن أباه داراب بن بهمن، وأمه ابنة فيلقوس ملك بلاد الروم، وحروب الأسكندر مع أخيه دارا، وانتصاراته عليه والاستيلاء على عرش إيران، وتأثره لوفاة أخيه دارا، ومعاقبته لوزيريه لخيانتهما. لكنه اختلف عنه في الوصية التي أوصاها دارا لأخيه الأسكندر، فمثلا ذكر الفردوسي أن دارا أوصى الأسكندر بأن يتزوج ابنته (روشنك)، وأن يعاملها معاملة طيبة[159]. أما القصة النثرية فتذكر أن روشنك زوجة دارا، وقد أوصى دارا الأسكندر قائلا:

يا أخي هكذا صار حالي، وهذا قضاء الله وقدره ولا اعتراض عليه. والآن لي أبناء وبنات وزوجات، فلي زوجتان احداهما حبلى، ولا أعرف ما ستلده، واسمها روشنك وهي من نسل العظماء، إذ أنها ابنة كودرز الأصفهاني، فإذا وضعت ولد اسمه (بهمن) وزوجته لابنتك وإذا وضعت بنت اسمها (هماي)، وزوجها للشخص الذي تريده، على أن يكون اسمه اسفنديار.

(159) أنظر ص 44 بالرسالة.

أما الثانية فهي ابنة ملك الهند، وهي حبلى كذلك منذ ستة أشهر، وقد أحضرتها من مدة قصيرة من سرانديب، فأعدها بجهازها إلى الهند، حتى يزوجوها بآخر، لأنها شابة وإذا أردت أن تتزوجها فلك مطلق الحرية[160].

وقد نفذ الأسكندر وصية دارا، فأرسل ابنة ملك الهند بجهازها إلى بلادها، أما الزوجة الثانية روشنك، فقد وضعت بنتا، ولكنها ماتت[161].

اتفقت القصة النثرية مع الشاهنامه في ذهاب الأسكندر إلى الهند ولكنها اختلفت عنها في أنها ذكرت أن الأسكندر تزوج ابنة فور الهندي.

كذلك اتفقت مع الشاهنامه في ذهاب الأسكندر إلى الصين، لكنها اختلفت عنها في الأحداث التي دارت هناك كتآمر زوجة ملك الصين التي ذكر المؤلف أنها خالة الأسكندر على قتل زوجها، وتآمر أبناء ملك الصين على سم الأسكندر واكتشافه للمؤامرة.

كذلك أضافت القصة النثرية على الموضوعات التي تناولتها الشاهنامه موضوعات ذهابه إلى التركستان وطغماج، وحروبه مع الروس والزنج والشيطان والترك والكفرة، وزيارته لقبر آدم عليه السلام ولمدينة الذهب.

أما القسم الثاني وهو ما يتعلق بشخصية الأسكندر في كل من الشاهنامه والقصة النثرية (أسكندرنامه) سنجد أن شخصية الأسكندر في القصة النثرية

---

(160) أسكندرنامه: ص10-11.
النص: أي برادر بدان كه كار من ببود وحكم خداى تعالى جنين بود وبر حكم أو اعتراض نيست اكنون فرزندان وعورت دارم وزنان دارم ويك زن آبستن است ندانم جه زايد، وأن زني را نام روشنك است وازنسل بزر كانست واز فرزندان كودرز أصفهاني است. اكر بسر زايد تودختر خويش را بد وده ونامش بهمن كن واكر دختر زايد نام او هماى كن وبدان كس ده كه تو خواهى باشد كه نام اسفنديار بماند. ودختر شابه هندوستان شش ماهه آبستن است ونزديك استكه اورا از سرانديب آورده ام اورا باجهاز او جملة باهندوستان فرست تابدامادى ديكر دهند كه أو زنى جوانست واكر تو مى خواهى اورا بخواه.

(161) اسكندرنامه: ص 11.
النص: دخترشاه هندوان را باجمله جهاز به هندوستان فرستاد وآن زن ديكر كه نام اوروشنك بود باربنهاد ودختري آورد وخود نماند.

اختلفت اختلافا واضحا عن شخصية الأسكندر في الشاهنامه، فقد صورت الشاهنامة الأسكندر في صورة الملك الثائر المهاجم المصمم على استرداد عرش إيران من أخيه دارا، وقد حاول دارا الصلح معه مقابل أن يعطيه كنوز ملك إيران وكنوزه، وأن يكون تابعا له، لكن الأسكندر رفض[162]. أما القصة النثرية فقد صورت الأسكندر في صورة الملك المسالم الذي لا يبغى الحرب والقتال ويريد الصلح والوئام، ودارا يرفض هذا، فمثلا ذكرت القصة أن الأسكندر عندما وصل إلى إيران، وسمع اسم أبيه بكى وأرسل رسالة إلى أخيه دارا يقول فيها:

"أنني لم آت إلى هنا لأخذ العرش منك أنك تطالبني بدفع خراج الروم، وأبوك داراب الذي كان أعظم منك قد كف يده عن خراج الروم، فأنت الآن تزرع العداء، وبيني وبينك صلة وقرابة، وأنا لا أريد أن أعلن العداء معك، لأن بسببه سيضطرب حال العالم ويقتل الخلق ويعود البلاء على وعليك، فأدرك أن أباك قد أعطاك الملك ولم يحرمك منه، فلا تضعه من يدك واستمع إلى كلامي من باب النصيحة فهذه الدنيا فانية، ولن يخلد فيها أي شخص مطلقا، وينبغي أن تبقى الذكرى الطيبة عن الملوك. فأسلك سلوكا طيبا، ولا تسلك طريق القتال والنزاع، واتبع سيرة أبيك وسياسته فقد كان ملكا موفقا، إنني لم أجئ لأخذ عرش إيرانت منك، ولكن لي رغبة وهي أن أطوف العالم، واترك مثلا طيبا في كل مكان أذهب إليه، حيث أرشد الملوك إلى الطريق الصواب، وإنني أحرص على الرفق بالرعية، لأن أفضل سيرة للملوك هي أن تكون رعاياهم آمنة من الظلم والجور، وتنعم بالعدل والإنصاف، فلو أعلنت العداء وآثرت القتال معي، فسيعود وبالهما عليك، وتكون العاقبة وخيمة، فارجع عن العداوة والنزاع واسلك طريق الود والصلح، ولا تقاتلني كي تستقر الدنيا لنان فإيران التي منحها لك أبوك، باقية لك، وأنا ضيفك لمدة شهر، فلنسعد برؤية بعضنا البعض، ونعقد أواصر الود والوئام، وأترك لك ملك إيران[163].

([162]) انظر ص 41- 42 بالرسالة.

([163]) أسكندرنامه: ص 7.

النص: كفت من بدين مالك بدان نيامده ام كه باد شاهى از تو بستانم تو از من خراج روبرا خواستى، وبدر توداراب از تو بزركتر بود خراج روبرا دست بازداشنته بود.

وتذكر القصة أن الأسكندر كان جادا في توطيد أواصر الود والسلام وقرر بهذا الشعور أن يمضي إلى بلاط الملك دارا[164]. لكن دارا رفض، وأجاب على رسالته في حدة وغضب قائلا:

ليس بيننا إلا السيف، ولن نستمع إلى خرافات الأسكندر[165].

وهذه الرسالة دليل واضح على أن القصة النثرية (أسكندرنامة) كانت تهدف إلى تصوير شخصية الأسكندر في صورة الملك العادل الذي يريد أن يفتح دول العالم من أجل نشر العدل والانصاف، أما الشاهنامه فقد تأثرت بتعصب ناظمها الفردوسي لبني جنسه، وميله الشديد إلى التفاخر بأمجاده وانتصاراته فصورت الأسكندر في صورة الملك الغازي الذي يهدف من غزو البلاد إلى تحقيق النصر تلو النصر، والمجد تلو المجد.

اكنون آغاز اين خصومت تو كردى، ميان من وتو صلت ونسب است ومن نسي خواهم كه آغاز خصومتى ظاهر كردد، وبدان سبب جهان بر أشوب شود، وخلق عالم تباه كردد، وبال آن بمن وتو باز كردد درياب ملك وبادشاهي كه بدر ترا داده است برخود منقصى مكن، وسخن من از سرراشتى ونصيحت استماع كن كه اين عالم نابد يداراست، وبر هيج كس نماند. بجز نام نيك يادكار بادشاها رد نشايد، اكر تو سازكارى كنى وجنكَ وخصومت نجوى، وسيرت، وطريقت بدر كه بادشاه كامران نكاه دارى كه من نيامده ام كه بادشاهي إيران ازتوبستانم. مرا آرزوى آنست كه كرد جهان بكردم وهر جاكه برسم رسمهاى سك بنهم، وملوك را براستي بنشانم، وبارعيت وزيردستان رفق نمودن تحريص كنم، ونام نيك را بهر موضع بادكار بكذارم، وازجور وقهر خود رعيت وزير دستانرا ايمن دارم كه بهترين سيرتي وطريقتي باد شاهان را آنست كه رعيت وزير دستان را از ظلم وجور خود ايمن دارند، واز عدل وأنصاف خود همكنان يا بهرمند كردانند. اكر و بامن خصومت وجنكَ آغازكني، وبال آن بتو باز كردد، وعاقبت آن وخيم باشد. ازين جدال وخصومت بازكرد، وطريقت موافقت وراستى نكاه دار وبامن كوشش مطلب تاجهان برما قرار كيرد، وإيران كه بدر ترا داده ابست، بر تو بماند، ومن بك ماه مهمان تو باشم، واز ديدار يكديكر شاد كرديم، وبموافقت ود وستى بكذريم، وملك إيران بتو بكذارم.

([164]) أسكندرنامه: ص 8.

النص: وآنجه اسكندرا ز طريق يكانكي وموافقت آغاز وأساس نهاده بود، وتقرير كرده در حضرت شاه داراب بن داراب بكزارد.

([165]) أسكندرنامه: ص8.

النص: داراب جواب داد از سر خشم وبى التفاتى كه ميان ما شمشيراست، بهيج وجهي زخارف أسكندر نخواهيم شئيدن.

هذا بالإضافة إلى أن اسكندرنامه قد صورت الأسكندر في صورة العبد المؤمن الصالح المتصل بالله، فذكرت أنه كان يدخل المسجد ليلا، فينزل مــلاك من السماء إليه، ويخبره عما سيحدث من الأمور، ويستنير الأسكندر برأيه فيمــا سيفعل[166].

[166] نفس المرجع: ص 764.

الباب الرابع

قصة الأسكندرْ عند نظامي الكنجوى

الفصل الأول

أولا: نظامي كَنجوى

تمهيـد:

قبل الحديث عن منظومة أسكندرنامه (كتاب الأسكندر) ينبغي أن نعرف أولا بناظمها "نظامي كَنجوى" تعريفا سريعا، لنتبين كيف أثرت ظروف عصره وحياته وثقافته وديانته في نظمه للمنظومة. ثم نبين أهم المصادر التي اعتمد عليها الشاعر عند نظمها.

لنبدأ أولاً بالتعريف بالشاعر:

نظامي كنجوى هو أحد شعراء القرن السادس الهجري المشهورين اسمه (الياس) ولقبه (نظام الدين) وكنيته (أبو محمد)، فهو نظام الدين أبو محمد الياس ابن يوسف بن زكي بن مؤيد الكَنجوى. أما تخلصه الشعرى فهو (نظامي).

ولد عام (539هـ- 1144م) في (كَنجه)[167] بإقليم آذربيجان، وعاش فيها وتوفى عام (608- 1213م).

وقد قضى نظامي معظم سنى حياته في غير تكالب على الاتصال بالحكام، حيث كان من أسرة ميسورة الحال،

كما عاش نظامي في عصر يموج بالمعسكرات السياسية المتصارعة، يتمثل في الخلافة العباسية ودولة السلاجقة ودويلة أثابكة آذربيجان التي كانت تتدخل في شئون السلاجقة، والتي كان نظامي يعيش في كنفها ويتصل بحكامها، وبالإضافة إلى الصراع بين هذه المعسكرات كان هناك صراع آخر بين حكام كل معسكر على تولي العرش، مما أثار الفتن والاضطرابات والاغتيالات، فشاع الذعر والخوف بين الناس، مما جعل البعض يميلون إلى العزلة والانزواء كما فعل نظامي.

([167]) كَنجه: تسمى الآن اليزابيتبول وهي تابعنة للاتحاد السوفيتي.

وبالإضافة إلى الصراعات السياسية فقد شهد عصر نظامي صراعات دينية عنيفة وبخاصة بين المذهب السنى ويؤيده حكام السلاجقة السنيين المتعصبين، والمذهب الشيعي وتؤيده طائفة الاسماعيلية، هذا بالإضافة إلى صراع الفرق الإسلامية المختلفة مع بعضها البعض، مما أوجد انعدام الثقة والطمأنينة في قلوب الناس، فمالوا إلى التصوف، وهذا ما فعله نظامي وسوف أوضح ذلك فيما بعد.

على الرغم من هذه الصراعات المختلفة فقد عرف نظامي بأخلاقه الرفيعة، فكان صاحب نفس نبيلة ومتسامحة، كما كان شديد الاعتزاز بكرامته وعزة نفسه، لهذا أثر ألا يختلط بهذا الجو الصاخب المملوء بالغدر والنفاق والرياء وعدم الأمان، وعزف عن الاتصال كثيرا بالملوك واستجدائهم وأوقف معظم مديحة على مناجاة ربه، فهو القائل مناجيا ربه:

لم أقف منذ شبابي على باب أحد غيرك لقربى منك(168).

كما سلك نظامي في تعبده سلوك المتصوفة، فكان يتعبد بطريقة خاصة تسمى (جله) أي الأربعينية، وهي أن يعتكف أربعين يوما، فينقطع عن الناس ويجلس في حالة تفكر ومراقبة، حتى إذا انجلت أمامه الحقائق شعر بالسعادة تغمره لقربه من ربه، يقول في ذلك:

وضعت رأسي فوق ركبتي، وأشرق وجهي بنور الله، فصارت مرآة القلب فوق الركبة، فطرحت مرآة النظر، ونظرت في مرآة القلب، لأرى من أي أنواع التجلي يأتي الفيض الإلهي(169).

ولما كان نظامي يتمتع بنبل الأخلاق وشدة الورع والتدين، فقد لقب بشاعر الفضيلة، لكثرة ما تحدث عن الطهر والعفاف والإخلاص والوفاء.

(168) نظامي كَنجوى: هفت ييكر، نشر وتصحيح وحيد كستكَردي، طبع طهران 1315هـ ش، ص5.

جون بعد جواني ازبر تو		بر در كس نرفتم از درتو

(169) د. عبد النعيم حسنين: نظامي الكَنجوى، طبع 6 القاهرة 1954م، ص 106.

وقد تزوج نظامي بفتاة رائعة الجمال كما وصفها تدعى (آفاق) من طائفة القبجاق[170]، وأنجب منها ابنه محمدا- الذي مات قبل وفاة أبيه بفترة قصيرة- لكن هذه الزوجة ماتت وهي في ريعان الشباب، فحزن عليها حزنا شديدا، وقد جرب حظه في الزواج بعدها مرتين ولكنهما ماتتا أيضا وهو على قيد الحياة.

أما بالنسبة لثقافة نظامي، فقد كان ذا ثقافة واسعة بالعلوم الرائجة في عصره، إلى جانب ثقافته الدينية العالية.

كما أتقن نظامي اللغتين العربية والفارسية، وذلك لأن المسلمين في العصر العباسي اجتهدوا في نقل كتب العلم من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية، مما جعل هذه اللغة ضرورية لطلاب العلم في جميع أنحاء العالم الأساسي، وكان معظم الشعراء والكتاب الفرس في ذلك العصر يعرفون اللسانين العربي والفارسي غالبا، حتى سمي كثير منهم بأصحاب اللسانين. وهذا يبين لنا أن النزعة الإسلامية كانت قد ازدادت في عصر نظامي، وأن العصبية الفارسية كان قد خمدت جذوتها، بعد أن بلغت الذرة في العصر الساماني، حيث كان الشعراء والكتاب الفرس يتعمدون تجنب استعمال الكلمات العربية في مؤلفاتهم، كالفردوسي الذي استعمل الكلمات العربية في منظومته العظيمة (الشاهنامه) بنسبة ضئيلة جدا تصل إلى اثنين في المائة أو أربعة في المائة على أرجح الأقوال، وقد كان نظامي الكَنجوى استاذا في فن نظم القصة، حيث أتحفنا بمنظوماته الخمس، وهي (مخزن الأسرار) في التصوف، (خرووشيرين) و (ليلى ومجنون) في العشق و (هفت بيكر) أي العرائس السبع وهي قصة خاصة ببهرام كَور أحد ملوك الدولة الساسانية، والأخيرة (اسكندرنامه) وهي خاصة بالأسكندر المقدوني، والتي هي موضوع دراستنا، وذلك إستجابة لرغبة الناس الذين كانوا قد مالوا إلى الشعر القصصي والشعر الغنائي.

(170) طائفة القبجاق طائفة تركية كانت تسكن منطقة تسمى القبجاق في إقليم التركستان شمالي إيران، وقد اشتهر فساؤها بجمالهن: انظر برهان قاطع، تأليف محمد حسين تبريزي متخلص ببرهان، طبع طهران 1331ش. جلد سوم.

ثالثًا: المصادر التي اعتمد عليها نظامي في نظم (اسكندرنامه):

أعتمد الشاعر الكبير الكَنجوى عند نظمه لمنظومته (اسكندرنامه) على ثلاثة مصادر هي:

أولاً: ما ورد مبعثرا في كتب التاريخ المختلفة فارسية كانت أم عربية، وكذلك ما ورد في بعض الكتب اليهودية والنصرانية والبهلوية الموجودة في عصره، فأختار صحيحا منها، يقول في ذلك: "حينما أردت نظم هذه القصة، كان الطريق وعرا، والمادة كثيرة، فلم أر آثار ذلك الملك الجواب للآفاق مسطرة في سجل واحد، بل كانت المادة كالكنوز، مبعثرة في كل نسخة، فأنتخبت جوهرة من كل نسخة، وعقدتها لأجمل بها نظمي، فضلا عما أفدته من التواريخ اليهودية والنصرانية والبهلوية الحديثة، وقد حاولت أن أختار من كل مادة أحسنها، ومن كل كتاب خير ما فيه، ثم أحطت بمادتي كالكنز، لأصوغ من تلك الجواهر جوهرة كلية نفيسة، فترجمت من لغة إلى أخرى، لأن الالمام بما في لغة واحدة لا يكفي، فمن يعرف لغة واحدة لن يكون قادرا على النقد، ثم عرضت على مسرح الشعر، كل ما وجدته صحيحا من تلك النفائش[171].

([171]) نظامي كَنجوى: شرفنامه، ص 69:

جوميكر دم اين داستان را بسيج		سخن راست رو بود وره بيرج بيج
اثر هاي آن شاه آفاق كَرد		نديدم نكَاريده دريك نورد
سخنها كه جون كَنج آكنده بود		بهر نسختي در براكنده بود
زهر نسخه برداشتم مايه ها		برو بستم از نظم بيرايه ها
زيادت زتاريخهاي نوى		يهودي ونصراني وبهلوى
كَزيدم زهر نامه نغز او		زهر بوست برداختم معز او

ثانيًا: من المصادر التي اعتمد عليها نظامي أيضا شاهنامه الفردوسي، فقد طرق نظامي كثيرا من الموضوعات التي طرقتها الشاهنامه، وإن كان لم يوافق على بعضها، ثم زاد عليها موضوعات أخرى، وهذا ما سوف أوضحه عندما أتناول المنظومة بالدراسة والتحليل والنقد.

ثالثًا: والمصدر الثالث الذي اعتمد عليه نظامي هو القصة النثرية (اسكندرنامه) التي ألفت قبل عصره بفترة ليست بالكبيرة، والتي سبق أن درسناها.

زبان در زبان گنج برد اختم		از آن جمله سر جماله ساختم
زهريك زبان هر كه آگه بود		زبانش زبيغاره كوته بود
در آن برده كزراستي يافتم		سخن راسر زلف برتافتم

ثالثًا: التعريف بمنظومة (اسكندرنامه)

تعد منظومة نظامي الكَنجوى (اسكندرنامه) ثالث عمـل أدبـي تنـاول شخصية الأسكندر المقدوني. كما تعد أعظم وأضخم عمـل أدبـي فـي الآدب الفارسي فقد نظم شاعرنا الكبير نظامي الكَنجوى هذه المنظومة فـي مجلـدين، تحدث فيهما عن ثلاثة جوانب من شخصية الأسكندر المقدوني وهما:

المجلد الأول: ويسمى (شرفنامه) أي كتاب الشرف، وقـد تحـدث فيـه الشاعر عن الأسكندر كملك فاتح، ونظمه في 6800 بيت من الشعر، وصـرح بأنه أتم نظم (شرفنامه) في عام 597هـ، فقال: "نظمت هذه المنظومة في الدنيا لتبقى فيها إلى يوم القيامة، وأتممتها في وقت الزوال من اليوم الرابع من شـهر المحرم لسبعة وتسعين وخمسمائة عام خلت بعد الهجرة"(172).

وقد قدم الشاعر منظومته (شرفنامه) لنصرة الدين أبي بكر أحد أتابكـة آذربيجان حيث اعتبره بطلا شجاعا ومظفرا كالأسكندر(173)، ونال منه مكافـأة كبيرة عليها كما يبدو من قوله:

"الحمد لله الرحيم رب العالمين، لأن أنصاف الحاكم أكثـر مـن هـذه القصة"(174).

---

(172) د. عبد النعيم حسنين: نظامي الكَنجوى، ص 374.

بكفتم من اين نامـه را در جهـان		كـه تـاد ور آخـر بـود درجهـان
بتاريخ بانصد نـود هفـت سـال		جهـارم محـرم بوقـت زوال

(173) نظامي كَنجوى: شرفنامه، ص 58- 60.

(174) نظامي كَنجوى: شرفنامه، ص 65:

سباس ازو خداوند كيتى بناه		كه بيشـت از يقصـه انصـاف شـاه

المجلد الثاني: ويسمى (اقبالنامه) أي كتاب الحظ والسعادة. وقد قسمه الشاعر إلى قسمين، القسم الأول تحدث فيه عن الأسكندر كحكيم، أما القسم الثاني فقد تحدث فيه عن الأسكندر كنبي، ونظمه في 3690 بيت من الشعر. وقد نظامي منظومه (اقبال نامه) لعز الدين مسعود أتابك الموصل حيث أرسلها إليه مع ابنه، فأعاده محملا بعطاء كثير يقول:

"عندما منحتك روحي وأرسلت معها فلذة كبدي.

فردها إلى محملة بعطاء أكثر مما أتوقع"[175].

وقد أوضح نظامي لنا غرضه من حديثه عن ثلاثة جوانب من شخصية الأسكندر في أول منظومته فقال:

"أعدته جماعة ملكا فاتحا مسيطرا على العالم، وجوابا في الأفاق.

واعتبره قوم حكيما يقتبسون الحكمة من أعماله.

واعترفت جماعة بنبوته، لورعه وعنايته بالدين"[176].

---

(175) نظامي كَنجوى: اقبالنامه تصحيح وحيد دستكَردي طبع طهران 1317هـ ش، ص 286.

جو من نزل خاص توجان داده ام		جكَر نيز باجان فرستاده ام
جنان باز كَردانش ازنرد خويش		كزاميد من باشد آن رفق بيش

(176) نظامي كَنجوى: شرفنامه، ص54:

كَروهيش خوانند صاحب سرير		ولايت ستان بلكه آفاق كَير
كَروهي زديوان دستور او		بحكمت نبشستند منشور او
كَروهي زباكي ودين بروري		بذيرا شدندش بييغمبري

ثم بين لنا نظامي خطته التي سيتبعها في نظم هذه المنظومة وهي أنـــه سيتحدث عن ثلاثة جوانب من شخصية الأسكندر، الجانب الأول كملــك فــاتح، والثاني كحكيم، والثالث كنبي فقال:

"سأغرس من كل حبة من هذه الحبات الثلاث شجرة قوية.

فأطرق أولا باب ملكه، فأتحدث عن فتوحاته.

ثم أبدع في الحديث عن حكمته، فأعيد تسجيل الحكم القديمة.

ثم أطرق بعد ذلك باب النبوة لأن الله أيضا قد قرر نبوته"(177).

ثم أكد لنا بعد ذلك أنه تحدث عن كل جانب حديث مستقلا، وبــين لنــا القيمة العظيمة لهذه المنظومة فقال:

"صنعت ثلاثة أبواب كل واحد منها منجم من الكنوز، وتحملت في إنجاز كل منها عناء خاصا.

وجعلت كل واحدة منها تحفة نادرة، وسأجعل العالم بواســطتها مملــوء بالكنوز "(178).

---

(177) نفس المرجع، ص 55:

من أزهر سه دانه كه دانــا فشــاند		درختــي برومنــد خــواهم نشـــاند
نخســتين در بـــاد شـــائي زنـــم		دم ازكـــار كشـــور كَشـــائي زنـــم
زحكمت بر آرايــم آنكــه ســخن		كـــنم تـــازه بارنجهـــاي كهـــن
بيغمبـــري كَـــويم آنكـــه درش		كـــه خوانـــد خـــدانيز بيغمبـــرش

(178) نظامي : شرفنامه: ص 55:

سه در ساختم هردري كـان كَـنج		جداكَانــه برهــر درى بـــرده رنـــج
بدان هرسه دريابـدان هرســه در		كـــنم دامـــن عـــالم از كَـــنج بـــر

والآن وبعد أن عرفنا بالمنظومة، فقد حان الوقــت لدراســتها دراســة تحليلية نقدية، ولنبدأ أولا بدراسة منظومة (شرفنامه) التي تحدثت عن شخصــية الأسكندر كملك فاتح وبطل منتصر.

الفصل الثاني

الأسكندر الملك في منظومة (شرفنامه)

تمهيـــد:

بدأ نظامي منظومته (شرفنامه) بمقدمة تقليدية في توحيد الله تعالى ومدح رسوله كبقية شعراء عصره، ولكن بحكم نشأته الدينية وثقافته الواســعة – كمـــا سبق أن أشرت– نجح في إخراج صور شعرية مجسمة ورائعة، تتميــز جمـــال معانيها، وعمق تأثيرها النفسي.

وكان أول حديثه عن توحيد الله تعالى فقال:

إلهى أنت رب العالمين لنا الخدمة ولك الربوبية.

فأنت الملجأ للقوى والضعيف، والجميع عدم ولا وجود إلا لك.

فأنت الخالق لكل عظيم ووضيع، وأنت الخالق لكل ما في الوجود.

وانت من رفع السماء، وجعلت الأرض معبرا لها(179).

ثم انتقل إلى مدح الرسول عليه السلام فقال:

"رسول الله المصطفى مبلغ الرسالة.

محمد الذي يتخلى كل مخلوّق بذكر اسمه منذ الأزل حتى الأبد(180).

---

(179) نظامي كَنجوى: شرفنامه، ص2:

خـــدايا جهـــان بادشـــائي تراســـت		زمـــا خـــدمت آيـــد خـــدائي تراســـت
بنـــاه بلنـــدي وبســـتي تـــوئي		همـــه نيســـتند آنجنـــه هســـتى تـــوئي
همـــــه آفريدســــــت بالاوبســــــت		تـــوئي آفرينـنـــده هـــر جـــه هســـت
توئي كاســـمانرا بـــر افـــرا ختـــى		زمـــين را كَـــر كَـــاه او ســـاختي

(180) نظامي كَنجوى: شرفنامه، ص 14– 15:

وتحدث عن معراجه فقال:

"في الليلة التي عقدت فيها السماء المجلس، طلب الليل من النهار أن يمده بالضياء.

وتزينت الأفلاك السبعة بالجواهر، وارتدت الحرير الصيني.

وتهيأ رضوان وملائكة الجنة لقدومه.

وعرج محمد سيد العالمين وخاتم الأنبياء سيد هذا المعراج.

فأتجه إلى المسجد الأقصى.

متخلصا من قيود الدنيا ومتجها إلى رب العرش.

فعرج حتى وصل إلى سابع سماء، حيث توجه إلى الحضرة الالهية.

وفي ذلك المكان الذي لا يمكن أن يكون هناك مكان أبعد منه، رد الله سبحانه وتعالى السلام على محمد"(181).

فرستاده خاص برورد كار		رساننده حجت استوار
محمد كازل تا ابد هرجه هست		بآرايش نام أو نقش بست

(181) نفس المرجع، ص 17- :

شبى كاسمان مجلس افروز كرد		شب إزرو شنى دعوى روز كرد
سرا برده هفت سلطان سرير		بر آموده كَوهر بجيني حرير
سر سبز يوشان باغ بهشت		بسر سبزي آراسته كارو كشت
محمد كه سلطان اين مهد بود		زجندين خليفه وليعهد بود
سرنافه دربيت أقصى كَشاد		زناف زمين سر باقصى نهاد

ثم انتقل الأسكندر بعد ذلك إلى الحديث عن منظومته، فحاول أن يبين للقارئ في أولها أهميتها وقيمتها العظيمة، وأن لها الحق أن تتقدم على ما سبقها من منظومات، وذلك بأن أدعى أن الخضر زاره، وأشار عليه بنظمها، وعلمه الطريقة الصحيحة لهذا النظام، فقال:

"كان الخضر المعلم عندي البارحة، وعلمني سر هذا النظم"(182).

وقبل أن يتناول منظومته (شرفنامه) بالتفصيل، أوجزها في عدة أبيات فقال:

"أعد الأسكندر الذي كان ملكا سائحا عدته للسفر.

فبلغ أركان العالم الأربعة، ورأها، لأن الملك لا يبني إلا على أربعة أركان"(183).

ذكر الأسكندر:

كان أول حديث لنظامي عن الأسكندر عبارة عن تعريف موجز بما سيتناوله بشأنه في هذه المنظومة، فذكر أنه جلس على عرش بلاد اليونان، وهو

زبند بست ازاين كوى هفتاد راه		بمعشوقي عرشيان كَشت خاص
بنه بست ازاين كوى هفتاد راه		بهفتم فلك بر زده بار كَاه
در آنجاى كانديشه ناديده جاي		درود از محمد قبول از خداي

(182) نظامي كنجوى: شرفنامه، ص 51:

مرا خضر تعليم كَر بود دوش		برازي كه نامد بذيراى كَوش

(183) نظامي كنجوى: شرفنامه، ص 70:

سكندر كه شاه جهان كَرد بود		بكار سفر توشه برورد بود
جهانزاهمه جار حد كَشت وديد		كه بي جار حد ملك نتوان خريد

في العشرين من عمره، ولما بلغ السابعة والعشرين من عمره صار نبيا، فطاف العالم، ليبلغ رسالته.

وكان يبنى في كل رحلة يقوم بها مدينة في كل ناحية من أنحاء العـــالم، من الهند إلى أقصى الصين[184].

وقد أعجب نظامي بحسن سياسة الأسكندر في بناء مدينة في كـل بلـد يفتحها، وذلك من أجل تعمير أنحاء العالم فقال:

"كان (الأسكندر) المهندس الماهر يقيس العالم من ساحل إلى ساحل.

فقاس العالم كله بهذه الهندسة، وأراحه من الغم"[185].

أصل الأسكندر:

وعن أصل الأسكندر ذكر أن أباه اسمه (فيلقوس)، وأنه كان ملكـا مـن ملوك بلاد الروم المشهورين؛ وكان موطنه بلاد اليونان ومقـر حكمـه إقلـيم مقدونية، وقد بسط نفوذه على بلاد الروم والروس[186].

وعن أصل أبيه تابع نظامي آراءئ بعض المفسرين المسلمين، وكتـب التاريخ الإسلامية من أنه حفيد عيسى بن إسحق بن إبراهيم بن خليل الله عليـه السلام[187].

وقد وصفها نظامي والد الأسكندر بأنه كان سياسيا بارط، وعادلا إلـى أقصى حد؛ لدرجة أن الملك دارا ملك إيران حقد عليه، وأرسل يهـدده ويطلـب

([184]) نفس المرجع، ص71.

([185]) نفس المرجع: ص 73:

بدينكونـــه مســاح منــزل شــناس		زســاحل بســاحل كَرفتــي قيــاس=
=جهان راكه ازغم براحت كشـيد		بـــدين هندســـه درمســـاحت كشـــيد

([186]) نظامي كَنجوى: شرفنامه، ص80:

([187]) نفس المرجع، ص80. انظر: تفسير الـرازي، الجـزء الخـامس، ص 751- 753. والطبري: تاريخ الطبري، الجزء الثاني، ص9.

سرعة دفع الخراج، فما كان من فيلقوس – والد الأسكندر – ملك الـروم إلا أن أرسل إليه الخراج بنفس راضيه، واستراح من بطشه. وقد صور نظـامي هـذا فقال:

"سر ملك الروم بذلك الخراج، وحفظ شمعه من النيزان المحرقة"[188].

ثم انتقل إلى الحديث عن اختلاف الآراء حول أصل الأسكندر فقال:

"في هذه القصة آراء كثيرة، وقد أطلعت عليها كلها".

وبعد ذلك بدأ في سرد هذه الآراء، فذكر الرأي الأول منها، ويقول فيه:

قد روى عن حكماء الروم أن إمرأة زاهدة كانت تعيش في هذه البلاد.

وكانت قد حملت في الخفاء، فخرجت من المدينة خشية العار.

وحينما حان وقت الوضع واشتدت عليها آلامه.

فلجأت إلى زاوية، ووضعت مولودها، وماتت بعد أن فاضـت روحهـا حزنا على طفلها.

وكان الملك فيلقوس قد خرج في رحلة صيد، فمر بجانب تلك المرأة.

فشاهدها ميته وعلى جثتها مولود.

كان بعض أصبعه ويرضعه لعدم وجود لبن في ثدي أمه.

فأمر أتباعه بالإسراع بدفن الأم.

وحمل ذلك الطفل أعجوبة رحلة صيده من الأرض.

وأخذه فرباه ودلله وجعله وليا للعهد من بعده[189].

([188]) نفس المؤلف ونفس المرجع،ص 81:

دراين داسـتان داوريهـا بسيسـت		مرا گوش بـر گفتـه هـر كسيسـت

([189]) نظامي شرفنامه، ص 81- 82.

وقد ذكر رأيا ثانيا هو أن الأسكندر ايراني الأصل فقال:

"هناك رأى آخر هو أن المجوس ينسبونه إلى نسل دارا"[190].

وقد كذب نظامي هذين الرأيين، وأصر على رأيه الذي سبق أن ذكر، وهو أن الأسكندر ابن فيلقوس اليوناني قائلا:

هذان الرأيان كاذبان، وليس لهما أساس من الصحة.

وهناك آراء أخرى غير صحيحة، وليس الشاعر حريصا على ذكرها.

وإنما الصحيح من هذه الآراء هو أن ذلك الملك (الأسكندر) من نسل فيلقوس"[191].

زشهر وز شوي خود آو اره كَشت		بآبستني روز بيجاره كَشت
برو سخت شد دردآ بستنى		جوتنكَ آمدش وقت بار افكني
غم طفل ميخور دوجان ميسبرد		بويرانه بار بنهاد ومرد
شكار افكنان سوى آن زن كَذشت		ملك فيلقوس ازتماشاي دشت
بباالين أو طفلى آورده سر		زنى ديدمر ده بران رهكَذر
بما در برانكَشت خود مى كَزيد		زبي شيري انكَشت خود ميمزيد
بكَار زن مرده برداختند		بفر مود تاجا كران تاختند
فروماند از آن روز بازي شكَفت		زخاك ره آن طفل را بر كَرفت
بس از خود وليعهد خود ساختش		ببرد وبيرود وبنواختش

[190] نظامي: شرفنامه: ص 82:

بدارا كند نسل إوباز بست		دكَر كونه دهقان آزر برست

ثم بدأ يبين لنا الدليل على صحة رأيه، فذكر أن الملك فيلقوس كان قد أقام حفلا كبيرا تزوج فيه زواجا شرعيا من احدى فتيات وطنه، اشتهرت بجمالها وعفافها.

ويصف نظامي جمالها فيقول:

"لها طلعة بهية، وقوام ممشوق، وذؤابة كالقواس".

إنها كشجرة السرو في وسط الخميلة، حيث تنبعث رائحة البنفسج من ذؤابتيها، ورائحة الياسمين من وجنتيها.

فجمالها ساطع كالشمس وسط النهار، وعيناها الناعستان كبرعمة النرجس[192].

وكان الملك متيما بذلك الوجه القمري، بحيث لا ينطق لسانه الا بذكرها[193].

([191]) نفس المرجع، ص 82:

در آن هر دوكفتار جستى نبود		كزافه سخن را درستي نبود
دكر كفتها جون عيارى نداشت		سخنكوبر آن اختياري نداشت
درست آن شد از كفته هر ديار ه		كه از فيلقوس آمد آنشهريار

([192]) نظامي: سرفنّامه: ص 82:

بديدن همايون ببالا بلند		بابرو كماتكش بكيسو كمند
جو سروى كه بيداكنددر جمن		زكيسو بنفشه زعارض سمن
جمالي جودر نيمروز آفتاب		كرشمه كنان نر كسي نيم خواب

([193]) نفس المرجع ونفس الصفحة:

وقد حملت هذه العروس بين أحشائها جنينا، ولما حان وقت الوضع، استدعى الملك المنجمين، ليخبروه بطالع هذا المولود، فأجابوه بحسن طالعه، فسر الملك كثيرا، وجلس على عرشه، ومنح الناس عطايا كثيرة[194].

وفي الحقيقة قد بدت في أول موضوع من موضوعات المنظومة وهو أصل الأسكندر، نظر نظامي المعتدلة، وعدم تعصبه لبنى جنسه، وذلك على عكس ما فعل الفردوسي، فلقد اعترف نظامي اعترافا صريحا مؤيدا بالأدلة على صحة نسب الأسكندر إلى فيليب الثاني المعروف (بفيلقوس) بل أشاد بعدله المفرط، لدرجة أن الملك دارا ملك إيران حقد عليه بسبب ذلك، وعلى الرغم من أنه ذكر أن الزردشتين هم الذين نسبوا الأسكندر إلى الملك دارا، وهذا ليس صحيحا، وأنهم كانوا يلقبون الأسكندر (بالملعون)، وذلك بسبب حرقه لكتب ديانتهم، وتحطيمه لمعابد هذه الديانة.

ويأتي بعد ذلك دور إعداد الأسكندر وتنشئته وتربيته وهنا ذكر نظامي أن نقوماجش والد أرسطو هو الذي قام بتعليم الأسكندر وتفانى في تعليمه العلوم المختلفة كعلم آداب الملك، والعلوم العقلية التي تبصر القلوب وتنير الأذهان، وعلمه المنطق، فصار حكيما[195].

ثم ذكر لنا ان ارسطاطاليس (أرسطو) ابن نقوماجس كان زميلا للأسكندر في المدرسة، وكان يحب الأسكندر، ويتفانى في خدمته، كما كان يلقنه كل ما يتعلمه من أبيه[196].

وقد خالف نظامي بذكره أن نقوماجس كان معلم الأسكندر، وابنه أرسكو كان زميله، ما هو معروف في كتب التاريخ، وهو أن أرسطو كان معلم الأسكندر، وليس والده، ويبدو أن خلطه بين الأب والابن، يرجع إلى أن

كه جزياد اونامدش بر زيان		برآن ماهروشه جنان مهربان

(194) نظامي: شرفنامه، ص 83.
(195) نفس المرجع: ص 86.
(196) نفس المرجع: ص 86.

نقوماجس أبا أرسطو كان طبيب البلاط المقدوني، بينما كان أرسطو في أثينا بعيدا عن البلاط، يتعلم في مدرسةع الفيلسوف الكبير أفلاطون، فلما مات أفلاطون، استدعاه فيليب الثاني أبو الأسكندر إلى البلاط، لكي يعلم ابنه[197].

لكن الواضح هنا أن نظامي لم يدقق في من هو معلم الأسكندر، بقدر ما كان يهدف إلى أن الأسكندر كان قد تعلم مختلف العلوم، بحيث بلغ بتعلمها منزلة الحكيم، وذلك تمهيدا للحديث عن الأسكندر كحكيم، بعد انتهائه من الحديث عنه كملك.

جلوسه على العرش:

تعمد نظامي عند بداية حديثه عن الأسكندر كملك، أن يصوره في صورة الملك العادل، فذكر لنا أنه بعد جلوسه على العرش، بعد وفاة أبيه، اتبع سياسته في الحكم، حيث كان أبوه قد اشتهر بحسن سياسته وعدله المفرط كما سبق أن أشرت، فقال:

"ساد الدولة عدله، واستعاد بذلك تاج أبيه وعرشه".

وأجرى ما استحسنه من القوانين التي كان أبوه يتبعها"[198].

ثم سجل نظامي أعماله الجليلة التي قام بها بعد جلوسه على العرش والتي تدل على عدله فقال:

"لم يفكر في إيذاء أحد، ولم يبعد نفسه عن جادة العدل.

فعفى التجار من الضرائب، ولم يفرض خراجا على المدنيين.

وعافى الزراع، وأجزل العطاء للفقراء.

---

(197) د. سيد الناصري: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص 506.

(198) نظامي: شرفنامه، ص 91:

ولايت زعدلش بر آوازه كشت		بد وتاج وتخت بدر تازه كشت
همان رسمها كزبدر ديده بود		نمود آنچه رايش بسنديده بود

فكان يعمر الدولة ويعمل على ازدهارها، ويقضي على ما فيها من فساد، ويحل محله الإصلاط"(199).

ويسرد بعد ذلك أعماله التاريخية خارج بلاد اليونان فبدأ بالحديث عن توجهه نحو مصر:

ذهابه إلى مصر:

كان ذهاب الأسكندر إلى مصر أول ما تحدث عنه نظامي بالنسبة لفتوحاته، ولما كان نظامي حريصا منذ البداية على تصويره كملك فاتح للبلاد، من أجل نشر العدل، وليس من أجل الغزو والاستعمار، فقد ذكر لنا أن ذهابه إلى مصر كان مسببا. وهذا السبب هو شكوى المصريين من ظلم الزنوج المغيرين من الجنوب، فقال:

"جاء المتظلمون إلى ملك الروم يشكون قائلين: لقد صار البلد ضيقا على المصريين.

لقد وصلت حشود ضخمة من الزنوج وسدت مسالك الصحراء"(200).

(199) نفس المرجع، ص 92- 93.

بـــآزرد كـــس نيـــا ورد راى		بـــرون از خـــط عـــدل تنهـــاد بـــاي
ببازار كانــان رهــا كــرد بــاج		نجسـت از مقيمـــان شـــهري خـــراج
زديوان دهقــان قلــم بــر كَرفــت		ببيمـــا يكـــان هـــم درم كَرفـــت
عمارات هميكــرد وزر ميفشـــاند		همـــه خـــار ميكنـــد وكـــل ميتشـــاند

(200) نظامي: شرفنامه، ص 95:

تظلـــم زنانتـــد برشـــاه روم		كه بر مصريان تنكَ شد مـر زوبـوم
رســيدند جنــدان ســياهان زنــكَ		كه شــد دربيابــان كَــدر كَــاه تنــكَ

فأصدر الأسكندر أمرا بأن يتجه جيش عظيم من مقدونية صوب مصر، ثم يسير محاذيا لنهر النيل، حتى يصل إلى الصحراء، ويحارب الزنوج المغيرين.

وقد فرح المصريون المدنيون والعسكريون بقدوم هذا الجيش واستبشروا خيرا[201]. وقد صور نظامي القتال الذي داربين جيش الأسكندر والزنوج في شكل قصة مثيرة لها بداية وعقدة ونهاية، ويطلبها هو الأسكندر قائد الأسكندر قائد هذه الجيوش وذلك من أجل اظهار بطولته وشجاعته وذكائه.

وكانت بداية هذه القصة هي أنه في أول لقاء بين الجيشين، دار قتال شرس، أريقت فيه دماء كثيرة، وانتهى بأن فتك الزنوج بالروم، وأوقعوا فيهم خسائر فادحة في الأرواح وقتلوا وزير الأسكندر، ويدعى (طوطيانوش)، ونكلوا به ليكون عبرة أمام جنوده.

ويصف نظامي بشاعة هذا التنكيل فيقول:

"سيطر الخوف على الروم، بسبب ما فعله الزنوج بطوطيانوش من تنكيل.

فقد صبوا دماءه في كأس، وشرب ملكهم على الفور تلك الدماء الساخنة قبل أن تتجلط"[202].

أما عقدة هذه القصة فتتمثل في أن الأسكندر شعر أن جنوده قد بدأ الخوف والفزع يسيطران عليهم، ولم يعد لديهم الجرأة والشجاعة على مواجهة جيش الزنوج مرة أخرى.

---

(201) نفس المرجع: ص 96.

(202) نظامي: شرفنامه، ص 1045.

كه رومي بترسيد از آن بيش خورد		كه باطوطيا نوش زنگى جه كرد
در افكند خون دلاور بجام		بخورد از سر خامى آن خون خام

وكان حل هذه العقدة أن الأسكندر دبر حيلة، استطاع بها جنوده استرداد ثقتهم بأنفسهم، وهي أن أمر أتباعه بأن يأسروا عددا من الزنوج من الطريق، ويقودوهم إلى الأسكندر وبعد أن أحضر أتباعه الزنوج إليه، أمر الأسكندر بقطع رأس واحد منهم، ثم أرسلها إلى الطباخ، قائلا له باللغة الزنجية "اغسل هذا الرأس واطهه كي يأكله الملك المغوار" وكان الأسكندر قد اتفق من قبل مع الطباخ، على أن يبدل رأس الزنجي برأس خروف، ثم يصبغها باللون الرمادي، ويخليها من العظام، ولا يطهيها جيدا، وبعد ذلك يحضرها إليه. فلما انتهى الطباخ مما كلف به، أحضر الرأس إلى الأسكندر، فقام الأسكندر أمام بقية أسرى الزنوج بتمزيقها ومضغها، وهو يقول: "أحضروا لي مخه، فليس هناك شيء أفضل من مخ الإنسان، فلو كنت أعلم من قبل أن لحم الزنوج مفيد لصحتي، لما كنت قد أكلت لحم الأسرى المذنبين من الروم، وأكلت بدلا من لحم الزنوج اللذيذ الطعم"[203].

وبعد ذلك أطلق الأسكندر سراح بقية الأسرى الزنوج، فرجعوا إلى ملكهم خائفين مفزوعين، وحكوا له ما شاهدوه، فأدرك ملكهم نية الأسكندر على الانتقام.

وكان نهاية هذه القصة أن تهيأ الجيشان للقتال، وكان الأسكندر بنفسه على رأس جيشه، ويقول نظامي:

كان الأسكندر بن فيلقوس وسط الجيش، يزين كالعروس الصفوف الأمامية[204].

ثم دار بينهما قتال عنيف، انتهى بهزيمة الزنوج هزيمة نكراء، واستيلاء الروم على غنائم كثيرة لا حصر لها.،

---

(203) نظامي: شرفنامه، ص 106.
(204) نفس المرجع: ص 110.

بقلب اندر أسكندر فيلقوس		جناحي برأ راسته جون عروس>

ويصف نظامي ضراوة هذا القتال، فيقول:

فاق القتال بين الجيشين كل حد، بحيث يصعب على التاريخ تسجيله[205].

وبعد هذا النصر، دخل الأسكندر مصر، وأحسن معاملة المصريين فبنى أول مدينة على ساحل البحر، وسماها الأسكندرية نسبة إلى اسمه يقول نظامي:

"جعلها بالعمران رائعة كالجنة، وأقام الأسواق الفاخرة والمزارع الخضراء في أنحائها.

ولم تم بناؤها سماها الأسكندرية نسبة إليه"[206].

وبعد ذلك عاد الأسكندر إلى بلاده عن طريق البحر.

النزاع بين الأسكندر ودارا:

بدا عدم تعصب نظامي لبنى جنسه، في أول حديثه عن العلاقة بين الأسكندر والملك دارا، حيث صور الأسكندر أكرم خلقا من دارا، وذلك تأثرا بشخصية الأسكندر في القصة النثرية (أسكندرنامه)[207]، فقال نظامي في وصف لاهدايا التي أرسلها الأسكندر إلى دارا حتى يسود الود والسلام بينهما "عندما حان دور دارا، وصلت إليه الجمال محملة بالذهب حتى بخارى وقد كلف

---

(205) نظامي: شرفنامه، ص 130.

ستيزد ولشكر جو از حد كذشت		زمانه يكى را ورق درنوشت

(206) نفس المرجع، ص 137:

بآبادي وروشنى جون بهشت		همش جاي باز اروهم جاي كشت
باسكندر آن شهر جون شد تمام		هم اسكندريه ش نهادند نام

(207) انظر الرسالة، ص 105- 108.

رسولا خبيرا وماهرا، ليقوم بأداء هذه المهمة، وانتقى طرائف كثيرة من أثمن الغنائم التي غنمها، لم تر العين مثلها"[208].

فلما وصت هذه الهدايا الثمينة إلى دارا، تملك الحد قلبه، فأجاب إجابة تافهة، لم تعجب الأسكندر، فتضايق من فعله، ونوى تأديبه، ويستنكر نظامي تصرف دارا فيقول:

كشف عن حقده الدفين، وأجاب إجابة لا تليق به[209].

وكان أول تصرف للأسكندر تجاه دارا، هو امتناعه عن دفع الخراج له، كما كان والده يدفعه من قبل. فغضب دارا، وأرسل للأسكندر رسولا ومعه خطابا حاد اللهجة يطلب فيه الخراج يقول:

"لقد كنت تدفع الخراج لبلاطنا من كنوزك فأي ضعف رأيته علينا حتى تمتنع عن الامتثال لطاعتنا.

ادفع الخراج كما تعودى، ولا تشق عصا الطاعة، حتى لا يلحق الضرر بك"[210].

---

(208) نظامي: شرفنامه، ص 138:

جونن نوبت بسر بخش دار ارسيد		شتر بار زر تا بخارا رسيد
كزين كردمسر دى بفرهنك وراى		كه آيين آنخدمت آرد بجاى
كزيد ازغيمت طرايف بسى		كزانسان نبيند طرايف كسى

(209) نفس المرجع، ص 139:

نه برجاى خودباسخى سازكرد		دركين بوشيده را بازكرد

(210) نظامي: شرفنامه: ص 156:

كه جون بود كز كوهر وطوق وتاج		زدركاه ما واكر فتى خراج

ولكن الأسكندر رفض، وأرسل إلى دارا ردا جافا مع رسوله، يتضمن تحذيرا له من بطشه، مع استشهاده بحروبه مع الزنوج، وتنكيله بهم، قائلا:

اذهب وقل للملك الشجاع أنه لا يمكن الاغارة على الأسد المفترس.

فلقد تغير الزمان، وماتت تلك الدجاجة التي كانت تبيض البيضة الذهبية.

ولقد طوى الزمان البساط القديم، وحل مكانه بساط ملك آخر.

لعل الملك لا يعرف عدد الرؤوس التي أطحت بها في حروبي مع الزنوج.

فلا تشغل الفتن، ولا تثر الأحقاد، ولا تجلب الدمار لبلاد إيران.

ولا تطالبني بما لن يتحقق لك، وتعامل معي ملكا لملك"[211].

زبونی جه دیدی تـودر كـار مـا		كه بردى سراز خـط بـر كـار مـا
همـان رسـم ديرينـه را كاربنـد		مكن سـر كشـى تـا نيـابى كَزنـد

([211]) نظامي: شرفنامه، ص 157- 158:=

=بـرو بانـكَ زد شـهريار دليـر		كه نتوان سـت غـارات از تندشـير
زمانـه دكَـر كَونـه آبـين نهـاد		شد آن مـرغ كوخايـه زريـن نهـاد
سبهر آن بسـاط كهـن درنوشـت		بسـاطى دكَـر ملـك راتـازة كَشـت
مكَرشه نداند كـه در روز جنـكَ		جه سرها بريـدم در اقصـاى زنـكَ
مينكَيـز فتنـه ميفـروز كـين		خـوابى ميـاور در إيـران زمـين
زمن آنجه برناديـدت در مخـراه		جنان بـاش بـامن كـه باشـاه شـاه

فأعاد دارا رسوله إلى الأسكندر للمرة الثانيــة، ومعــه رســالة تهديــد مصحوبة بهدية كلها ازدراء وسخرية، حيث كانت عبارة عن كرة وصــولجان، وكأن مملوءة بحبوب كثيرة لا حصر لها، ووضح في الرسالة هدفه من إرســال هذه الهدية، حيث قال:

"أهديتك أولا الكرة والصولجان، لأنك طفل، ويليق بك أن تلعب بهما.

أما هذه الحبات التي لا حصر لها، فلتدرك أنني قادم إليك بجيش أكبــر عددا منها"(212).

وقد رد عليه الأسكندر ردا قويا وبليغا فقال:

"لعل الملك يهدف من إعطائي الكرة والصولجان، أن أطيح بملكــه. لأن الكرة ستعين الجغرافيين على معرفة شكل الكرة الأرضية.

وبما أن الملك قد قام لنا كرة هدية، فإنني سأثير بها الكــرة الأرضــية عليه.

وحيث أنه قد بينت لي في جرأة ووقاحة عدد جيوشك بهذه الحبوب.

فإننى سألقى بهذه الحبوب في فناء القصر وأحضر طيورا آكلــة لهــذه الحبوب.

فتنقض عليها، وتلتهمها في لحظة(213).

---

(212) نفس المرجع، ص 160:

زجو كان ركوى اندر آمد نخسـت		كه طفلى تو بازى بـاين كـن درسـت
همان كنجـد نـا شـمرده فشـاند		كزين بـيش خـواهم سـبه برتورانـد

(213) نظامي: شرفنامه، ص 160– 161:=

=مكرشاه از آن داد جو كان بمـن		كـه تازوكشـم ملـك بـر خويشـتن
همان كوى را مرد هيئـت شـناس		بشـكل زمـين مـى نهـد درقيـاس

ولعدم تعصب نظامي لبنى جنسه، وحرصه على تصوير الأسكندر في صورة الملك المحب للسلام، صور الملك دارا للمرة الثانية في صورة الملك الثائر المحب للظلم والجور. فذكر لنا أن دارا أدرك نية الأسكندر، بعد أن وصله رده، فجمع الإيرانيين، وطلب العون منهم، كما طلب مساعدة الصين وخوارزم وغزنة وغور، وجمع جيشا جرارا يتكون من الفرسان الشجعان والأبطال الجسورين بحيث بلغ عدده خمسمائة ألف جندي، وتوجه به إلى بلاد الروم، مخربا ومدمرا لكل بلد يمر بها. يقول نظامي:

ساق جيشا ثائرا وكأنه نيران متوهجة إلى بلاد الروم، وجعل كل بلد يمر بها خرابا ووكرا للبوم(214).

أما الأسكندر فقد صوره في صورة الملك الحكيم المتزن، فقد ذكر لنا أنه عندما علم بمجئ دارا بهذا الجيش الكبير، جمع هو الآخر جيشا من كل البلاد، من مصر والفرنجة والروم، والروس، وأعده للقتال، وقد بلغ عدده ثلاثمائة ألف جندي.

وبعد أن أتم اعداد الجيش، جمع عظماء الروم، ليتشاور معهم في شأن محاربة دارا، فأجابوه قائلين:

على الملك الشهير أن يربط الحزام من أجل القتال.

جو كَوى زمين شاه مارا سيرد		بدين كَوى خواهم ازو كَوى برد
جوزين كَونه كرد آن كَزار شكرى		بكَنجد در آمد در دا ورى
فر وريخت كَنجد بصحن سراى		طلب كرد مرغان كَنجدر باى
بيك لحظة مرغان دراو تاختند		زمين را زكَنجد بپرداختند

(214) نظامي: شرفنامه: ص 162:

سباهي جو آتشي سوى روم راند		كجا اوشد آن بوم را بوم خواند

فالوقت أصبح ضيقا، ولا يوجد مجال للتفاوض في الحرب أو السلم[215].

وفي تلك الأثناء أرسل دارا إلى الأسكندر خطابا شديد اللهجة يقول فيه:

"أيها الطفل الساذج، لا تضرب بقبضتك الضعيفة الأسد الشرس.

إنك مثل العقرب وتسلك سلوك الثعبان، فماذا تفعل أمام الثعابين الفاتكة.

إنني سأطيح بك بسيفي الباتر، فعليك أن تختار الموت أو الهروب.

فباسم الله الذي لا عدو له سوى الشيطان، وبزردشت الذي هو خصم للشيطان.

اننى سأقضى على بلاد الروم وقاطنيها، ولن أبقى لهم أثرا، وسألتهمهم كالنيران المغرمة"[216].

([215]) نظامي: شرفنامه: ص 165:

جنين كفت كاين نامور شهريار		كمر بست بر جستن كار زار
جه سازيم تدبيرش از صلح وجنگ		كه آمد بساويختن كار تنگ

([216]) نفس المرجع: ص 185:

توای طفل نابخته خام رای		مزن پنجه در شير جنگ آز مای
جوكز دم توئى مار خوئى كنى		كه با ازدها جنگجوئى كنى
جنانت دهم مالش از تيغ تيز		كه يامرگ خواهى زمن ياگريز
بيزدان كه اهريمنش دشمنست		بز ردشت كو خصم اهريمنست
كه ازروم وورومى نمانم نشان		شوم بر سر هر دو آتش فشان

وقد رد عليه الأسكندر بخطاب، أظهر فيه نظامي خلق الأسكندر الكريم، وهو أنه ما زال حتى هذا الوقت العصيب يفاوضه في السلام، ولا يبغى الحرب معه. كما ظهرت في هذا الخطاب وطنية نظامي، فتفاخر ببطولات ملوك الفرس القدماء، كذلك تغلبت عليه العاطفة الإسلامية، فأشار إليه تهديد الأسكندر بقضائه على الديانة الزردشتية(217) السائدة في إيران في ذلك العصر، والتـي تخـالف الدين الإسلامي. يقول في هذا الخطاب:

لو أمدني الله بالعون، فهذا ليس عجيبا لأنه منحنى الملك.

أننى أستطيع أن أرفع رأسي عاليا وأصارع الأسد بسيفى.

فماذا فعل فريدون بقوته الخارقة التي تشبه قوة الثعبان بالضحاك ذلـك الرجل الذي له طبيعة الثعبان.

فباسم مالك السموات والأرض، وخالق كل شيء.

أننى لو أدركت الإيرانيين، لخلصتم من دين زردشت.

أننى مستعد لقتالك لو عزمت على الحرب، ومستعد للصلح، لـو أردت السلام.

فأنا موافق على ما تريده سواء كان حرباً أم سلامًا"(218).

(217) تنسب الديانة الزردشتية إلى (زردشت) نبى الفرس، وهي تقوم على عبادة النار.

(218) نظامي: شرفنامه، ص 191- 196:

مـرا كـر خداونـد يـارى دهـد		عجب نيسـت كـر شـهريارى دهـد
توانم كـه كـردن فـرازى كـنم		بشمشـير بـا شـير بـازي كـنم
فريدون بدان ازدهـا بـاره مـرد		هـم از قـوت ازدهـائى جـه كـرد
بدارنـــده آسـمان وزمـــين		كزومايـــه دارد همـــان وهمـــين
كه كَرد ست يـابم برايـر انيـان		بـرم ديـن زردشـت را ازميـان

ثم انتقل نظامي إلى وصف المعارك التي دارت بين الأسكندر ودارا، وقد أطنب في وصفها بدرجة كبيرة (لا داعي لخيض في تفاصيلها) وأن كنا نلاحظ أن نظامي لم يشر فيها إلى هزيمة دارا على يد الأسكندر بل اكتفى بأن وصفها بأنها كانت معارك شرسة غاية في الضراوة فقال:

"وصل الجيشان إلى ميدان القتال، واصطفا كالجبلين الشاهقين. ثم التحم الجيشان في قتال عنيف وشرس.

حتى ليخيل إليك أن الأرض قد زلزلت زلزالها، وأن اسرافيل نفخ في الصور ايدانا بقيام الساعة.

فقد ارتفع غبار الأرض عاليا، وانفلت عنان السلامة.

ومن كثرة تصاعد غبار الأرض، صارت السماء كالأرض، والأرض كالسماء، بحيث يصعب التفرقة بينهما.

وكان الملك دارا في قلب جيشه يقاتل كالأسد الهائج.

وكان الأسكندر يهاجم بشراسة في يوم القيامة هذا، وفي كلتا يديه سيف حاد وباتر.

كما كان الجيشان يهاجمان كالجراد والنمل. وكان القتل يدور بين عالمين"[219].

زره بوشم ارتيخ يا زى كنى		كمر بندم ار صلح سازى كنى
بهرجه آن نمائى تواز كَرم وسرد		بدير نده ام زاشتى وتبرد

[219] نظامي: شرفنامه، ص 198- 203:

رسيدند لشكر بجاى مصاف		دوبر كار بستند جون كوه قاف
روا رو برامد زراه نبرد		هزاهز درامد بمردان مرد

أما عن مقتل الملك دارا، فقد تأثر نظامي بما نظمـــه الفردوســـي[220]، وأضاف عليه تآمر الأسكندر مع قاتلي دارا على اغتياله، فذكر أن ضابطين من ضباط دارا المقربين إليه في الظاهر، والخائنين لفي الحقيقة، تقدما إلى الأسكندر بعد أن طلب الجيشان فترة من الهدنة، وأظهرا له أنهما ضاقا ذرعا بظلـــم دارا وغدره، فحقدوا عليه، ثم بينا أنهما يريدان إراقة دمه، وفق خطة محكمة، علـــى شرط أن يمنحها ثروة مالية كبيرة[221].

فوافق الأسكندر وعقد الاتفاقية، ومنحهما الثروة، وفقـــا لمـــا وعـــدهما به[222].

وقد صور نظامي جريمة قتل دارا فقال:

زمين كفتـــى ازيكـــديكر بردريـــد		ســـــرافيل صـــــرو قيامـــــت دميـــد
غبار زمين بـــر هـــوا راه بســـت		عنان ســـلامت بـــرون شـــد زدســـت
زبس كر برتارك وتـــرك وزيـــن		زمـــين آســـمان آســـمان شـــد زمـــين
جهـــا نجـــوى دارا زقلـــب ســـباه		براشفت جـــون شـــرزه شـــير ســـياه
وزي سو سكندر بشمششـــير تيـــز		برانكيختـــــه از جهـــــان ر ســـــتخيز
دودست آوريـــده بكوشـــش بـــرون		بهردســـت شمشـــميري المـــاس كـــون
دولشكر جومـــور وملـــخ تاختنـــد		نبـــــردى جهـــــان درجهـــــان ســـــاختند
سكندر بدان خواسته عهـــد بســـت		بـــــه بيمـــــان در خواســـــته داد دســـــت

(220) انظر الرسالة، ص 43- 47.
(221) نظامي: شرفنامه، ص 205- 206.
(222) نفس المرجع: ص 206.

"مد الضابطان الغادران في اندفاع طائش وكأنهما فيلين أيديهما إلى جسد الملك الضخم البينة.

وضرباه بسهم في جنبه، فتلوثت الأرض بدمائه، وصارت كالروضة المملوءة بالشقائق الحمراء.

فخر دارا صريعا، بسبب ذلك الجرح العميق، فتزلزلت الأرض، وكأن يوم القيامة قد حل"[223].

ويصف الفردوسي ندم الأسكندر على تآمره مع الضابطين فيقول:

ولما علم الأسكندر أن هذين الأحمقين- على الرغم من سابق اتفاقه معهما- قد تجاسرا على إراقة دم الملوك.

ندم علمى اتفاقه الذي عقده معهما، لأنه رفع العصمة عن روحه[224].

ثم تقدم الأسكندر إلى دارا، في صحبة هذين القاتلين، فلما وصل موكبه إلى دارا، تباعد الذين التفوا حوله، فرأى الأسكندر جسد دارا الضخم ملطخا بالدماء والتراب، وقد انخلعت قلنسوته الكيانيةُ عن رأسه، فترجل الأسكندر جلس بجواره، ووضع رأسه على فخذه.

---

(223) نفس المرجع: ص 214:

دوسر هنكَ غدار جون بيل مست		بران بيلتن بركَشا دند دست
زدندش يكى تيغ بهلو كزار		كَه ازخون زمين كَشت جون لاله زار
در افتاد دارا بدان زخم تيز		زكَيتى برامد يكى رستخيز

(224) نظامي: شرفنامه، ص 214:

سكندر جو دانست كان ابلهان		دليرند بر خون شاهشهان
بشيمان شد ازكرده بيمان خويش		كه برخاستش عصمت از جان خويش

ويصور نظامي المشهد الأخير بينهما فيقول:

"أغمض دارا الراقد على التراب عينيه وقال له: إنهض من هذا التراب والدم.

ودعنى، فلم تبق لي نجاة، ولم يبق لمصابحى ضياء.

فأنا بالنسبة للأرض تاج يتربع على مفرق السماء فلا تهزني، حتى لا تهتز الأرض"[225].

ويبدو من قول دارا هذا، أن نظامي قد تغلبت عليه النعرة الإيرانية، فأراد أن يبين للقارئ على لسان دارا، أنه على الرغم من تغلب الأسكندر على ملك بلاده، إلا أن بلاده في ذلك الوقت كانت لها السيادة على العالم، وكان ملكها ملك العالم، بحيث أن الأرض ستهتز لوفاته.

وقد تأثر الأسكندر بما قاله دارا، فأراد أن يبين له أنه لم يكن راغبا في قتله، فقال:

"أيها الملك، أنا الأسكندر خادمك.

إنني لم أكن أرغب أن تتلوث رأسك بالتراب، ويلطخ وجهك بالدماء.

ولكن ما فائدة الندم إذا حم القضاء.

فلو كتبت لك النجاة. فسأكون تابعا لك.

أقسم بالله عالم الغيب والأسرار، أنني في أشد الحاجة إلى شفاء دارا.

---

(225) نفس المرجع: ص 215– 216:

فروبسته جشم آن تن خوابناك		بدو كفت بر خيز ازين خون وخاك
رهاكن كه درمن رهائى نماند		جراغ مرا روشنائي نماند
زمين را منم تاج تارك نشين		ملرزان مرا تا نلرزد زمين

وفي رأيي أن شعرة من رأس الملك أثمن من آلاف التيجان.

فقل كل ما عندك من رغبات، حتى أمر بتنفيذها، وأنى أعدك بذلك"[226].

فأجابه دارا قائلا:

"لي رغبات ثلاث، أرجو أن تتحقق بفضل ملك العالم.

أولهما: أن تقتص ممن قتلني بغير ذنب.

وثانيها: ألا تقضي- حينما تصبح ملكا على إيران- على أحد ممن كانوا على عرش الكيانيين.

فانزع بذور الحقد من قلبك، ولا تقطع دابرنا من تلك الأرض.

وثالثهما: أن تنتهك حرمة أسرتي.

بل ارفع من قدر ابنتي روشنك.

وذلك بأن تتزوجها، فقد ربيتها تربية سامية ورفيعة.

(226) نظامي: شرفنامه، ص 216 – 218:

سكندر بناليد كاى تاجدار		سكندر منم جاكر شهريار
نخواهم كه برخاك بودى سرت		نه آلوده خون شدى بيكرت
وليكن جه سودست كاين كاربود		تأسف ندارد درين كار سود
اكر تاجور سر بر افراختى		كمر بند او جاكرى ساختى
بداراى كيتي ودانای راز		كه دارم ببهبود دارا نياز
بنزديك من يكسر موى شاه		كراميتز از صد هزاران كلاه
بكو هر جه دارى كه فرمان كنم		بجاره كرى با توبيمان كنم

فلا تبعد قلبك المشرق عنها، لأن الشمس يجب أن يلازمها النور"[227].

ومات دارا بعد أن أنهى كلامه، فبكاه الأسكندر، ثم أمر أن يعدوا مقبرة لائقة به، وأن يضعوا جثمانه في تابوت من الذهب، وأن يدفنوه في جنازة رسمية تليق بمكانته[228].

جلوس الأسكندر على عرش إيران:

صور نظامي الأسكندر في صورة الملك الكريم العادل، فذكر لنا أن الأسكندر بعد أن دخل إيران، جمع جميع كنوز دارا القديمة والحديثة، كما أحصى جميع ممتلكاته من التحف والطرائف النادرة والتيجان والملابس الملكية والجواهر، ثم قام بفتح تلك الخزائن أمام المحتاجين، واجزل العطاء للطالبين[229].

---

(227) نفس المرجع: ص 219:

سه جيز آرزو دارم اندر نهان		برايد باقبال شاه جهان
يكى آنكه بركشتن بيكناه		توباشي درين داورى داد خواه
دويم آنكن برتاج وتخت كيان		جو حاكم توباشى نيارى زيان
دل خود بيردازي ازتخم كين		نبردازى از تخمه ما زمين
سوم آنكه بر زير دستان من		حرم نشكني در شبستان من=
=همان روشنك راكه دخت منست		بدان نازكى دست بخت منست
بهم خوانى خود كنى سربلند		كه خوان كَر ددازنازكان ارجمند
دل روشن از روشنك بر متاب		كه با روشنى به بود آفتاب

(228) نظامي: شرفنامه، ص 220.

(229) نفس المرجع: ص 227.

ففرح الإيرانيون بهذه العطايا، ودانوا له بالولاء.

ويصف نظامي موقفهم هذا فيقول:

أثنوا على الملك قائلين: ليكن الله معينا لك.

فقد رحل الملك القديم، وأنت ملكنا الجديد.

ولن يكون ملك علينا سواك، ولن يخالف واحد منا رأيك، كانــا رهــن اشارتك، ومدينون لك بالولاء"[230].

ولما رأى الأسكندر ولاء الإيرانيين لــه، أمــر بإحضــار قــاتلي دارا، والإطاحة برأسيهما عقابا لهما على جريمتهما[231]، وذلك من أجل اخفاء ما كان بينه وبينهما من تأمر على قتل دارا قبل ذلك، ثم أمر الإيرانيين بتــرك عبــادة النار، واعتناق دين الملك الجديد، آلا وهو عبادة الله وحده الذي لا شــريك لــه. وفي سبيل نشره أمر بحرق عبدة النار وتحطيم معابدهم[232].

وكما سبق أن ذكرت فقد أثرت هنا عاطفة نظامي الإسلامية عليه بصفته مسلما متدينا، بل غلبت على عاطفته الوطنية، فجعلته ينظر إلــى حــرق عبــدة

در كَــنج بكشــاد برهــر كســى		خزينــة بســى داد وكَــوهر بســى

(230) نظامي: شرفنامه، ص 227- 228:

كَرفتنــد بــر شــهريار آفــرين		كــه يــار توبــادا ســبهر بــرين
كهن رفــت وشــاه نومــا تــوئى		نه خسرو كــه كيخســرو مــا تــوئى
نبيجــد كــى كَــردن ازراى تــو		ســر مــا وبــائينكن بــاى تــو

(231) نفس المرجع: ص 228.

(232) نفس المرجع: ص 239:

مغــانرا بــآتش ســبارند رخــت		برآتشــكده كــار كَيرنــد ســخت

النار، وتحطيم معابدهم، على أنه عمل نبيل وصالح، من وجهة نظره الإسلامية العامة الواسعة.

ولعل نظامي قد أشار إلى عبادة الله الواحد، على أساس أنه اعتبر الاسكندر - كما سيرد ذكر ذلك في الجزء الثاني من المنظومة - نبيا مرسلا من قبل الله عز وجل، ولا شك أن أثر التوحيد الإسلامي هو الذي جعل نظامي يسلك هذا المسلك في تصوير شخصية الأسكندر.

أما عن زواج الأسكندر بروشنك ابنة دارا، فقد ذكر لنا نظامي أنه بعد أن استقرت الأمور للأسكندر، فتح الخزائن، وارتدى الخلعة الملكية، وأمر بتزيين قصر دارا، استعدادا لزواجه من روشنك. كما أمر أيضا بتزيين جميع أنحاء البلد، وإقامة الأفراح، يقول نظامي:

"تزينت جميع ضواحي البلاد بالزينات الخوارزمية والديباج الرومي.

ورفعت الأعلام عالية تناطح السحاب، وكأن الدنيا قد تحلت بزينات جديدة.

وجلس المطربون في كل ناحية يعزفون ويغنون"(233).

ثم عقد زواجه على روشنك، وفاء لعهده مع أبيها، فأحبها وأحسن معاملتها.

وبعد إتمام الزواج توجه الأسكندر إلى مدينة اصطخر، وجلس على عرش إيران.

(233) نظامي: شرفنامه، ص 250- 251:

بمنسوج خوارزم وديباى روم		مطرا كنند آنهمه مرز وبوم
علم ها بكَرد بر افر اختند		جهانرا نو آرايشى ساختند
نشاندند مطرب بهر برزنى		اظنى سرائى وبسريط زنى

ولقد اعتبر نظامي هذا شيئا طبيعيا ليس فيه معنى الانكسار والهزيمة لبلاده حيث أصبح واحدا منهم فبعد أن تزوج أميرة إيرانية أصبح خليفا بعرش إيران، فقال:

توجه إلى اصطخر، وهناك لبس التاج وجلس على عرش كيومرث وكيقباد.

فتزين به ملك إيران، وقويت به شكيمة الأبطال.

وتوافد إليه العظماء مهنئين، لأنهم ارتفعوا بذلك الملك العظيم"[234].

ثم وجه الأسكندر خطابا إلى شعب إيران بين فيه سياسته العادلة التي يتبعها مع شعوب البلاد التي يفتحها، فقال:

"لقد جئت من أقصى الروم إلى إيران، لأجعل الصعب سهلا بسياستي الحكيمة.

لق استلهمت العدل من الساء، ولا أحيد عنه لحظة.

اننى نصير المظلومين، وآخذ بيد الضعفاء.

ولأنني اليوم سلكت الطريق الصواب، فقد عرفت غدى.

لقد جمعت الخراج، لذلك لن آخذ خراجا أو جزية من ولاية.

ولو عثرت على كنز من كنوز الدنيا، فإننى سأحضره وأقسمه بين الجميع.

([234]) نظامي: شرفنامه، ص 258:

باصطخر شد تاج بر سرنهاد		بجاى كيومرث وكيقباد
شد آراسته ملك إيران بدو		قوى گشت بشت دليران بدو
بزركان بدو تهنيت ساختند		بدان بزركى سر افر اختند

وسأمنح كل شخص مفتاح السعادة، وسأوفر لكل شخص العمل المناسب.

فأنا لا أخشى أي شخص سوى الله.

لذا فإنني سأسحق كل شخص انتهازى وضيع، وسأمنح من يستحق العطاء.

وأقابل الإساءة بالإساءة، والحسنة بمائة حسنة.

فأنا لم آت من تلقاء نفسي من بلاد الروم إلى إيران، ولكن الله هو الذي أرسلني إلى هنا.

لأظهر الحق على الباطل، ولأجد المفتاح لكل قفل وقيد.

ولأساند أصحاب الحق، وأهل الباطل.

فلتكن يا إلهى معينا لي، ولتحمنى من شر الحاسدين"[235].

---

(235) نظامي: شرفنامه، ص 258- 261:

بايرانم آورد از اقصاى روم		بفرمان من سنكَ را كرد موم
بذير فتم از دا ور آسمان		كه ناسايم از داورى يكزمان
ستمديده را داد بخشى كنم		شب تير كَانرا درخشى كنم
ره راستى كَيرم امروز بيش		كه آكَاهم ازرورفو داى خِويش
ده ود و ده را بر كَرفتم خراج		نه ساو از ولايت ستانم نه باج
كَر كَنجى آرم زدنيا بدست		مهيا كنم قسمت هر كه هست
دهم هر كسى را زدولت كليد		كنم بايه كار هر كس بديد
ندارم زكس ترس درهيرج كار		مكَر زان كسى كاوبودتر سكَار
درآس افكنم هر كر اسود نيستِ		ببخشايم آنراكه بخشود نيست

وبعد ذلك أمر الأسكندر بأن يجمعوا الكتب الفارسية في أسـرع وقـت، وترسل مع المترجمين إلى بلاد اليونان، لتترجم[236].

ثم عزم على الطواف حول العالم، فأستدعى وزيره ارسطوه وأفصح له عن رغبته هذه، وطلب منه أن يصطحب معه زوجته روشنك إلى اليونان[237].

وقد نصحه ارسطو قبل مغادرة إيران، بعدم تعيين أحد من الروم علـى إيران، وضرورة تقسيمها على أبناء الملوك، حتى ينشغلوا بماتحـت حـوزتهم، وفي التنافس مع بعضهم البعض، وبذلك يتجنب ثورتهم على بلاد اليونان، كمـا نصحه بعدم إراقة دماء الملوك حتى لا يثير الفتن ضده، ولا يريـق دم مظلـوم خوفا من انتقام الخالق[238].

وقد غلبت هنا النعرة الإيرانية على نظامي، فادعى أن الأسكندر قد قسم حكم إيران على أبناء ملوكها، وذلك ليدفع عن بلاده عار الاحتلال، بينما التاريخ الحقيقي يثبت أن الأسكندر أسند أمر ولايات إيران لبعض قواد الروم الذين كانوا دويلات بعد ذلك عرفت باسم (السلوكيين).

ورجع أرسطو إلى اليونان، ومعه روشنك ابنة دارا وزوجة الأسـكندر، وهي تحمل جنينا، فلما وضعته، سمته (اسكندروس) بنـاء علـى أمـر والـده

بجاى يكى بد يكى بد كنم		بياداش نيكى يكى صد كنم
بخود نامدم سوى إيران زروم		خدايم فرستاد ازان مرز وبوم
بدان تاحق از باطل آرم بديد		زمن بند هر قفل يابد كليد=
=سرحق شناسان بر آرم زخاك		بباطل برستان در آرم هلاك
خدايم در اين كار يارى دهاد		زجشم بدان رستكارى دهاد

(236) نفس المرجع، ص 268.
(237) نفس المرجع: ص 265.
(238) نظامي: شرفنامه: ص 267:

الأسكندر. وقد رباه أرسطو، واعتنى به ليكون وليا على عرش اليونان من بعد والده[239].

زيارة الأسكندر للكعبة:

كان طبيعيا أن يبدأ نظامي بصفته مسلما متدينا ورعا حديثه عن طواف الأسكندر حول العالم، بزيارته للكعبة، لأنها أطهر وأقدس مكان على وجه الأرض. وبما أنه صورالأسكندر في صورة الملك العادل، الذي يفتح البلاد لنشر العدل والأمن، وليس للغزو والاستعمار فكان منطقيا أن أول مكان تهفو نفسه إليه هو الكعبة.

ويصور نظامي زيارته للكعبة فيقول:

"طاف حولها الطواف المفروض.

وقبل بابها أولاً، ثم ذكر الله ناصره.

ومجد أمام بابها، ومنح الفقراء بسخاء"[240].

وبعد التعبد والزيارة، اتخذ طريقه إلى بلاد اليمن، وفتحها[241].

ثم توجه صوب العراق، وعزم على التوجه إلى بلاده، غير أن رسالة وصلت إليه من آذربيجان، تدعوه إلى إصلاح شأن بلاد الأرض، وعدم اغفالها، كما أصلح العالم، وأخمد صوت الظلم.

---

(239) نفس المرجع، ص 268– 269.

(240) نظامي: شرفنامه، ص 272:

طوافى كز اونيست كس را كزير		بر آورد وشد خانه حلقة كير
نخستين در كعبة را بوسه داد		بناهنده خويش را كرد ياد
بران آستان زدسر خويش را		خزينه بسى دادا درويش را

(241) نفس المرجع: ص 273.

فسار الأسكندر إلى هذه الديار، ورتب شئونها، كما أصلح بلاد الأبخاز[242]، فخضع جميع الملوك له، وأصبحوا يؤدون له الخراج[243].

ذهاب الأسكندر إلى مملكة بردع[244]:

تأثر نظامي بما نظمه الفردوسي عن ذهاب الأسكندر إلى بلاد الأندلس ومدينة هروم، وخلط بينهما، وأخرج لنا حكاية ذهاب الأسكندر إلى مملكة بردع[245]، وهذا ما سأوضحه فيما يأتي.

وقد ذكر أن الأسكندر علم أن مملكة بردع تحكمها ملكة عاقلة جميلة اسمها (نوشابة)[246]. وأن في بلاطها ألفا من الفتيات الأبكار الجميلات كالأقمار، يقمن بخدمتها.

هذا بالإضافة إلى ثلاثين ألف فارسة ماهرة، وليس على بابها أحد من الرجال، حتى ولو كانوا من أقربائها[247].

---

(242) الأبخاز: اسم ولاية تقع في إقليم التركستان شمال إيران، اشتهر أهلها بظلمهم. وكان معظمهم يعتنقون الدين المسيحي والبعض الآخر يعبد النار: انظر برهان قاطع، ج1، ص 78.

(243) نظامي: شرفنامه، ص 273- 275.

(244) بردع: مدينة غنية بالخيرات وكبيرة، تقع في أقصى إقليم آذربيجان. انظر: برهان قاطع، ج1، ص 252.

(245) انظر الرسالة ص: 57- 60، ص 64- 67.

(246) ذكر الفردوسي في الشاهنامه اسم هذه الملكة على أنه (قيدافه) ويبدو أن هذا الأسم أصح من (نوشابه) الذي ذكره نظامي، لأنه يذكر في اليونانية على أنه (Candace) وهو قريب من قيدافه.

(247) نظامي: شرفنامه، ص 277.

هزارش زن بكر در بيشگاه		بخدمت كمر بسته هريك چو ماه
برون ازكنيزان جابك سوار		غلامان شمشير زن سى هزار
نكشتى زمردان كسى بر درش		وگر چند نزديك بودى برش

قلما علمت هذه الملكة أن الأسكندر ينوى التوجه إلى مملكتها بجيوشـــه، أرسلت إليه الهدايا والتحف لتثنيه عن المجئ إليها، وكانت الهدايا عبـــارة عـــن خراف مطهية، وأحصنة بألجمة ذهبية، وملابس ملكية، وجميع ما تنتجه المملكة من منتجات وخيرات ثمينة تليق به[248].

ولكن هذه الهدايا شوقت الأسكندر أكثر وأكثر إلى مشاهدة هذه المملكة، واكتشاف أسرارها، فتوجه إليها متنكرا في هيئة رسول من قبله، يقول نظـــامي في ذلك:

أعد نفسه كما يفعل الرسل، وتوجه إلى الحسناء في هيئة رسول[249].

ولما علمت نوشابه بقدوم رسول من قبل الأسكندر إليها، زينب الـــبلاط، والطريق المؤدي إليه، وصفت الفتيات الجميلات مزدانات بمختلف أنواع الزينة.

ثم أمرت بإحضار الرسوم أمامها، فدخل الأســكندر بشـــجاعة، واتجـــه كالأسد المغرور نحو العرش، ولم يخلع سيفه، ولم ينحن أمامها كعادة الرســـل، فشكت في أمره، وأمعنت النظر إليه، وتأكدت من هيئة وطريقـــة جلوســـه أنـــه الأسكندر[250].

وبعد أن ألقى الأسكندر خطابه أمام الحاضرين، ردت عليـــه نوشـــابه، وواجهته بحقيقة شخصيته قائلة:

"لقد جاءت عبارات رسالتك حادة كالسيف الباتر، ومن ذا الذى له القدرة على أن يطلق هذا السيف علي.

ولكن حينما يضرب الملك بسيفه، فإن ضربته تكون قوية عالية.

---

(248) نفس المرجع: ص281.

(249) نفس المرجع ونفس الصفحة:

برسم رســـولان براراســـت كـــار		ســـوى نـــازنين شـــد فرســـتا مـــوار

(250) نظامي: شرفنامه: ص 282- 283.

فما أطلقته من سيف كلام الأسكندر، يشير إلى أنك الأسكندر، فأكشف عن نفسك.

لقد دعوتني، ثم جئت أنت بنفسك إلى فخى، فتخل عن فكرك الثاقب فقد جاء ساذجا.

لقد أرسلك اقبالي إلى، فما أسعد طالع فكري الثاقب المنير"(251).

لكن الأسكندر أنكر ما تقوله، فأمرت جارية، بأن تسرع، وتحضر ثوبا حريريا منقوشا عليه صور ملوك العالم لديهما، ثم أعطته للأسكندر، كي يرى رسمه قائله:

"إنظر رسم من هذا؟ وما رأيك في هذا الآمر؟

فإن كان رسمك، فلا تجادل كثيرا، فمحال أن تغطي السماء بحاجسبيك"(252).

---

(251) نفس المرجع، ص 285:

بيان توجون تيغ كرد ن زند		كرا ازهره كاين تيغ برمن زند
وليكن جوشه تيغ بازى كند		سر تيغ او سر فرازى كند
زتيغ سكندرجه رانى سخن		سكندر توئى جاره خويش كن
مرا خواندى وخود بدام آمدى		نظر يختة تركن كه خام آمدى
فرستادت اقبال من بيش من		زهى طالع دولت انديش من

(252) نفس المرجع، ص 285:

ببين تا نشان رخ كيست اين		دراين كار كاه ازبى جيست اين
اگرا بيكر تست جندين مكوش		بابروى خويش آسانرا مبوش

فلما رآها الأسكندر، وجل علاه الخجل ولما أدركت نوشابه ما ألم بهـذا الأسد الهصور من خجل، قالت:

"أيها الملكُ المتلفر كم أحدث الدهر مثل هذه الحيل.

فلا تفكر في شيء، وأعلم أن صداقتى أكثر من أي شيء آخر، وإن هذا المنزل منزلك.

وأنى لك جارية مطيعـة، وخادمـة منقـادة سـواء فـي دريـارك أم ديارى"[253].

ثم استضافته في بلاطها، واحتفت به، وأقامت له حفلا كبيرا، انصـرف بعده مرورا عائدا إلى بلاده، بعد أن أنعم على نوشابه، وعلى من حولها بالعطايا الكثيرة[254].

ذهاب الأسكندر إلى جبل البرز:

ويذكر نظامي أن الأسكندر سار بجيوشه بعد ذلك إلى جبال البرز، وكان رجاله يحملون ثروته وكنوزه معهم، ويسيرون ببطء لكثرة ما معهم من الجواهر والذهب، حتى شعروا بالمشقة والتعب، فشاوروا الأسكندر في أمر هذه الجواهر، فأمرهم بدفنها تحت الأرض قائلا:

"كل واحد يحمل كنزا عليه أن يدفنه، ليستريح من المشقة والتعب.

---

(253) نفس المرجع، ص 287:

بد وكَفت كـى خسـرو كامسـكَار		بسـى بـازى آرد جنـين روز كَـار
ميـديش ومهـر مـرا بـيش دان		همـان خانـه راخانـه خـويش دان
تـرا مـن كنيـزي برسـتند، ام		هم آنجـا هـم اينجـا يكـى بنـد، ام

(254) نفس المرجع، ص 300- 308.

على أن يفضل كل واحد كنزه عن كنز الآخر، بوضع طلسم عليه، يحمل صورته"[255].

وكان هدف الأسكندر من ذلك، هو أن يعرف كل واحد من رجاله مكان كنزه، عند العودة من طواف العالم.

ويبدو أن غرض نظامي من هذه الحكاية، هو إظهار أن الأسكندر كان ثريا، ولم يكن طوافه حول العالم من أجل الحصول على الثورة والكنوز، بل كان من أجل سياحة العالم، ونشر العدل.

كما يبدو أيضا أن غرض نظامي من الحديث عن ذهاب الأسكندر إلى جبل البرز بالذات دون غيره، كان من أجل إثبات بطولة الأسكندر الفائقة، وقوة شخصيته، ذلك لأن جبل البرزيعد اعلى قمم الجبال الموجودة في إيران، والتي تفصل بين إيران والهند، وقد كان حديث الإيرانيين عن صعود قمم جبل البرز كناية عن العظمة والشجاعة"[256].

ذهاب الأسكندر إلى قلعتي دربند وسرير[257]:

ويذكر نظامي أن الأسكندر واصل سيره إلى قلعة دربند، واستطاع أن يفتحها بعد مشقة كبيرة، لمناعة حصنها[258]. ثم سار منها إلى قلعة سرير، فرحب أهلها به، حيث أجلسوه على عرش كيخسرو[259]، ونثروا عليه الأموال تحت قدميه، وقدموا له مبتهجين خمر الظفر في كأس النصر[260].

---

(255) نفس المرجع، ص 313:

بفرمود تاهر كرا كنج بود	نهان كرد كزبرزنش رنج بود
جداهر يكى برسر مال خويش	برانكيخت شكلى زتمثال خويش

(256) برهان: برهان قاطع، ج1، ص 157.
(257) هاتان القلعتان في إقليم القوقاز.
(258) نظامي: شرفنامه، ص 322- 323.
(259) كيخسرو: هو أحد ملوك الدولة الكيانية.
(260) نظامي: شرفنامه، ص 329:=

فلما أبصر الأسكندر الكأس، نهض من مكانه، ثم شربها، ولـم يطلـب غيرها، ثم خلع سوارا من ساعده، ونثر حباته على الكأس تكريما له. ثم جلـس ووضعه أمامه. ونظر إلى ذلك العرش الخالي من ملكه، وبكى تأثرا على ذلـك الكأس الفارغ من الخمر(261).

وقد نجح نظامي نجاحا كبيرا هنا في تصوير حب الإيرانيين للأسكندر، لدرجة أنهم قدموا نخب الانتصار في الكأس الذي كان يشـرب فيـه ملـوكهم القدماء. وهو يعد أعز وأغلى شيء عندهم، وأجلسوه على عرشهم وأيضا وفـق توفيقا عظيما في تصوير احترام الأسكندر لعادات وتقاليد شعوب البلاد التي كان يفتحها، وهذا يتفق مع ما ذكرته كتب التاريخ.

ذهاب الأسكندر إلى غار كيخسرو:

ثم اتجه الأسكندر بعد ذلك إلى غار الملك كيخسرو، وعندما اقترب منه، حذره حارسه بعدم التوغل في هذا الغار خشية هلاكه، لأنه لـم طـرق كثيـرة ومتشعبة، وتسكنها الأفاعي، ولكن الأسكندر بشجاعته الفائقة، لم يعبـأ بكلامـه، وأسرع مترجلا إلى الغار(262)، مصطحبا معه وزيره ويدعى (بليناس) واثنـين

=نشانند بـر تخـت كيخسـروش		فشـانند برسـر نثـار نـوش
در آن جـام فيـروزه ريزنـدمي		بفيـروزي آرنـد نزديـك وى

(261) نفس المرجع، ص 331:

جوشه جام را ديد بر باي خاسـت		بخور دآن يكى جام وديكـر نخواسـت
بران جام عقدى زبازوى خـويش		بـر افشـاند وبنشسـت وبنهـادبيش

(262) نظامي: شرفنامه: ص 337:

سـكندر زكفتـار او روى تافـت		بيـاده سـوى غـار خسـرو شـتافت

من غلمانه. وظل يسير حتى وصل إلى نهاية هذا الغار فلم يجد أي أثر للملك كيخسرو، بل وجد بئرا عميقة، تنبعث من داخلها نيران متوهجة، تحرق كل من يقع فيها، فدقق النظر إليها، واكتشف حقيقة هذه النيران المتوهجة وهي أن هذه البئر عبارة عن منجم كبريت، فطلب من وزيره بليناس، أن يربط حبلا حول وسطه، وينزل في هذه البئر كي يكشف حقيقة سره، فنفذ بليناس ما كلفه به الأسكندر، وخرج من البئر مؤكدا صحة اكتشاف الأسكندر.

وقد أدرك الأسكندر باكتشافه هذا سر اختفاء الملك كيخسرو، وهو أنه كان قد ألقى بنفسه في البئر، واحترق جسمه بتفاعلات الكبريت، يقول نظامي:

"فعلم أنه مات في هذا الغار، واختفى بسبب تفاعلات الكبريت الكيميائية(263).

والواضح من هذه الحكاية الأسطورية أن نظامي الكنجوى قد نجح في إثبات أن شجاعة الأسكندر وذكاءه استطاعا أن يكشفا عن الغموض الذي يكتنف سر اختفاء كيخسرو أحد ملوك الدولة الكيانية، الذي كان قد اعتكف عن الناس في غار، ثم اختفى عن الدنيا، ولم يظهر له أثر، وظل سر اختفائه غامضا، لم يستطع أحد من الإيرانيين كشفه.

ذهاب الأسكندر إلى إقليم خراسان:

ثم اتجه الأسكندر إلى إقليم خراسان، فاستولى على مدنه، وقضى على معتنقى الدين الزردشتي بها، وحطم معابدهم، يقول نظامي:

"دخل الأسكندر جيلان في سرعة خاطفة كسرعة السحاب، وفي جرأة وشجاعة كالنمر الشرس.

وحطم كل معبد للنار هناك، فكأنه وضع الثلج على رأس عابد النار.

---

(263) نظامي: شرفنامه، ص 338:

خبرداشت آنكو درين غار خفت		بكو كرد از ان كيميارا نهفت

وعندما قضى على عبدة النار، وأطاح بالدين الزردشتي.

ترك جيلان واتجه إلى السرى ملحقا الخسائر بأعدائه.

وقبض على عبدة النار هناك، وقضى عليهم.

ثم اتجه من نيسابور إلي مرو في سرعة مثل الحجلة حين تهجم على طائر التذرو.

وأخمد النار في معابد النار، فانفض عابدوها عنها.

ثم دخل بلغ، فجعل نيران زردشت كالماء بطوفان سيفه.

وطوى بجيشه الجرار خراسان وكرمان غزنين وغور"(264).

(264) نظامي: شرفنامه، ص 347- 350:

بكَيلان در آمد بكر دار ابر		بدانسان كه در بيشه آيدهزبر
هر آتشكهى كامد آنجابد ست		جويخ سرد كردش بر آتش برست
جو بشكست بر هير بديشت را		بر انداخت آيين زردشت را
زكَيلان برون شد در آمد برى		بأفكندن دشمن أفكند بى
بر آتش بر ستان سباست نمود		بر آورد از ان دوده يكباره دود
جو زد لشكر كبك رابر تذرو		زملك نشابور شد سوى مرو
بكَشت آتش هيريد خانه را		وز آتش برا كند بروانه را
ببلغ آمد وآتش زرد هشت		بطوفان شمشير جون آب كَشت
خراسان وكرمان غرنين وغور		به بيمود هر يك بسم ستور

وكما سبق أن ذكرت فقد غلبت هنا عاطفة نظامي الإسلامية على عاطفته الوطنية فتحدث دون تعصب لبنى جنسه، عن قضاء الأسكندر على الديانة الزردشتية، وقتل معتنقيها، وتحطيم معابد هذه الديانة، على أنه عمل جليل من ملك مؤمن يفتح البلاد منأجل نشر المعدل.

ذهاب الأسكندر إلى الهند:

تأثر نظامي عند حديثه عن ذهاب الأسكندر إلى الهند تأثرا كبيرا بما نظمه الفردوسي، وبشكل لا يتفق مع طبيعة شخصية الأسكندر كملك مصلح عادل كما وردت في منظومته، وكملك فاتح مسيطر كما وردت في الشاهنامه في هذا الموضوع، بل يمكن القول بأنه أعاد نظمه في صورة موجزة[265]. ولكنه اختلف عنه في أن ذكر في أول حديثه، أن توجه الأسكندر إلى الهند كان مسببا، وذلك لكي يؤدب (كيد) ملك الهند، لشقه عصا الطاعة عليه، وهذا على عكس الفردوسي الذي لم يذكر سببا، سوى رغبة الأسكندر في الغزو والفتح[266]. يقول نظامي:

حينما أتوجه إلى كيد الهندي، فإنني سأخمد نيران حقده وكيده.

ولو أطاعني مثل الآخرين، فلن يجد مني إلا كل رعاية وتقدير"[267].

وعندما وصل الأسكندر بجيوشه إلى حدود الهند، أرسل إلى كيد رسالة شديدة اللهجة، يبلغه فيها أنه قد جاء لقتاله، فعليه أن يعد جيشه ويخرج لملاقاته، ويطالبه بسداد الخراج، وألا سيطيح برأسه وعرشه[268].

([265]) انظر الرسالة ص 50- 53.
([266]) انظر الرسالة ص 51.
([267]) نظامي: شرفنامه، ص 352:

جو من سر سوى كيدهند ونهم		ازو كينه وكيد يكسونهم
كرايد بخدمت جو ديكر كسان		نباشم بر او جز عنايت رسان

([268]) نفس المرجع: ص 353- 354.

فلما قرأ كيد رسالة الأسكندر، رأى أنه من الأفضل أن يسالم الأسكندر، خوفا من أن يتحقق الحلم الذي رأه في منامه عنه، يعلق نظامي فيقول:

"وعندما رأى كيد تلك النيران المتوهجة، وجد أنه من الأفضل طلب الصفح منه.

لأن المنامّ الذي رآه عن ذلك البطل الشجاع، يخشى أن يتحقق"[269].

ثم أرسل كيد رسالة إلى الأسكندر يطلب فيها صفحة وعفوه، ويظهر فيها طاعته وتبعيته له، ويهديه أربعة عجائب لا مثيل لها في الدنيا، ويوضح هذه العجائب الأربعة فيقول:

"الأولى أرسل ابنتى إلى الملك، وهي فتاة جميلة كالشمس المشرقة، وكالقمر المنير.

والثانية كأس للشراب مصنوع من الياقوت الصافي، لا ينقص الشراب بالشرب منه.

والثالثة فيلسوف حاذق يكتشف الأسرار، ويحل المعضلات.

والرابعة طبيب عاقل ماهر، يجعل المرضى أصحاء"[270].

(269) نظامي: شرفنامه، ص 354:

جو كيد آنجنان آتش تيزديد		ازو رستكارى ببرهيز ديد
كه خوابى در آن داورى ديده بود		زتعبير آن خواب ترسيد، بود

لم يذكر نظامي لنا المنام وتفسيره، كما فعل الفردوسي، بل اكتفى بالتلميح بأن "كيد" رأى مناما عن الأسكندر.

(270) نظامي: شرفنامه، ص 356:

يكى دختر خود فرستم بشاه		جه دختر كه تابنده خورشيد وماه
دويم نوش جامي زياقوت ناب		كزوكم نكَردد بخوردن شراب
سوم فيلسوفي نهاني كشاى		كه باشد براز فلك رهنماي

فقبل الأسكندر منه هذه الهدايا، ثم أرسل له رسالة ودية، يبلغه فيها بأنه لن يحاربه، وسيكون معينا له في السراء والضراء[271].

ذهاب الأسكندر إلى الصين:

وقد تأثر نظامي هنا أيضا تأثرا كبيرا بما نظمه الفردوسي[272]، وأعاد نظمه، بصورة تتفق مع طبيعة شخصية الأسكندر الملك العادل المصلح، فذكر أن الأسكندر غادر الهند إلى التبت، ومنها اتجه إلى الصين. ولما وصل إلى حدودها أرسل رسالة إلى ملكها، يقول له فيها:

"إننا لم نجئ من إيران إلى هنا من أجل محاربتكم بل جئنا عابرين كضيوف.

ولكي يطيعنا ملك الصين ويأتمر بأوامرنا دون حرب أو سفك دماء.

فإذا كانت الشمس في بلدكم تشرق من الشرق، وتغرب في سرعة نحو الغرب.

فأنا تلك الشمس التي ساقت جيشا من الغرب صوب الشرق.

فإن كنت تخاف غدر الزمان، فلا تعص أوامري.

وانظر إلى صحراء الزنوج، فقد أصبحت بسيفي بحرا من الدماء في يوم المعركة.

وكيف أطحت بغرور دارا، وقهرت فور.

وقضيت على عروش ملوك آخرين، فلم تعادي الأسود.

بدلا من أن ترسل الهدايا والكنوز لهم، فلقد نزل الأسكندر بجيش كبير كالسد على مشارف البلد.

جهارم بزشكى خردمند وجست		كه نالند كانرا كند تندرست

([271]) نفس المرجع: ص 358- 359.
([272]) انظر الرسالة: ص 72- 76.

فإذا كنت تنوى قتالنا فانك قد أشعلت النيران في نفسك.

وإذا نويت السلام، فإنني قابل اعتذارك.

فاخبرني بما تنوي، كي أضع في سلتي الحب أو الكراهية"(273).

(273) نظامي: شرفنامه، ص 376- 378:

نه برجنكَ ازايران زمين آمديم		بمهمان خاقان جنين آمديم
بدان دل كه ازراه فرمانبرى		كند ميهمانرا بر ستشكَرى
بشهر شما كَر بلند آفتاب		زمشرق كند سوى مغرب شتاب
من آن أفتابم كه اينك زراه		زمغرب بمشرق كشيدم سباه
اكَر ترسى ازبيج دوران من		مبيجان سراز خط فرمان من
ببين تا زشمشير من روز جنكَ		جه درياى خون شد بصحراى زنكَ
جكَونه زدارا نشاندم غرور		جه كردم بجاى فرومايه فور
دكر خسروانرا بنيروى بخت		بسر جون در آور دم ازتاج وتخت
بجاى فرستادن نزل وكَنج		جرا باهزبران شدى كينه سنج
فرود آمدن جبست بر طرف راه		جنو سد سكندر كشيدن سباه
اكَر قصد بيكار ما ساختى		بخورى بر آتش بر انداختى
وكَربيش اقبال باز آمدى		كجا عذر اكَر عذرساز آمدى
خبر ده مراتا بدانم شمار		كه درسله مارست يامهره مار

وبعد أن قرأ ملك الصين رسالة الأسكندر خاف، وتردد في محاربته، ثم رد عليه برسالة يقول فيها:

لقد عبرت من بحر إلى بحر، واستوليت على إيران وتوران.

وعندما سيطرت على الغرب، رفعت علمك على الشرق.

فاستوليت على العالم بأكمله، وقد سئم قلبك الحرب الآن.

فأنت الأسكندر ملك إيران والروم، وأنا حاكم هذا البلد.

لقد خلقت أنا وأنت من التراب، والتراب من الأرض، وكل إنسان يرجع أصله إلى التراب.

فجميع العظماء تواروا في التراب، وفي التراب يستوى الجميع، فلا يوجد إنسان أفضل من غيره.

فلا تطح برؤوس الصينيين، حتى لا ينكسوا صفنكم في القاع.

ولا تتجبر إذا كنت قويا، لأن الله أقوى من أي ملك.

فأنا لست كبقية ملوك الصين، فسأحضر إلى حضرتك.

وأحضر لك كل ما أمرتني بكل ود وسرور.

لأنه في مثل هذه الظروف، إكرام الضيف واجب"(274).

(274) نظامي: شرفنامه، ص 384- 387:

زدريا بدريا تـو كـردى نشسـت		برايـران وتـوران تـرا بـود دسـت
زبر كار مغـرب جـوبر داختـي		علـم بـر خـط مشـرق انـداختي
كرفتي جهان جملـة بـالا وزيـر		هنـو زت نشـد دل زبيكـار سـير
سكندر تـوئى شـاه إيـران وروم		ملم كـار فرمـاى ايـن مـرزو بـوم
من وتو زخا كيم وخـاك اززمـى		همان به كـه خـا كـى بـود آدمـى

ولما وصلت هذه الرسالة إلى الأسكندر، سر وتراجع عن محاربته، كما بدأ ملك الصين بعد ذلك يعد مراسم الاحتفال لقدوم هذا الضـيف، وقـد أبـدع نظامي في تصويرها فقال:

"أعد له ضيافة ملكية، يظل العالم في دهشة من عظمتها، وأعـد مأدبـة طعام جميلة كالجنة البهيجة، تعجز أنياب الأسود عن التهامها لكثـرة طعامهـا وتنوعه، وزينوها بالخمر الصافية والفاكهة النضرة بكافة أنواعهـا، بحيـث لا يوجد نوع في العّالم إلا ووجد على هذه المائدة، كما وضعت عليهـا الأطعمـة الصينية، وكذلك الحلوى اللذيذة المطعمة بالنقل، والطرائف الثمينة النادرة التي لا يراها إنسان في العالم، كما احتوت أيضا الجواهر الثمينة[275].

ثم ترك ملك الصين البلاد لنوابه، وتوجه إلى الأسكندر لدعوته، ورجـع معه، وهناك جلس الأسكندر على عرش ذهبي مرصع بالجواهر أعد له من قبل، ثم عطر وايديه بالكافور والعنبر، ثم عقد ملك الصين زنار الخدمة، ووقف على الجانب الأيمن للعرش، وجاء العظماء بناء على أمر الملـك، وسـجدوا أمـام الأسكندر، تحية وتعظيما له، وبعد ذلك أمر الملك بأن يحضروا الطعـام علـى موائد ذهبية، ثم يضعونه على أرض مغطاة بالرمل الأصفر اللون، كلون الذهب، وبعد الأكل أحضروا الخمر الصافية، وجلسوا يشربونها في مكان مغطى بالبساط

همه سروری تابخا كسـت وبـس		كسى نيسـت در خـاك بهتـر زكـس
مكـن كشـته جينبـانرا خـواب		كـه افتـد تـر انيـز كشـتى در آب
قوى دل مشو كرجه دستت قويست		كه حكـم خـدا برترازخسـرو يسـت
بدر كاه تو سر نهـم بـر زمـين		نه من جملة كشـور خـدايان جـين=
=بهـر آرزو كـاورى در قيـاس		بفرمـان بـذيرى يـذيرم سـباس
دراين داورى هـيج بيغارمنيسـت		زمهمان برسـتى مـرا جـاره نيسـت

(275) نظامي: شرفنامه، ص 408 وما بعدها.

الأحمر، وعزف الموسيقيون بجوارهم ألحانا عذبة، وتقدم المطربون، وشدوا بأغان جميلة وجديدة، كما رقص الراقصون من فرط عذوبة هذه الألحان(276).

وبعد إنتهاء الحفل قدم فغفور الصين الهدايا الثمينة إلى الأسكندر، وكانت عبارة عن جواهر لا حصر لها، وأقمشة صينية، هذا بالإضافة إلى طيور وحيوانات نادرة الوجود(277).

وبعد أن تصالح الأسكندر مع ملك الصين، غلبه حنين العودة إلى وطنه، لكن جاءه أحد قواده، ويدعى (دوال)، وأخبره أن الروس يشنون الغارات على مستعمرات الروم، وأنهم الآن في مملكة بردع، فغضب الأسكندر وصمم على محاربتهم والانتقام منه قائلا:

"لو أن بلاد الروس مثل مصر، فاجعلها بحرا من الدماء كنيل مصر، وسألقى بها تحت أقدام الفيلة"(278).

ذهاب الأسكندر إلى إقليم القيجاق:

ويذكر نظامي أن الأسكندر وهو في طريقه إلى بلاد الروس، مر على منطقة تسمى (القيجاق) (279) تسكنها نساء جميلات سافرات الوجه، لا يتحرجن من أخ أو غريب، فلما راهن جند الأسكندر، فتنوا بهن. فطلب الأسكندر من زعماء القيجاق، أن يأمروا النساء بتغطية وجوههن، حتى لا يغيرين جنوده بمتابعتهن. لكنهم أجابوه بأن هذه عادتهن قائلين:

---

(276) نظامي: شرفنامه،ص 409- 410.

(277) نفس المرجع: ص 411.

(278) نظامي: شرفنامه: ص 422:

اكر روس مصر است نيلش كنم		سر آسيمه در باى بيلش كنم

(279) القيجاق: اسم منطقة تقع في إقليم التركستان، وتسكنها طائفة من الأتراك يسمون بالقيجاقيين: انظر: برهان قاطع، ج3، 1518.

"لما كان عدم النظر إلى الوجه السافر أفضل، فإن الوزر يقع على العين لا على الوجه السافر"[280].

فاستدعى الأسكندر وزيره بليناس، وطلب منه أن يفكر في حيلة لكي يجبر نساء القيجاق على لبس الحجاب، ففكر وصنع طلسما على هيئة فتاة من الحجر، وألبسها حجابا من الرخام الأبيض، وغطى وجهها ببرقع. فلما رأتها كل امرأة من نساء القيجاق، خجلت من نفسها، ولبست الحجاب، وغطت وجهها[281].

والمؤكد وقوع أقليم القيجاق في طريق الأسكندر إلى بلاد الروس قد حركت في أعماق نظامي ذكرياته القديمة في هذا الأقليم، حيث كانت زوجته الأولى التي تدعى (أفاق) والتي أشاد بجمالها – كما سبق أن ذكرت– من هذا الأقليم، وقد أنجب منها ابنه الوحيد (محمدا)، فجعلته يزج بهذا الموضوع معترضا خط سير الأحداث في المنظومة.

كما أثرت نشأة نظامي الدينية في معالجته لفكرة هذا الموضوع، حيث وفق توفيقا عظيما في تصوير الأسكندر كملك مصلح متدين استطاع أن يقنع النساء بحيلته الذكية إلى الصواب وذلك في صورة طبيعية صادقة تؤهله للحديث عنه كنبى بعد ذلك.

ذهاب الأسكندر إلى بلاد الروس:

توجه الأسكندر من القيجاق إلى بلاد الروس بجيش كبير جرار، يزيد عدده عن تسعمائة ألف جندي، جمعه من مختلف البلاد التي فتحها، بالإضافة إلى جيشه الأصلي.

---

(280) نفس المرجع: ص 426:

جودروى بيكانه ناديده به		جنايت نه بروى بر ديده به

(281) نظامي: شرفنامه: ص 426– 428.

ولما وصل إلى بلاد الروس تقابل الجيشان، ووكان الأسكندر في مقدمة جيشه، وقائده (دوالي) والفرسان الإيرانيون على ميمنتــه، وقائــده (قــدرخان) والصينيون على ميسرته[282].

وقد دارت بين الجيشين سبع معارك ضارية وشرسة[283]، كان النصــر فيهما حليف الأسكندر، وأمعن في الروس القتل والأسر والشنق.

وقد علق نظامي على فوز الأسكندر في هذه المعارك فقال:

"أعطت الدنيا الحظ والملك لملك العالم، ولحقت الهزيمة بعدوه.

فأمعنوا في جيش الروس قتلا وأسرا وشنقا"[284].

ثم استطاع بعد النصر أن يخلص الملكة نوشــابة ملكــة بــردع مــن أسرهم[285].

وقد نجح نظامي هنا نجاحا عظيما في تصوير الأسكندر فــي صــورة الملك العادل الثائر على الظلم، الذي توجــه علــى الفــور لنصــرة المظلــوم، يصطحب معه جنود البلاد التي فتحها في المعارك دون خيانته، مما يدل علــى حبهم وإخلاصهم له.

ثم حديثه عن قيادة الأسكندر لهذه المعارك في جرأة نــادرة وشــجاعة باسلة من أجل الثأر والانتقام من الروس، فقال:

كان الأسكندر في تلك الحرب كالأسد الثائر يضرب بحربة قوية في يده.

---

(282) نظامي: شرفنامه، ص 437.

(283) نفس المرجع: انظر وصف المعارك، ص 436- 473.

(284) نفس المرجع – ص 476:

هزيمــت در افتــاد بــدخواه را		جهــان داد شــاهى جهانشــاه را
ز روسى بسى خون وهوى ريختند		كرفتنـــد وكســـتند وآو يختنـــد

(285) نفس المرجع: ص 478.

فكان يشبه الفيل المدرع بدرع من الفولاذ، والأسد الغاضب حين يزأر"(286).

كذلك اطنابه في وصف المعارك، كان يهدف من ورائه، إثبات ثورة الأسكندر على الظلم، وإصراره على القضاء عليه.

أيضا ختم نظامي حديثه لهذه المعارك، بأن ذكر أن الأسكندر لم يغنم منها غنائم كثيرة رغم انتصاره، لدليل قوي منه على أن الأسكندر كان هدفه الوحيد هو بسط العدل والإطاحة بالظلم، يقول:

لم يغنم الملك غنائم كثيرة، وبحيث يسهل حصرها"(287).

اسطورة ماء الحياة:

أثرت نشأة نظامي الدينية الإسلامية تأثيرا ملحوظا في تناوله لهذا الموضوع. ويبدو هذا واضحا في العنوان الذي وضعه له وهو "افانه أبن حيوان" أي (أسطورة ماء الحياة)، فكلمة أسطورة تعني أن هذا الموضوع أو هذه الحكاية خرافية، وليست حقيقة.

ثم بدأ حديثه، فذكر أن الأسكندر جمع كبار رجاله دولته في جلسة، فحكى كل واحد منهم حكاية، إلى أن جاء الدور على شيخ هرم، فحكى أن هناك عين ماء تقع في وادي الظلمات، كل من يشرب من مائها، ينعم بالحياة الأبدية، فدهش الأسكندر وتعجب، وسأله عن طريق الوصول إلى تلك العين، فأجابوه أنه

(286) نظامي: شرفنامه، ص 475:

سكندر در ان حرب جون شيرمست		يكى حربه بهلواني بدست
جكونه بود ببل بولاد ببوش		زشير زيان جون بر آيد خروش

(287) نظامي: شرفنامه، ص 477:

نه جندان غيمت بخسرورسيد		كه اندازه آيدآنرا بديد

بوجوده في بلاد الروس، أصبح الطريق للوصول إليها قصيرا وسهلا، لأنها تقع في القطب الشمالي.

فسار الأسكندر مصطحبا معه مستشاره الخضر وجيشه نحو الشمال، لكن كثيرا من جنوده كانوا قد تعبوا ومرضوا من مشقة السير، إلى أن مر في أثناء

السير على واد، وجد به غارا، فأمر جنوده أن يستريحوا به، حتى يعود اليهم.

ثم واصل الأسكندر سيره هو والخضر وبعض رجاله، حتى وصل إلى أقصى القطب الشمالي، حيث ساد الظلام فترك رجاله، وطلب من الخضر أن يتقدم ويقوده إلى عين ماء الحياة، يقول نظامي:

"وعندما وصل الأسكندر إلى منطقة الظلمات، ترك أتباعه، وأمر الخضر بأن يكون قائده ومرشده في ذلك الطريق الجديد"[288].

وسار الأسكندر والخضر في الظلام، يبحثان عن ماء الحياة، لكن الأسكندر ضل الطريق.

بينما استطاع الخضر أن يصل إلى عين ماء الحياة، فشرب من مائها، واستحم فيها، فنعم بالحياة الأبدية، يقول نظامي:

"نزل بعد أن خلع ثيابه في سرعة، واستحم في هذا الماء الطاهر.

وشرب منه بقدر ما استطاع، فأصبح جديرا بالحياة الأبدية"[289].

(288) نظامه: شرفنامه، ص 508:

سكندر جو آهنگ ظلمات كرد		عنايت بترك مهمات كرد=
=جنان داد فرمان در آن راه نو		كه خضر بيمبر بود بيشرو

وقد تأثر هنا أيضا نظامي مثلما تأثر الفردوسي بقصة (موسى والعبد الصالح) الذي يدعى الخضر والتي ورد في القرآن الكريم في سورة الكهف.

(289) نظامي: شرفنامه، ص 510:

أما الأسكندر فقد ظل في الظلام يبحث عنها أربعين يومـــا، فلـــم يعثـــر عليها، فيئس في النهاية، وعزم على الرجوع عن هذا الطريق الذي قضى فيـــه وقتا طويلا[290].

ثم سمع هاتفا ينصحه بالعودة قائلا:

"يجب على الأسكندر الذي لا يرى ماء الحياة الذي يبحث عنـــه، أن لا يبحث عن الخضر الذي وصل إلى ماء الحياة.

لقد أسرع الأسكندر إلى الظلام بينما وجد الخضر طريق النور بحصوله على الماء"[291].

فرجع الأسكندر بعد ذلك على الفور إلى جنوده الذين كان قد تركهم في الغار وانصرف بهم عائدا إلى بلاده.

وقد اكتفى نظامي بختم حديثه برجوع الأسكندر من وادى الظلمات ولـــم يتأثر لتدينه وروعه بما ذكره الفردوسي في الشاهنامه مـــن أن الهـــاتف دعـــا الأسكندر إلى التوجه إلى الجبل، فرأى إسرافيل وهو ينتظر أمر الله بالنفخ فـــي الصور، وعد هذا تصديا على الآداب الشرعية وعلق وقال:

"لن أتحدث عن إسرافيل ونفخ الصور لأنه يجب البعد عن هذا المجال.

فرود آمد وجأمـــه بركنـــد جســـت		سروتن بـــدأن جشـــمه بـــاك شمســـت
وزو خورد جندانكـــة بـــر كارشـــد		حيـــــات ابـــــد را ســـــزاوار شـــــد

(290) نفس المرجع: ص 512.
(291) نفس المرجع: ص 513.

سكندر كه حبست آب حيوان نديـــد		نجســـته بخضـــر آب حيـــوان رســـيد
ســـــكندر بتـــــاريكى آرد شـــــتاب		ره روشـــــنى خضـــــر يابـــــد بـــــرآب

وإذا كان شاعرا آخر قد تحدث عن ذلك، فلا يجب أن أذكره مرة ثانية"[292].

عودة الأسكندر إلى بلاد الروم:

وقد ختم نظامي حديثه عن الأسكندر بعودته إلى بلاده، فذكر أن شعب اليونان عندما علم بعودته، فرح فرحا شديدا، ويصور مظاهر هذا الفرح فيقول:

"خرج عظماء اليونان حاملين الأعلام لاستقباله.

وأضاؤا الطريق القادم منه، فصار كالقمر المتلألئ في منتصف الليل.

وعلقوا الزينات بجميع المدن وفرشوا الأبسطة في الطرق.

وزينوا جميع القصور فبدت جميلة كالجنة.

ونثروا الذهب والفضة على الأرض.

وفتحوا الخزائن، ووزعوا الأموال على الناس فبدت السعادة على وجوههم[293].

---

(292) نظامي: شرفنامه، ص 513- 514:

نكفتم كه ده ميشد زراه دور		حديث سرافيل وآراى صور
أساسي دكسر باره نتوان نهاد		جو كوينده ديكر آن كان كشاد

(293) نظامي: شرفنامه، ص 522:

سوى رايست شاه بشتافتند	ذ	بزر كان روم آكهى يافتند
برافروخت جون شب درخشنده ماه=		همه خاك روم ازره آورد شاه
زمين يافت از كنج بوشيده بهر		=در آرايش آمد همه روى شهر

وبعد أن وصل الأسكندر إلى بلاده، جلس على العرش، وكان قد استفاد الكثير من طوافه حول العالم، ففتح باب الحكمة الذي هيأه ليكون بعد ذلك نبيا يقول نظامي:

"عندما جلس الأسكندر على عش اليونان، كان قد حصل على مفتاح كنز السعادة.

لأنه استفاد من رحلته علما كثيرا، ففتح بذلك باب الحكمة الالهية.

ثم وصل إليه التكليف بالنبوّة، فامتثل للأمثر"[294].

وهكذا نجّح نظامي في ختم منظومته شرفنامه بهذه الخاتمة الطيبة، حيث هيأ بها القارئ نفسيا للانتقال إلى الحديث عن الأسكندر كحكيم ثم كنبى بعد ذلك في الجزء الباقي من منظومته (اسكندرنامه) والذي يعرف كما سبق أن ذكرت باسم (اقبالنامه) وهذا ما سنتحدث عنه في الفصلين التاليين.

بهشتى زهر قصرى انكيختند		زور سيم را بر زمين ريختند
شكستند قفل در كنج را		جهان قفل بر زد دررنج را

([294]) نظامي: شرفنامه، ص522:

جوشه باز برتخت يونان رسيد		بدو داد كنج سعادت كليد
ز دانشي بي ما يها ساز كرد		در حكمت ايزدى باز كرد
جو فرمان رسيدش بپيغمبرى		نييجيد كردن زفر ما نبرى

الفصل الثالث

الأسكندر الحكيم في منظومة (اقبالنامه)

بدأ نظامي هذه المنظومة بمقدمة تقليدية كتلك التي بدأ بها منظومة شرفنامه في التوحيد بالله والحمد، وفي نعت الرسوم الكريم، وفي مدح ممدوحه عز الدين مسعود أتابك الموصل، الذي قدم له هذه المنظومة. ثم يبدأ بعد ذلك في سرد أحداث القصة ويبدؤها بالعنوان التالي:

بداية الحكاية:

تحدث فيه نظامي عن الأسكندر بعد عودته إلى بلاد اليونان وكيف أعد نفسه ليصبح حكيما فقال:

"عاد إلى اليونان من أقصى البلاد، وأضاء وطنه القديم بالنور.

لقد صار أستاذا في العلوم والمعارف.

فثقب بفكرة عنان الفلك، وحل المعضلات.

فصار ملما بجميع أنواع المعارف في اللغات اليونانية والبهلوية والدرية"[295].

(295) نظامي: اقبالنامه، ص 36- 37:

بيونان زمين آمد ازراه دور		وطن گاه بيشينه را داد نور
ز رامش سوى دانش آوردراى		بزوهش كرى كرد بارهنماى
دماغ فلك را بانديشه سفت		در ببستكيها كشاد از نهفت
سخن را نشان جيست بررهبرى		ز يوناني وبهلوي ودرى

ويصف نظامي الاهتمام الأسكندر بترجمة كتب العلم المختلفة إلى اليونانية وتأليف كتب في شتى المعارف فيقول:

أمر الفلاسفة بترجمة كتب العلم من اللغات المختلفة، غير اليونانية والرومية إلى اليونانية(296).

كما أمر بتأليف الكتب في شتى الموضوعات وهي كما يقول نظامي:

"ألفوا أولا كتاب (كَيتى شناس) أي معرفة الدنيا في الجغرافية، ثم كتاب (رمز روحانيان) أي رموز الروحانيين، في علم الأرواح، وهو الذي خلد اسم اليونانيين به.

ثم كتاب (سفر اسكندرى) أي أسفر الأسكندر وهو الذي حل فيه اليونانيون المعضلات"(297).

ثم أصدر بيانا إلى العلماء، يحثهم فيه على طلب العلم، والسعي إليه، قال فيه:

"هكذا صدر قرار من صاحب العرش العالي.

يقول إن كل عالم جليل له منزلة رفيعة عندنا.

---

(296) نظامي: اقبالنامه، ص 37:=

=بفـر مـود تافيلسوفان همـه		كننـد أنجـه دانـش بـود ترجمـة
ديكَر زبانهاى هـر مـرز وبـوم		جه از جنس يونان جـه ازجـنس روم

(297) نفس المرجع: ص 37- 38:

نخستين طرازيكه بست أز قيـاس		كتابيست كـان هسـت كَيتـى شـناس
دكَـر دفتـر رمـز رو حانيـان		كـزو زنـده ماننـد يونانيـان
همان سفر اسـكندري كاهـل روم		بـدونرم كردنـر آهـن جـو مـوم

فلا يبحث أحد عن وسيلة يسمو بواسطتها على غيره، إلا عن طريق العلم والمعرفة.

فيجب على كل عالم يصل إلى منزلة، أن يتطلع إلى المنزلة الأعلى منها[298].

فاستجاب الجميع لما كلفهم به الأسكندر، فصارت بلاد اليونان منارا للعلم والمعرفة، وذاع صيتها بفضله، يعلق نظامي فيقول:

"تعلموا المعرفة من الحكماء، وأشرقت وجوههم بنورها.

وذاع صيت بلاد اليونان عن طريقها، وبفضل ذلك الملك المحب للمعرفة"[299].

ولا ريب أن نظامي بمقدمته هذه مهد الطريق أمام إتجاهه الذي خصص له اقبالنامه وهو خلع صفة الحكمة والمعرفة على الأسكندر.

لما سمى الأسكندر بذى القرنين:

ثم ترك نظامي الحكمة فجأة، وانتقل إلى الحديث عن سبب تسمية الأسكندر بذى القرنين، فسرد لنا أقوالا كثيرة وردت في هذا الصدد فقال:

---

(298) نفس المرجع: ص 38:

أشارت جنان ش زتخت بلند	كه داناست نزديك ما ارجمند
نجويد كسى بركسي برترى	مكر كز طريق هنر بروری
زهر بايكاهی كه والا بود	هنر مندرا بايه بالا بود

(299) نظامي: اقبالنامه، ص 38:

همه رخ بدانش برافروختند	زفرزانكان دانش آموختند
زفرهنك آن شاه دانش بسند	شد آراز يونان بدانش بلند

"كان يسمى بذي القرنين لأنه طاف العالم من المشرق إلى المغرب.

وفي قول آخر لأنه كانت له زلفتان متجمدتان خلف أذنيه كالقرنين.

وفي قول ثالث أنه رأى في المنام ارتباط قرني الفلك بواسطة الشمس. وفي قول رابع يذكره المؤرخين أن عمره كان قرنين من الزمان[300].

ثم ذكر رأي أبي معشر البلخي الذي أورده في كتابه الألوف فقال:

"ويقول أبو معشر فيلسوف العالم في كتابه الألوف رأيا آخر.

وهو أنه لما مضى على موت الأسكندر وقت طويل، لم يصدق الناس أنه مات.

فرسم اليونانيون من فرط حبهم له على ورقة.

وأتقن الرسام رسمها، فبدت مطابقة له تماما.

ثم رسم صورتين لملكين أحدهما على يمينه والآخر على يساره.

فبدوا في شكل قرنين، يشعان الأشعة الحمراء والصفراء على وجهه.

وأذاع المنجمون أن الله خلق له ملكين على يمينه ويساره.

وانتشرت قصة الأسكندر في مختلف الأنحاء بانتقال هذه الصورة من بلاد اليونان إلى مختلف الجهات.

---

(300) نفس المرجع: ص 44.

كه صاحب دو قرنش بدان بودنام		كه برمشرق ومغرب آورد كام
بقول ديكر كوبسجيده، داشت		دو كَيو بس بشت بيجيده داشت
همان قول ديكر كه دروقت خواب		دوقرن فلك بستد از آفتاب
ديكر داستانى زد آموز كَار		كه عمرش دوقرن آمد ازروز كَار

فحظيت بإعجاب الناس، فأسادوا بفن الرسامين اليونانيين.

فلما أبصر العرب تلك الصورة، رسموا للإسكندر صورة أخرى تقليـدا لها.

وظنوا أن هذا الرسم ليس ملكا بل قرنا.

وبسبب هذا الخلط الذي وقعوا فيه لقبوه بذى القرنين"[301].

ثم ذكر نظامي قولا آخر، أثبته في قوله:

(301) نظامي: اقبالنامه، ص 44- 45.

دكر كونه كويد جهـان فيلسـوفـه		أبـــو معشـــر انـــدر كتـــاب الـــوف
كه جون برسگندر سر آمد زمـان		نبـــود آن خلـــل خلـــق را در كمـــان
جو برجاى خود كلك صور تكرش		بـــر آراســـلت آرايشـــى در خـــورش
دونقش دكر بسـت بيكـر نكـار		يكـــى بـــريمين ويكـــى بريســـار
دو قرن ازسـر هيكـل انكيختـه		بـــرا ولا جـــورد وزر آميختـــه
لقب كرد شان مرد هيئـت شـناس		دو فـــرخ فرشـــته زي روى قيـــاس
كه دربيكـرى كـايزد آراسـتش		فرشـــته بـــود برجـــب وراســـتش
زيونـــان بـــديكر ســـواد افشـــاد		حـــديث ســـكندر بـــد وكـــرد يـــاد
ثنا رفت ازايشان بهر مرز وبـوم		بـــر آرايـــش دســـتكاران روم
عرب جون بدان ديده بكمـا شـتند		شـــكندر دكـــر صـــورت انكـــا شـــتند
كمان بودشان كانجه قرنش دراست		نـــه فـــرخ فرشـــته كـــه اسكندراســـت
ازاين روى درشبهت افتـاده انـد		كه صاحب دو قـرنش لقـب داده انـد

"وقال لي عالم قولا غير هذا هو أنه كانت له أذنان أكبر من الحجم الطبيعي"[302].

وقد أورد قصة تتعلق بأذني الأسكندر، ومن الواضح أنها من نسيج خياله، وأنه أتى بها لتعطي شيئا من الطرافة إذ تحكي أن الأسكندر كان يعلق على أذنيه طوقا من الذهب ليخفي حجميها الكبير، كما كان له حلاق خاص، وهو الوحيد الذي يعرف سرهما، وقد أمره بعدم إفشاء هذا السر للناس وإلا أطاح برأسه.

وذات يوم خرج إلى الوادي متضايقا من كتمان سره هذا، فرأى بئرا عميقة، فأفضى بسره على ورقة كتبها، وألقى بها في هذه البئر، ثم رجع إلى قصره مسرورا مرتاح البال.

وتصادف أن مر مغن على هذه البئر وجلس على حافتها، وأخذ يصدر من الناي نغمات حلوة، حولت ورقة السر التي ألقيت في البئر إلى ناى، إذا نفخ أحد فيه، أصدر نغمات مختلفة تكشف سر الأسكندر.

وذات مرة مر قاطع أحجار، فرأى هذا الناى في قاع البئر، فأخرجه، وأخذ ينفخ فيه، فصار يصدر نغمات مختلفة، كاشفة لسر الأسكندر. وكان الأسكندر ذاهبا في نفس الوقت إلى الوادي، فرأى هذا الرجل وهو يفضح سره، فثار وغضب، فاضطرب الرجل وأقسم له بأنه لم يقل سره لأحد، فعفا عنه[303].

---

(302) نظامي: قبالنامه، ص 45:

جزاين كفت بامن خداوند هوش		كه بيرون ازاندازه بودش دو كوش

(303) نظامي: شرفنامه، ص 376- 378:

نه برجنك ازايران زمين آمديم		بمهمان خاقان جين آمديم
بدان دل كه ازراه فرمانبرى		كند ميهمانرا بر ستشكرى
بشهر شما كر بلند آفتاب		زمشرق كند سوى مغرب شتاب

والواضح من حديث نظامي عن سبب تسمية الأسكندر بذي القرنين – على الرغم من أنه ليس له علاقة هنا بالحديث عن حكمة الأسكندر– أنه كاني يهدف إلى إظهار عدم تأييده لما ورد في أقوال المفسرين المسلمين، من أن الأسكندر المقدوني هو ذو القرنين الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، وأنه يميل إلى أن الأسكندر هو ملك يوناني سمى بذي القرنين لكبر حجم أذنيه، كما أراد أن يبين لقارئه أن كل عظيم لابد أن ينفرد بشيء غريب يميزه على غيره من أفراد البشر، فتحاك حوله الأقوال والحكايات من أجل هذا الشيء.

الأساطير:

ثم يترك نظامي الحكمة مرة أخرى، ويذكر لنا عدة قصص اسطورية نسحبها عن الأسكندر كان هدفه منها أن يبين للقارئ أن الأسكندر قد استفاد من هذه القصص بعض الخبرات والمعارف التي تؤهله ليصبح حكيما.

من آن أفتابم كه اينك زراه		زمغرب بمشرق كشيدم سباه
اكَر ترسى ازبيج دوران من		مبيجان سراز خط فرمان من
ببين تا زشمشير من روز جنكَ		جه درياى خون شد بصحراى زنكَ=
=جكَونه زدارا نشاندم غرور		جه كردم بجاى فرومايه فور
دكر خسروانرا بنيروى بخت		بسر جون در آور دم ازتاج وتخت
بجاى فرستادن نزل وكَنج		جرا باهزبران شدى كينه سنج
فرود آمدن جبست بر طرف راه		جو سد سكندر كشيدن سباه
اكَر قصد بيكار ما ساختى		بخورى بر آتش بر انداختى
وكَربيش اقبال باز آمدى		كجا عذر اكَر عذرساز آمدى
خبر ده مراتا بدانم شمار		كه درسله مارست يامهره مار

والقصة الأولى عنوانها (الأسكندر والراعي العالم) وهي تذكران الأسكندر كان يعشق فتاة جميلة، فمرضت في يوم الأيام، فحزن عليها حزنا شديدا، لأنه كان يظن أنها سوف تموت، وذات يوم أبصر راعيا شيخا، ودعاه للجلوس معه، وكان الراعي عالما وبارعا في الكلام، فلما عرف سر حزن الأسكندر حكى له قصة، وهي أن أحد أمراء مرو كانت عروس جميلة تشبه فتاة الأسكندر وكان متيما بحبها، فمرضت مرضا شديدا، حتى يئس الأطباء من شفائها، لكنها شفيت في النهاية، فعاش الأمير معها سعيدا مسرورا.

فتفاءل الأسكندر، وبينما هو كذلك بلغه نبدأ شفاء محبوبته، ففرح الأسكندر فرحا كبيرا، وأقام حفلا ابتهاجا بشفائها[304].

أما القصة الثانية فعنوانها (ارشميدس والفتاة الصينية)، وهي تحكي أن أرشميدس كان أجمل شباب عصره، وقد شمله الأسكندر بعطف وأحبه أرسطو، فتبناه وعلمه أصول العلم والمعرفة لكي يخلق منه انسانا فاضلا، لأنه كان يعتقد أن تلميذا عاقلا فاضلا خير من ألف تلميذ أحمق.

ولكن ارشميدس انقطع عن الدرس فجأة، وعلم أستاذه أن سبب انقطاعه هو عشقه لفتاة جميلة، أثرته بحبها فصار متيما بها. فطلب ارسطو أن تحضر الفتاة أمامه ثم أعطاها شرابا أذهب جمالها، فصارت قبيحة، ثم دعا ارشميدس لرؤيتها، فلما نظر إليها، نفر منها وقطع علاقته بها، رغم أن أرسطو أعاد إليها جمالها بعد ذلك، لكن هذا الشراب عجل بوفاتها فماتت بعد مدة قصيرة[305].

أما القصة الثالثة عنوانها (مارية القبطية) – ويبدو أنه استوحى هذه الشخصية من التاريخ القبطي– ونظم عليها قصة تحكي أن مارية القبطية هذه كانت ابنة أمير شامي، وكان الأعداء قد أغاروا على بلادها وأستولوا عليها بعد وفاة أبيها، فلجأت إلى الأسكندر، لتطلب عونه ومساعدته، وهناك تقابلت مع أرسطو فصارت تلميذة له فعلمها علوما كثيرة، ومنها صناعة الذهب.

---

(304) نظامي: اقبالنامه، ص 45- 49.

(305) نفس المرجع: ص 55- 61.

وبعد أن ساعدها الأسكندر على استرداد ملكها، ظلت تصنع الذهب، حتى أصبحت ثرية جدا، لدرجة أن كل دابة عندها حتى الحمير كان لها سروج من الذهب، كما زينت كلابها بسلاسل ذهبية.

وقد جاء إليها عدد من الكيميائيين يطلبون منها تعلم هذه الصناعة فصنعت أمامهم الذهب من شعرها، ثم أخذت تشرح لهم الأعشاب المختلفة التي تستخدم في هذه الصناعة.

وقد أوقع الحساد بينها وبين الأسكندر، ولكنها في النهاية استطاعت أن تكسب وده، وتسترضيه بالهدايا[306].

أما القصة الرابعة فعنوانها (الخراساني وخداعه للخليفة) وقد جاءت هذه القصة معترضة قصة مارية القبطية، وهي تحكي أن رجلا من أهل خراسان، استطاع أن يخدع أهل بغداد والخليفة نفسه، بتغيير كلمة (كبريت) إلى كلمة (تبريك) بطريقة كيميائية، ولكن الخليفة استطاع أن يكشف خداعه وزيفه[307].

أما القصة الخامسة والأخيرة وعنوانها (الفقير الذي أصبح غنيا بطالع ابنه) وهي تحكي أن فقيرا قد أصبح غنيا، فاستدعاه الأسكندر، وطلب منه أن يبين له سبب ثرائه، فقال الرجل أنه كان فقيرا مدقعا وكانت زوجته امرأة راضية بفقرة هذا، وتصادف أنها كانت تضع في وقت لم يكن يملك فيه شيئا تأكله فخرج يطلب الرزق، وسار حتى وصل إلى الصحراء، فوصل إلى منزل أراد أن يحتمي به، فلاحظ أن المنزل يسكنه أخان زنجيان، وأن أحدهما قام لاستخراج كنز يوجد فيه، فلما فرغ من استخراجه، قفز عليه أخوه، فقتله، ثم شرع في دفنه، فانتهز هذا الفقير الفرصة، وحمل الكنز وأسرع به إلى زوجته، فوجدها قد وضعت ابنا، فسر الرجل بابنه السعيد، الذي كان قدومه قدوم الثروة والجاه.

فطلب الأسكندر من أحد حكمائه، ويدعى (واليس) أن يطالع هذا المولود، فوجده سعيدا، وسعادته مستمدة من دولة الأسكندر[308].

---

(306) نظامي: اقبالنامه، 62- 72.
(307) نفس المرجع: ص 67- 71.
(308) نظامي: اقبالنامه، ص 72- 82.

انكار الحماء السبعين لحكمة الفيلسوف هرمسْ[309]:

ثم عاد نظامي مرة أخرى إلى الحديث المباشر عن الحكمة، ولكن ليس عن حكمة الاسكندر، وإنما عن حكمة بعض الفلاسفة الحكماء ونبوغهم فيها، وذلك من خلال قصص أسطورية، أبرز فيها معرفة الأسكندر الجيدة بالحكمة، واتصاله بهؤلاء الفلاسفة، ومناقشته لهم في مهاراتهم واعجازاتهم في الحكمة، حتى بلغ بالأسكندر في آخر قصة ختم بها المنظومة إلى درجة الحكيم الماهر الذي تفوق على كل هؤلاء الفلاسفة العظام.

وتحكي هذه القصة أن سبعين حكيما من حكماء اليونان، كان الحقد قد سيطر على قلوبهم لتفوق الفيلسوف هرمس عليهم في الحكمة، فاتفقوا على أن يسفهوا آراءه في الاجتماع الذي سيعقد فيما بينهم.

ويصف نظامي هذا الاجتماع فيقول:

كان يدلى في كل مسئلة تطرح بحجة قوية مقنعة كشعاع النور الثاقب للعين، والنافذ إلى القلب.

لكنه لم منهم سوى الاستنكار جهرا لكلامه"[310].

فغضب هرمس، وصاح فيهم بكلمات سحرية، قضت عليهم، فلم يتحركوا من مكانهم حتى يوم القيامة، يقول نظامي:

([309]) هرمس: بضم الهاء والميم وسكون السين وقد اختلفت الأقوال في حقيقة شخصية هرمس، فيقال أنه ادريس عليه السلام، ويقال أنه اسم رجل كان بصناعة آلة العزف المعروفة (بالبربط). ويقال أيضا أنه اسم حكيم كان معاصرا للأسكندر: انظر الشهر ستاني الملل والنحل، ج10، 1923، برهان: برهان قاطع، ج4.

([310]) نظامي: اقبالنامه، ص 83:

بهر نكته حجتى باز بست		كه جو نور در ديده ودل نشست
نديد آن سخن را بر ايشان بند		جز انكار كرد ن ببانك بلند

"صاح فيهم بكلمات سحرية قليلة قائلا: لا يتحرك أحد منكم من مكانه حتى يوم القيامة.

فتجمد السبعون حكيما، ولم يتحركوا من أماكنهم"[311].

فلما علم الاسكندر بما حدث، توجه إلى هرمس، وسأله عن سر هذه الواقعة، فأجابه بأن صوته قد فتح أبواب السماء لاستقبال أرواحهم، فأستحسن الأسكندر فعله، وأقره. وهنأه، ثم عاد إلى بلاطه.

ويبين نظامي الخبرات والمعارف القيمة التي اكتسبها الأسكندر من هذه القصص بقوله:

وكان كلما يجلس في خلوة مع شخص، يذكر له هذه القصة، ويحكى له قصصا أخرى كثيرة مثيلتها[312].

إساءة أرسطو إلي أفلاطون:

وتبين هذه القصة المكانة العلمية الرفيعة التي بلغها الأسكندر، بحيث أصبح جديرا بلوغ منزلة الحكيم الماهر، فتحكى أن الأسكندر كان قد عقد اجتماعا لفلاسفة اليونانيين، وجلس هو على عرش الروم يتحدث بلسان طليق قوى في الرصانة كالنيران، وبارع في السلاسة كالشمع[313].

(311) نظامي: اقبالنامه، ص 84:

برايشان يكى بانكَ برزد كه هاى		مجنبيد كس تا قيامت زجاى
همان لحظة برجاى هفتاد مرد		زجنيش فتادند وكشتند سرد

(312) نفس المرجع: ص 84- 85.

(313) نظامي: اقبالنامه، ص 86:

سكندر نشست از بر تخت روم		زبانى جو آتش دماغى جو موم

ثم طلب من الفلاسفة الذين كانوا قد تجمعوا حوله مئات ومئات – كما يصفهم نظامي– أن يتحدث كل واحد منهم عن المجال الذي تفوق فيه، سواء في الطبيعة أو الإلهيات أو الرياضيات أو الهندسة أو الآداب والفنون.

ولما جاء الدور على الفيلسوف أرسطو، ذكر أمام الحاضرين، أنه يفوقهم جميعا في العلم والمعرفة وأن لديه من الحجج والدلائل، التي تثبت صحة قوله. وكان من بين الحاضرين الفيلسوف أفلاطون، فغضب من ذلك الكلام، لأنه أستاذ أرسطو وجميع الحاضرين، واعتزل الناس، وعاش في قبة عالية، كان يسمع فيها أنغام الافلاك، ثم صنع آلة موسيقية، وذهب بها إلى الصحراء، فكانت نغماتها تجذب الحيوانات، وتجعلها أليفة.

وسمع أرسطو بذلك، فصنع آلة موسيقية تشبهها، ولكن نغماتها لم تفعل فعلها، مما جعله يذهب إلى أستاذه أفلاطون، ويطلب منه العفو، ويثني عليه كثيرا"[314].

ويبين نظامي أن الأسكندر قد أصبح عالما حكيما يقدر أهل العلم والمعرفة فيقول:

ولما عرف الأسكندر أن أفلاطون صار أستاذ المعرفة في بلاد الروم رفع منزلته في السيادة، وأعلى منزلته عنده[315].

الخاتم والراعي:

ويذكر نظامي أن أفلاطون قد حكى هذه القصة للأسكندر، وهي أنه قد سمع عن زلزال حدث في بخاري، فأحدث شقا في الأرض، تدفق منه معدن النحاس بكميات كبيرة، ثم استقر في بئر عميقة على شكل حصان.

---

(314) نظامي الكنجوى: اقبالنامه، ص 85- 92.
(315) المرجع السابق: ص 92:

سكندر جودانست كزهر علوم		فلاطون شد استاد دانش بروم
برافزود پايش در آن سروری		بنزدخودش داد بالا تری

وذات يوم كان راع يمر بجوار تلك البئر، فلفت نظره ذلك الحصان، وكانت أشعة الشمس قد سطعت عليه، فبدا متلألئا منيرا، وقد امتطاه رجل ميت، وفي أصبعه خاتم، فأخذ الخاتم ولبسه، فلاحظ أنه يرى الرعاة إذا وقف بينهم، لكنهم لا يرونه، فتفحص الخاتم، وعرف أن سره يكمن في فصه، إذ أنه إذا رفعه إلى أعلى ظهر أمام من يقف أمامه، وإذا حركه جهة اليمين إختفى عن الناظر إليه[316].

وقد استعان هذا الراعي بالخاتم في أن يحقق كل ما يريده من ثروة وجاه، وأن يصبح ملكا ثم نبيا، يقول نظامي:

"هكذا ارتفع شأن الراعي، فعاد عرش الملك إليه.

فانظر إلى الخاتم، وكيف أوصله خاتم الملك إلى منزلة النبوة".

ويختم نظامي هذه القصة بأن الأسكندر سر بسماعها، وأثنى على أفلاطون[317].

والواضح من هذه القصة أن نظامي قد تأثر عند نظمها بما ورد في التاريخ اليهودي عن سيدنا سليمان بن داود وخاتمه الشهير.

أحوال الأسكندر مع سقراط:

وتحكى هذه القصة أن الحكيم سقراط سلك طريق الزهد، بعد أن أصبح أستاذا على حكماء اليونان، وعاش في الصحراء.

وذات يوم عقد الأسكندر اجتماعا مع الحكماء، فطلب منهم استدعاء سقراط قائلا:

---

(316) نظامي: اقبالنامه، ص 94- 95.

(317) نفس المرجع: ص 97:

شبان آنجنان كردن افراز گشت		كه آن باد شاهي بدوباز گشت
نگين بين كه ازمهر انگشترى		جگونه رساند بپيغمبرى

"أرسلوا في استدعاء سقراط، لا تناقش وأتباحث معه"(318).

ولكن سقراط رفض العودة مع من ذهب إليه، وقال له:

"إذهب وقل للأسكندر لا تبحث عن كل شيء لا تجده في الدنيا، لقد صوت في العالم المعنوى.

وهذا كلام واضح، ومع أننى موجود الآن في العالم المادي، لكنني قد تخيلت عنه.

لأني حين أنشغل بعبادة الله، أدنو من الحضرة الألهية"(319).

فلما بلغ الأسكندر قول سقراط هذا، زاره له الهدايا، فلم يقبلها، وأبلغه أنه حرم على نفسه أكل اللحوم، وأنه يعيش الآن على الخبز المصنوع من الشعير، ويرتدي الخرقة التي يرتديها رجال الصوفية.

ثم قال له:

"أي خوف من خلق العالم، طالما أنني عقدت الحزام لخدمة الخالق الطاهر.

لقد صرت سيدك بعبادتي لله، أما إذا جئت عندك، فسأصبح عبدك.

---

(318) نظامي: اقبالنامه، ص 98:

فرستيد وخوانيد بكوى		نكهبان تركيب واخلاط را

(319) نفس المرجع: ص 99:

بد وكفت روبا سكندر بكوى		كه هرج اندرين ره نيابي مجوى
من آنجائيم وين سخن زوشنست		كَراينجا خياليست آن بي منست
مراكر بدست آرد ايزد برست		هم از در كه ايزد آيم بدست

فيا أسكندر انظر إلى السماء، وتأمل حزكة كواكبها ونجومها، لتعرف مغزى هذا الكون"[320].

ولاحظ سقراط أن الأسكندر، ينصت إلى كلامه ويتقبله، فبدأ في إسداء النصائح إليه بضرورة التخلي عن متاع الدنيا وزينتها، وعبادة الله، والتقرب إليه، فأستجاب الأسكندر لنصائحه، وأمر كاتبه بتسجيلها، فكتبها بماء الورد[321].

وعلى الرغم من أن هذه القصة تضمنت خلطا تاريخيا، لأن سقراط كان قد عاش في عصر متقدم على عصر الأسكندر، وهو القرن الخامس قبل الميلاد، بينما عاش الأسكندر في القرن الثالث قبل الميلاد، إلا أنها كانت تمهيدا موفقا من نظامي للحديث عن الأسكندر كحكيم يشتغل بعلوم الحكمة والمعرفة قبل أن يختم منظومته.

حديث الحكيم الهندي مع الأسكندر:

وقد أظهر نظامي في هذه القصة شخصية الأسكندر كحكيم ماهر، حيث استهلها بقوله:

"ارتقى عرش الأسكندر بعلمه ومعارفه"[322].

---

(320) نظامي: اقبالنامه، ص 102- 103:

زخلق جهان بنده را جه باك		كه بندد كمربيش يز دان باك
دراين بند كَى خواجه باشم ترا		كَر آيم بتو بنده باشم ترا
ببين اى سكندر بتقويم راست		كه اين نكته را ارتفاع از كجاست

(321) نفس المرجع: ص 108:

بفرمود تامرد كاتب سرشت		بآب زر آن نكته ها را نبشت

(322) نظامي: اقبالنامه، ص 108:

سكندر بآيين فرهنكَ خويش		ملوكانه برشد باورنكَ خويش

ثم ذكر نظامي لنا بعد ذلك أن حكيما من الهند قد جاء إلى بلاط الأسكندر، وقابله، وقال له:

"لقد سمعت أنك صرت نابغة عصرك، وسأسألك سؤالا، وأنتظر أجابتك الوجيهة القيمة"(323).

فقبل الأسكندر، فسأله الحكيم الهندي عن نهاية العالم، وحقيقة الروح، والأحلام، وعلم النجوم.

فأجاب الأسكندر عن نهاية العالم فقال:

"هكذا الله خلق عالميين، هما الدنيا والآخرة، فالآخرة كنز، والدنيا مفتاحه.

فإن تزرع في الدنيا أعمالا صالحة، فإنك تحصد في الآخرة ثمار ما زرعت"(324).

وأجابه عن الروح بأنها خالدة لا تموت فقال:

"ماذا يقولون عن الإنسان الذي يموت؟ هل يقولون أسلم الروح، أم ماتت الروح.

إنهم يقولون: أسلم الروح وهذا صحيح، فهناك فرق بين إسلام الروح، وبين موتها.

---

(323) نفس المرجع: ص 110:

زمن برسش وباسخ أيد زتو		جواب سخن فرخ آيد زتو

(324) نظامي: اقبالنامه، ص 113:

كه ايزدو كيتى بدان آفريد		كه آنجابود كنج وانيجا كليد
دراينجا كنى كشت وكارنوى		در آن جا بركشته را بد روى

فدع الروح، لأنها شعاع طاهر من النور الإلهي، وليست من الماء والتراب"(325).

وأجابه عن الأحلام، بأنها ليست خيالية، وانما هي صدى لحياة الإنسان وتجاربه، فقال:

"أن نفس الإنسان مصدر جميع الأحلام، فالأشياء المألوفة لديه، لا الغريبة عنه، هي التي يراها في الحلم.

فإذا رأيت ميتا أو حيا في الحلم، فهو نور ينتشر من شمعك.

وهو مثل لفكرك الصافي، ومظهر لأمل إدراكك"(326).

وأعجب الحكيم الهندي باجابات الاسكندر، وسجد يقبل الأرض، اعترافا بقدرته وعظمته، كما أثنى الحكماء الحاضرون على الأسكندر، يقول نظامي:

"أشاد بالملك، وسجد يقبل الأرض قائلا: لقد ضرب الملك أعنان الافلاك بقدرته العالية.

وأثنى جمّيع الحكماء على هذا الفكر الثاقب، وذكروا اسم الله"(327).

---

(325) نفس المرجع، ص 114-115:

حكايت زشخصي كه او جان سبرد		جه كَوينـد؟ جـان داد ياجـان بمـرد
بكويند جان داد واين نيست رزق		زداده بـود تـا فرومـرده فـرق
زجان در كَذر كان فروغيست بپاك		زنـور إلهـى نـه ازآب وخـاك

(326) نفس المرجع: ص 120:

بتسليم شه بوسه بـر خـاك زد		شـه از خـرس سـرير افـلاك زد
همه زير كان برجنان هوش وراى		دميدنـد وخواندنـد نـام خـداى

(327) نظامي: اقبالنامه، ص 115:

وقد بدت في هذه القصة ثقافة نظامي الدينية العميقة، وثقافته العامة الواسعة بوضوح في إبراز شخصية الأسكندر كحكيم. كما أن هذه القصة تعد بداية موفقة للخاتمة التي ختم بها نظامي حديثه عن حكمة الأسكندر، وهي أنه الأسكندر أصبح حكيما ماهرا قديرا، تفوق بآرائه في الحكمة والمعرفة على آراء الحكماء السبعة، الذي اجتمع بهم.

خلوة الأسكندر بالحكماء السبعة:

ختم نظامي حديثه عن حكمة الأسكندر بهذه القصة، فذكر فيها أن الأسكندر اختار سبعة حكماء من الفلاسفة اشتهروا بالعلم والمعرفة وهم: (أرسطو) وزير مملكته، و (بليناس) الشاب، و (سقراط) الشيخ، وأفلاطون ووالیس وفرفور يوس الذين جاوزت شهرتهم عنان السماء، وهرمس وهو سابعهم، وكان عاقلا اشتهر في الآفاق برزانته(328).

ثم عقد اجتماعا معهم، ويصف نظامي مكانته العالية بينهم، فيقول:

خيال همه خوابها خانكيست	دران أشنائي نه بيگا نگيست
اگر مرده گرزنده بين بخواب	ز شمع تر ميخيزد آن نور وتاب
نماينده انديشه باك تست	نموده تمناى ادراك تست

---

(328) نظامي: اقبالنامه، ص 120- 121:

از آن فيلسوفان گزين كرد هفت	كه برخاطر كس خطائى نرفت
ارسطو كه بد مملكت را وزير	بليناس برنا وسقراط بير
فلاطون ووالیس وفرفور يوس	كه روح القدس كرد شان دستبوس
همان هفتمين هرمس نيك راى	كه برهفتمين آسمهان كرد جاى

"جمعهم الملك كالدائرة حوله، وكان هو نقطة الارتكاز[329].

ثم طلب منهم أن يحددوا ما هو أصل العالم، وما هي مادة الخلق الأولى، فقال:

"إن العقل السليم والرأي السديد يحتمان البحث عن مادة الخلق الأولـــى، وأصل العالم"[330].

فأجاب أرسطو أنميرى أن الحركة هي أصل الخلق الأول، وفسر رأيـــه فقال: إن النار تتولد من قوة دوران الأفلاك، ومن شدة تـــوهج النيـــران يتولـــد الهواء، لكنه يكون ساخنا جدا، وحينما يسقط في الآبار، يبرد ويتحول إلى مـــاء، ثم يتبخر هذا المال وينتج عنه التراب. وعندما تستقر العناصر الأربعة، تمتـــزج ببعضها البعض بأمر الله، وينتج عنها الخلق الأول[331].

وأجاب واليس أن الماء هي مادة الخلق الأولى، ومن تحركها تتولد بقية العناصر الأربعة، ثم تمتزج ببعضها البعض، فيتكون السكون[332].

أما سقراط فقد رأى أن السحاب هو أصل الخلق، ووضح رأيه، فقال أنه لم يكن يوجد قبل الخلق سوى الله الذي أثار بعظمته وقدرته الســـحاب، فخلقـــت السماء من أمطاره، والقمر والشمس من برقه، والأرض من بخاره، ثم استقرت في مكانها[333].

([329]) نظامي: اقبالنامه، ص 121:

جنين هفت بر كـــار بركـــرد شـــاه		درآن دايـــره شـــه شـــده نقطـــة كَـــاه

([330]) نفس المرجع: ص 121:

جان واجب آمـــد بـــراى درســـت		كه تركيب أول جـــه بـــود از نخســـت

([331]) نفس المرجع: 123- 125.

([332]) نظامي: اقبالنامه، ص 125.

([333]) نفس المرجع: ص 127.

وقد أجاب بليناس بشأن الخلق الأول فقال: إن أول طلسم خلق هو الأرض، ومنه تولدت العناصر الأربعة[334].

ورأى فرفوريوس أن أصل الخلق الأول هو المادة التي تحولت من فيض الله، وذلك أن الله قبل أن يخلق الكون، خلق جوهرا صار أزليا بفضل فيضه، ثم انقسم هذا الجوهر إلى قسمين، قسم ارتفع إلى أعلى فصار السماء، وقسم نزل إلى أفل فصار الأرض[335].

أما هرمس فقد قام بوصف العالم، ولم يعط إجابة بشأن الخلق الأول[336].

ثم أدلى أفلاطون برأيه فقال: إن الله خلق مواد متفرقة، لأنه لو كانت هناك مادة أصلية، نتج عنها خلق شيء من شيء، لكانت هذه المادة أزلية[337].

ثم عقب نظامي على هذه الآراء برأي الأسكندر الصحيح فقال على لسانه:

"ما دمنا لا نستطيع أن نقرأ كتاب الخلق، فكيف نستطيع التكهن بما فيه؟

وأنتم وقد أطلعتم على أسرار السماء، انظروا كيف قلتم أقوالا مختلفة.

ولهذا لا يحسن التنبؤ بشيء أكثر من هذا، لأن خلق العالم لا بد له من خالق"[338].

---

(334) نفس المرجع: ص 126.
(335) نفس المرجع: ص 127- 128.
(336) نفس المرجع: ص 128- 129.
(337) نظامي: اقبالنامه: ص 129- 130.
(338) نفس المرجع: ص 131:

جو مالوح خلقت نـدانيم خوانـد		تجسس دراو جـون تـرانيم رانـد
شما كاسمان راورق خوانـده ايـد		سخن بين كه جون مختلف رانـده ايـد
از اين بـيش كفـتن نباشـد بسـند		كه نقش جهان نيـت بـي نقـش بنـد

وفي الحقيقة أن جمع نظامي لهؤلاء الحكماء السبعة حول الأسكندر بهذه الصورة التي صورها، يعد شيئا من ابتكاره، وذلك لكي يصل إلى الهدف الذي يريد أن يختم به منظومته، وهو بلوغه منزلة الحكيم الماهر القدير الذي يفوق هؤلاء الحكماء المشهورين في العلم والمعرفة، لأنه لم يثبت تاريخيا أن هؤلاء الحكماء قد عاشوا في عصر واحد، فواليس توفى قبل سقراط الذي توفى قبل الأسكندر بمائة عام تقريبا، كما توفى أفلاطون قبل الأسكندر، أما فرفوريوس وبليناس فقد عاشا بعد عصر الأسكندر. كما أن شخصية هرمس فتبدو وهمية، لأنه كما سبق أن ذكرت اختلفت الأقوال في حقيقة أمرها والذي ثبت تاريخيا هو أن أرسطو كان معاصرا للأسكندر سواء أكان أستاده، أم كان زميلا له(339).

ونحن بصدد هذه القصة لا يهمنا تحرى الدقة التاريخية، بقدر ما يهمنا أن نقول أن ثقافة نظامي الغزيرة المتنوعة، وبراعته في تصوير هذه القصة، قد نجحنا في تجسيم شخصية الأسكندر كحكيم ماهر للقارئ.

وختم نظامي للجزء الأول من منظومته (اقبالنامه) الذي يتناول حكمة الأسكندر، كما أن هذه القصة تعد تمهيدا طبيا للحديث عن نبوة الأسكندر، حيث أنه بلغ منزلة إدراك وجود الله ووحْدانيته، مما جعله أهلا للنبوة، ولتحمل الرسالة والخروج لطوافه العالم من أجل هدايته.

وأهم ما نلاحظه على الجزء الأول من منظومة (اقبالنامه) الذي تناول الحديث عن حكمة الأسكندر أنه على الرغم من عدم تحرى نظامي الدقة فيما ذكره من الحكماء السبعة، وغلبة الناحية القصصية عليه، ومزج الحقائق فيه بالأساطير، إلا أن نظامي قد استطاع بمهارته الفائقة في النظم أن يجعل الجو العام لهذه القصص يتيح للأسكندر أن يتعلم الحكمة ويكون حكيما، سواء كان الحديث مباشرا أو غير مباشرا عنه، إلى أن وصل به في النهاية إلى منزلة الحكيم الماهر الذي يفوق جميع حكماء عصره من خلال تسلسل الأحداث بشكل

(339) عباس بورشو شترى: إيران نامه، جلد سوم، ص 343- 398، طبع تهران 1321.

منطقي، وتصوير جميل صادق بعيد التكلف، يجعل القارئ يقتنع بأن الأسـكندر قد صار حكيما ماهرا حقا، وأنه مؤهل لبلوغ منزلة النبوة.

الفصل الرابع

الأسكندر النبي في منظومة (اقبالنامه)

تمهيـــد:

بدأ نظامي الجزء الثاني من منظومـــة (اقبالنامـــه)، والخـــاص بنبـــوة الأسكندر، بالحديث عن المكانة العلمية الرفيعة التي بلغها الأسكندر، وذلك تمهيدا للحديث عن نبوته، فقال:

"بلغ مكانة في العلم والمعرفة، أعطاه العقل بها مفتاح السعادة.

ففتح أبواب الجهل المغلقة، وحل الكثير من المشكلات والمعضلات.

فصار لا مثيل له في الدنيا، لمعرفته بجميع العلوم الموجودة فيها"(340).

وببلوغه هذه المكانة، دخل الأسكندر في مرحلة المكاشفة، فكـــان يظـــل طوال الليل والنهار يتأمل الكون، ويبحث في أسراره، حتى نزل عليه ملاك من السماء، يبلغه تحية الله، وأن الله اختاره، ليكون نبيه المرسل إلى الناس لهدايتهم قائلا:

"طف العالم مثل الفلك، واطو رأس الطغاة بالحب والمودة.

وادع الخلق إلى عبادة الله، والدخول في دينه، والبعد عن الضلال.

وأصلح هذه الدنيا البالية، وطهر الآفاق من الغفلة والأثام.

---

(340) نظامي: اقبالنامه، ص 135:

زتعلـــيم دانـــش بجـــائي رســـيد		كه دادش خردبر بـــر كَشـــايش كليـــد
بسي رخنه را بستن آغـــاز كـــرد		بسي بســـته هـــارا كَـــره بـــاز كـــرد
بدانســـــتن علمهـــــاى نهـــــان		تمـــامى جـــز اورا نبـــود از جهـــان

وأيقظ النائمين في الظلام، وارفع عن طريق العقل والاقناع النقاب عن وجوههم.

فأنت كنز الرحمة قبل الخالق الطاهر، وأنت مبعوثه على الأرض- التعسة"[341].

وخشى الأسكندر القيام بهذه المهمة، لأنه لا يعرف لغات الشعوب التي سيتوجه إليها وقال للملاك:

إذا حملت الرسالة النبوية أي حجة أهدى بها الخلق، وأى معجزة أظهرها في الكلام حتى يصدقنى الناس؟"[342].

فأجابه الملاك بأن دليل نبوته سيكون معرفته للغات شعوب العالم، وتهيئة الجيوش اللازمة له في جهات العالم الأربعة[343].

([341]) نظامي: اقبالنامه، ص 136:

برايى بكرد جهان جون سبهر		در آرى سر وحشيان را بمهر
كتى خلق را دعوت ازراه بد		بدارنده دولت ودين خود
بنا نوكنى اين كهن طاق را		زغفلت فرو شوئى آفاق را
سر خفتكان را بر ارى زخواب		ز روى خرد بر كشائي نقاب
توئى كنج رحمت زيزدان باك		فرستاده بربى نصيبان خاك

([342]) نظامي: اقبالنامه، ص 138:

وكر دعوى آرم بييغمبرى		جه حجت كن خلق را رهبرى
جه معجز بود درسخن ياورم		كه دارند بينفد كان باورم

([343]) نفس المرجع، ص138- 139.

فسر الأسكندر، وأخذ يستعد للطواف حول العالم لهداية الناس، فكان أول شيء بدأ به، هو إعداد نفسه روحيا لهذه الرسالة، يقول نظامي:

"أعد ثلاثة كتب غير الكتاب المقدس الذي يعد عن طريق العقل، رمزا لوجود الخالق.

وكتبها نساخ ماهر بحبر أسود على قماش من الحرير.

وقد ألف أرسطو الكتاب الأول، وتحدث فيه عن جوهر الناس الحسن والسيء. وألف أفلاطون الكتاب الثاني وأورد فيه كل المعارف التي يعرفها.

وألف سقراط الكتاب الثالث، في الحديث عن الخصال المستحبة والمحمودة.

وجمع الملك هذه الكتب الثلاثة بعد الفراغ من تأليفها.

وصهرها بخاتمة، وضمها في مجلد واحد"[344].

وهكذا أعد نظامي الأسكندر كنبى للقارئ، ثم انتقل به إلى الحديث عن طواف العالم، ويبدو أنه قد تأثر بالفكرة التي وردت في القصة النثرية

([344]) نظامي: اقبالنامه، ص 141:

بجز سفر اعظم كه در بخر دي	نشانى بد ازمايه ايزدى
سه فرهنگ نامه زفرخ دبير	بمشك سيه نقش زد بر حرير
ارسطو نخستين ورق در نوشت	خبر دادش از گوهر خوب وزشت
فلاطون دگر نامه رانقش بست	زهردانشى كامد اورا بدست
سوم درج را كرد سقراط بند	زهر جوهرى كان بود دلمپند
جو گشت اين سه فهرست برداخته	سخنهاى بايكد گر ساخته
شه آن نامه هارا همه مهر كرد	بيجد وبنهاد دريك نورد

(اسكندرنامه) وهي أن الأسكندر كان يجلس ليلا وكان ينزل عليه ملاك من السماء، ويتناقش معه في أموره، ويخبره بما سيحدث[345]، ثم أضاف عليها، وطورها ونظمها في منظومة عبارة عن قصص اسطورية تتحدث عن الأسكندر كنبى، يطوف العالم من أجل نشر تعاليم دين الله، وبسط العدل بين أرجائه.

طواف الأسكندر النبي للعالم:

بدأ الأسكندر يعد الترتيبات اللازمة للسفر، فأمر أولا بإعطاء خراج الروس والروم لابنه (اسكندروس)، وسلمه لأمه، ونصحها بنصيحة قال فيها:

"إنني ذاهب، فأحكي بما يوجبه العدل والدين، حتى يشيدوا بسياستك، وأظهري عاطفة الأمومة للرعية، ولكن لا تجعليها تتغلب عليه، واطيعي الله، ولا تعصيه ولقد حتمت الضرورة أن أرحل، وأترك لك التاج والعرش، وسأسلك طريقا طويلا، ولا أعلم هل سأعود إلى عرشي أم لا ؟ فأفعلى ما أوصيتك به، حتى إذا عدت، لا تصيبنى عين السوء من جراء أخطائك"[346].

([345]) انظر الرسالة: ص 108.

([346]) نظامي: اقبالنامه، ص 166- 167:

كه من رفتم اينك تــوازداد وديــن		جنان كــن كــه كَوينــد بــادا جنــين
بــدر وار بــا بنــد كَــان خــداى		جــو مــادر شــدى مهرمــادر نمــاى
ببــروردن داد وديــن زينهــار		نكَهــدار فرمــان بــرورد كَــار
ضرورت مرا رفتنــى شــد بــراء		ســبردم بتــو شــغل ديهــيم وكَــاه
كَرفتم رهــى دور فرســنكَ بــيش		ندانم كه آيــم بــر اورنــكَ خــريش؟
كَر آيم جنان كن كه از جــنم بــد		نه توخيره باشــى نــه مــن جشــم زد

وبعد ذلك استعرض الأسكندر جيشه، وأعد جيشا كبيرا يتكون من مائة ألف جندي من خيرة جنوده، كما اصطحب معه أربعة آلاف جمل محملين بالأمتعة(347).

توجه الأسكندر صوب الغرب:

ذهابه إلى مصر:

خرج الأسكندر من مقدونية متجها صوب الغرب فوصل أولا إلى مصر، ومكث فيها يومين، ثم توجه إلى الاسكندرية، وأمرهم بأن يبنوا منارا على البحر، ويوضع عليه مرآة، لتبين العدو، حيث يقترب، فيمكن الاستعداد لدرء خطره(348).

ذهاب إلى بيت المقدس:

ثم سار الأسكندر من الاسكندرية إلى بيت المقدس، فلما وصل هناك، توجه إليه الناس يشكون حاكمهم الظالم، ويطلبون الخلاص عليه يديه قائلين: "بما أن تراب الأرض بوطأة أقدامك عليه، فطهر لنا أيضا البيت الطاهر.

فأرفع رايتك على المقدس، وأطح بالعدو من على وجه الأرض ففي ذلك المكان الطاهر، يوجد شيطان يعادى أحباب الله.

ولم ير زوار ذلك البيت العُظيم منه سوى السوء والضرر.

فقد أراقّ الدماء، وقضى على الكثيرين بدون وجه حق.

ونحن جميعا في خوف من هذا الحاكم الشرير، وانت القاضي عليه، ونحن نطلب العدل منك"(349).

(347) نظامي: اقبالنامه، ص 167- 168.
(348) نفس المرجع، ص 168.
(349) نظامي: اقبالنامه، ص 169:

كه جو ازتاو باكي بذيرفت خاك		بكن خانه باك را نيز باك

وبعد أن استمع الأسكندر إلى هذه الشكوى، توجه على الفور إلى حاكم بيت المقدس، وحاربه، ونجح في القضاء عليه، ويصف نظامي هذه الواقعة فيقول:

"أغلق الملك الطريق أمام ذلك الشرير في أول غارة شنها عليه.

ولم يكد يبصره، حتى قتله، وعلقة على بوابة بيت المقدس.

ثم أرسل مناديا في الحال ليعلن للناس مدى ظلمه.

ويطلب من كل من لحقه حيف أن يذكره.

لأنه خلص هذه الديار المقدسة من برائنه، وعطر ترابها برائحة العنبر "[350].

بمقدس رسان رايت خويش را		برافكن زكيتى بد انديش را
در آن جاى با كان يك اهريمنست		كه باد وستان خدا دشمنست
مطيعان آن خانه ارجمند		نبيتند ازو جز كداز وكزند
بخون ريختن سربر افر اختست		بس را بناحق سر اند اختست
همه در هراسيم ازين يو زاد		توئى ديوبند ازتو خواهيم داد

([350]) نظامي: اقبالنامه، ص 169 – 170:

باول شبيخون كه أورد شاه		بران راهزن ديوبربست راه
جو بيداد كرديد خون ريختش		زد.روازه مقدس اوبختش
منادى برانكيخت تادر زمان		زبيداد اوبر كشايد زيان
كه هر كوبدين خانه بيداد كرد		بدينكونه بخت بدش ياد كرد

ذهابه إلى بلاد الأندلس:

ثم اتجه نحو العرب، وسار إلى بلاد الفرنجه ومنها إلى بلاد الأنـدلس، فلما وصل إليها، أخذ يدعو الناس إلى الدين والفضيلة، فقبلوا دينه وتعاليمه، ولم يخرجوا من طاعته وأسرعوا للسير معه في الطريق المستقيم[351].

ذهابه إلى مغرب الشمس:

ثم أسرع الأسكندر بعد ذلك إلى البحر، وركب سفينة، واتجه بهـا إلـى حيث تغرب الشمس، فظل يسير في البحر لمدة ثلاثة شهور، حتى وصـل إلـى جزر كثيرة، بدت خالية من الناس، فلما تجول فيها، عثر على اناس مـن غيـر جنس الآدميين، فلما شاهدوه، فروا هاربين إلى الجبال.

ثم واصل سيره، فوصل إلى واد رمال صفراء، فلما بلغ نهايته، كان قد وصل إلى المحيط الذي أظهر له أمواجه الهائلة، فرأى الأسكندر غروب الشمس فيه وأدرك أنه لا يوجد مكان أبعد من ذلك، يمكن الذهاب إليه[352].

ثم وصف لنا نظامي غروب الشمس في ذلك البحر فقال:

كان غروب الشمس عن العالم واضحا في ذلك البحر العميق.

فلم تكن حجب المياه تخفي رؤية أشعتها.

جو زو بستدِ آن خانـه بـاك را		بعتبـر بـر آميخـت آن خـاك را

[351] نفس المرجع: ص 170:

برافرنجـه آورد از آنجـاه سـباه		وز افرنجـه برانـدلس كـرد راه
جـو آمـد كـه دعـوى وداورى		بـدانش نمـائى وديـن بـرورى
كس ازدانش وديـن او سـرنتافت		وهـى ديدروشـن بـدان ره شـتافت

[352] نظامي: اقبالنامه، ص 171.

وفي كل يوم وليلة، يلقى الفلك الأشعة على البحر من عين الشمس البعيدة. فتعطي لنا الدليل على عين الشمس، وعين ماء البحر.

وهي نفسها العين الحمئة التي تغرب فيها الشمس، حينما تتجه إلى البحر، وتغوص فيه"[353].

وقد ظل الأسكندر في دهشة لرؤيته هذه العين، وانشغل بالتفكير في أمرها، وسأل أحد علمائه عنها وعن صاحبها، فأجابه بأن مفسرين كثيرين قد طرقوا باب التفكير فيها، ولم يصلوا إلى نتيجة، وأنا نفسي لا أعرف، ولم يصلني جواب لسؤالي من شخص، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي يعرف سرها[354].

ثم جلس يستريح على ساحل المحيط، فلما نظر إلى مياهه، اكتشف انها ثقيلة ثقل الزئبق، فاستشار خبراء، في أن يبحر بسفينة ليكشف سر هذه المياه الغامضة، ولكنهم نصحوه بعدم المخاطرة، لأن بهذه المياه أفعى ضخمة

([353]) نظامي: اقبالنامه، ص 171- 172:

فـرو رفـتن آفتـاب از جهـان		در آن زرف دريـا نبـودى نهـان
حجـابى مغـانى بـدآن آب را		نيوشـيدى از ديـدها تـاب را
فلك هرشـبانروزى ازجشـم دور		بـدريا درافكنـدى از جشـمه نـور
بمـا در فـرو رفـتن افتـاب		اشارت بجشـمه اسـت ودريـاى آب
همان جشمه كرم كوراسـت جـاى		بـدريا حوالـت كنـد رهنمـاى

ويبدو أن نظامي قد تأثر في هذه القصة بما ورد في القرآن الكريم في سورة الكهف آية 86، حيث قال الله تعالى: "حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة". كما مال نظامي إلى تفسير (حمئة) على أنها بمعنى (ساخنة)، وهذا يتفق مع قراءة ابن عاصم وعامر وحمزه والكسائي الذين قرأوا عين حمئة أي حارة على عكس قراءة الباقين في عين حمئة أي كثيرة الحمأة، وهي الطينة السوداء: أنظر ابو عبد الله محمد الانصارى القرطبي: الجامع الأحكام القرآن، طبع القاهرة 1360هـ ، 1941م، ج11، ص 49.

([354]) نظامي: اقبالنامه، ص 173.

كالتمساح سوداء اللون مفترسة مخيفة، تفتك بكل من ينظر إليها، فتفيض روحه في الحال، والأسوأ من هذا كله، أنه لو أبحر سيجد ساحلا مضيئا يتلألأ من كثرة نوره، وفي مكان تلاطم الأمواج توجد أحجار كثيرة متعددة الألوان، زرقاء وحمراء وصفراء وسوداء، كما توجد أحجار المرقشيشا(355) ذات اللون الذهبي المتلألئه من كثرة ضيائها، وعندما ينظر الإنسان إليها، يضحك من فرط السعادة والسرور، إلى أن يموت من كثرة الضحك في الحال(356).

فلما سمع الأسكندر هذه الحكاية، فكر في حيلة للحصول على هذه الأحجار، فأشار وزيره عليه، بأن يرسل بعض الرجال معصبين الأعين، يمتطون جمالا سكيرة، ويمسكون هذه الأحجار بقماش، ويلفونها به.

وقد نجح الرجال بهذه الطريقة في إحضار الأحجار، فأمرهم الأسكندر أيضا بحمل رمال صفراء من الوادي، ثم رحل هو وجنوده من ذلك المكان، وساروا حتى وصلوا إلى واحة، فأمرهم ببناء قلعة، يستخدمون في بناء ما حملوه من الأحجار والرمال الصفراء، فكانت هذه القلعة تقتل كل من ينظر إليها.

بحثه عن منابع نهر النيل:

وبعد أن رحل عن هذه القلعة، واصل سيره على ظهور الفيلة مخترقا الصحراء، وظل يسير مدة ستة أشهر، حتى وصل إلى نهر النيل، فأبدى رغبته في تتبع منابع النيل التي كانت تعد أمرا غامضا عليه، فأعد جيشين، كل واحد منهما على ضفة من ضفتي نهر النيل، وواصل السير بهما ليلا ونهارا، يطوى الجبال والأودية والصحراء تلو الصحراء، حتى وصل إلى جبل أخضر اللون، تنبعث منه رائحة مسكية، فأرسل رجلا من رجاله، ليكتشف مصدر سبب هذه الرائحة، فلم يعد الرجل، فأرسل غيره، وهكذا أخذ الأسكندر يرسل الرجل تلو الآخر، دون أن يرجع واحد منهم، حتى هلك عدد كبير من جيشه، وأخيرا أرسل رجلا، وأرسل معه ابنه، ليلقى الابن من أعلى الجبل إلى أبيه وصفا له، حتى

---

(355) المرقشيشا: حجر كريم يصنع منه الكحل، وهو عدة أنواع ذهبي وفضي ونحاسي وحديدي ومعدني، ولكن أفضلهم الذهبي. أنظر برهان قاطع، ج4،ص 2995.

(356) نظامي: اقبالنامه، ص 174- 176.

يكشف سره الغامض، وقد نجحت هذه الفكرة، فعرف الأسكندر من وصف الجبل أن له جانبين أحدهما مصدرا للبهجة والسرور، والآخر مرعب مملوء بالدمار [357].

ذهاب إلى حديقة أرم:

وترك الأسكندر هذا المكان، وسار في الصحراء مدة حتى وصل إلى حديقة ارم، فوجدها جنة ذهبية الأشجار، بناها قوم شداد[358].

وقد وصفها نظامي فقال:

"دخلها ملك الدنيا وطاف بها، فوجد أرضاه صفراء بسبب أشجارها الذهبية.

فجميع أشجار الفاكهة مملوءة بالياقوت واللؤلؤ.

ويتدلى التفاح والرمان الياقوتي اللون من كل ناحية.

والبرتقال الذهبي والفضي بنوعية، يسحر الألباب بمناظره الخلابة.

وقد فرش بساط في تلك الحديقة يتلألأ بالجواهر كالمصباح المنير.

كما أقيم تمثالان من الذهب، على هيئة إنسان.

لو وقعت عين نحات عليهما، لسيطر عليه الخوف إذا عرف أنهما تمثالان من الذهب، وليسا حقيقين.

كما أعد بها حوض من البلور المتلألأ كقطع الثلج الفضية اللون.

ويعيش بداخله سمك من الياقوت الصافي، يبدو أكثر تلألئا من القمر المنير في وسط الماء.

وبنى بها أيضا قصر عظيم أحجاره من الفضة والذهب.

---

(357) نظامي كَنجوى: اقبالنامه، ص 177- 180.

(358) شداد: هو رجل يدعى شداد بن عاد من نسل نوح عليه السلام، وقد بنى حديقة فناء ليس لها مثيل في عصره، وقد ذكر شعراء الفرس حديقة ارم ككناية عن الحديقة الغناء، وقد عاشت هذه القبيلة في عصر هود عليه السلام، وأهلكها الطوفان بسبب عصيانها له.

وله قبة من الذهب الخالص تبدو متلألئة كالشمس الساطعة"[359].

وقد دخل الأسكندر هذا القصر، فتخيل أنه يدخل قصرا في الجنة من روعة جماله وبهائه، فوجد عبارة مكتوبة بالخط الأخضر على لوح مصنوع من الياقوت، وموضوعة على أحد أعمدته تقول: أيها السيد تقدم في خشوع وخجل، فلقد رقد في هذه المقبرة شداد بن عاد، الذي حظيت بفضله هذه الحديقة برونقها وبهائها، فتمهل في خشوع، ولا تعتدي علينا وتفضحنا، لأننا لنا حشمة وحرمة في القبر، كما أننا لم نفضح أحد من قبل، واحفظ شرفنا، لأنك سوف ترقد أيضا في التراب.

---

(359) نظامي: اقبالنامه، ص 282:

درون رفت سالار كيتى نورد	زمين از در ختان زر ديد زرد
يكايك درختانش از ميوه بر	همه ميوه بيجاده ولعل ودر
زهرسو رآو يخته سيب ونار	همه نار ياقوت وياقوت نار=
=زنارنج زرين وسيمين ترنج	فريب آمده با نظرها بغنج
بساطى كشيده دران سبز باغ	زكوهر برا فروخته جون جراغ
دوتنديس از زر برانكيخته	زهر صورتى قالبي ريخته
جو درجشم بيكر شناس آمدى	اكر زر نبودى هراس آمدى
زيلور تر حوضه ساخته	جويخ باره سيم بكداخته
دران ماهيان كرده از جزع ناب	نماينده تر زانكه ماهى درآب
دوخشتى بر آورده قصرى عظيم	يكى خشت از زر يكى خشت سيم
در او كنبدى روشن از زرناب	درفشنده جون كنبد آفتاب

إنهم لو أعدوا للميت في هذه المقبرة قبة من حجر الصوات الأسود فستكون عاقبتها أن تطيح رياح السماء بجدرانها، فتصبح ترابا في الوادي ويصير جسده غذاء للنمل، ورأسه ترابا تحت حوافر الحيوانات، فأنت يافاتح قفل الأسرار، خف من مثل ذلك اليوم، وتلطف بناء ولا تأمن لمثل هذه اللحظات، لأن آخرتك ستكون مثل آخرة أي إنسان وجميع كنوز هذه الخزنة وعرشنا وتاجنا ملك لك، فأحمل الكنوز، لأنها حلال لك، وليس لك شأن بنا"[360].

في تصويرها للقارئ، فخرجت في صورة جميلة رائعة، كان هدف نظامي منها، هو إظهار الأسكندر في صورة النبي العازف عن زخارف الدنيا ومباهجها، حتى أنه لم يبق بها مدة، ينعم بخيراتها كما أنه رفض أخذ الكنوز، لقناعته وزهده فيه.

كما ظهرت في هذه القصة من خلال الحديث عن الأسكندر نظرة نظامي إلى الدنيا، وهي أنها دنيا فانية لا تدوم، وأن الإنسان مصيره الزوال مهما علا شأنه فيها.

ذهابه إلى جماعة المتوحشين:

واختتم نظامي حديثه عن رحلة الأسكندر إلى الغرب بأسطورة تحكي أن الأسكندر سار مخترقا الصحراء، فلما قطع نصف الطريق، رأى جماعة متوحشة في صورة الآدميين، يسكنون الكهوف، فسألهم عما لديهم من عجائب، فأجابوه قائلين:

"إن طعامنا ما نصطاده من هذه الصحْراء التي هي مأوانا.

فنحن نصطاد من هذه الصحراء، ونعيش كالوحوش.

فنأكل من ذلك الصيد ما نجده سائغا، ونصنع ثيابنا من جلوده وأوباه.

ولا تستخدم هنا نار، ولا يوجد ماء، فنارنا مستمدة من الشمس، وماؤنا يؤخذ من السحاب"[361].

---

(360) نظامي: اقبالنامه، ص 183- 185.

(361) نظامي: اقبالنامه، ص 186:

ثم ذكروا له أن صحراءهم نائية خالية من الكنوز، ولذلك لم يستطيعوا أن يتصلوا بأحد، فمنحهم الأسكندر الكثير من العطايا، وأرشدهم إلى تعاليم، دينه، فأكرموا وفادته، وأرشدوه إلى طريق الوصول إلى الربع المسكون، فوصل إليه بفضل أرشادهم[362].

وقد تأثر نظامي في نظمه لهذه الأسطورة، بفكرة أسطورية ذكرها الفردوسي عند حديثه عن عثور الأسكندر على كنز كيخسرو[363].

ثم ختم نظامي رحلة الأسكندر إلى الغرب، بأن توجه إلى ساحل البحر، وصنع سفنا كثيرة وأنزلها من الساحل إلى البحر، وركب البحر أكثر من شهر، حتى أوصل جيشه إلى اليابس، ثم استراح شهرا ليبدأ رحلته إلى الجنوب[364].

توجه الأسكندر صوب الجنوب:

لم يذكر لنا نظامي في هذه الرحلة أسماء بلاد أو أقاليم أو مدن أو قرى ذهب إليها الأسكندر، بل اهتم بذكر بعض القصص والحكايات، دون ذكر أماكن وقوعها.

القصة الأولى:

وتحكي هذه القصة أن الأسكندر ذهب إلى قريبة جميلة كالجنة البهيجة، ووجد أهلها يستخدمون جمجمة قتيل، بعد أن تركوها تجف لمدة ثلاثة وأربعين

درين زرف صحرا كه ماواى ماست		خور شهاى ماصيد صحراى ماست
درين دشت تخجير بانى كنيم		برسم ددان زند كانى كنيم
خوريم انجه زان صيد يابيم نبزم		كنيم آلت جامه ازموى وجرم
نه آتش بكار آيد اينحانه آب		بو دآب ازابر آتش از آفتاب

([362]) نظامي: اقبالنامه، ص 188.
([363]) انظر الرسالة، ص77- 79.
([364]) نظامي: اقبالنامه، ص 188- 189.

يوما، ثم أخلوها من المخ، في التنبؤ بما سيحدث من خير وشر، حيث كانوا يضربون تلك الجمجمة بقضيب من حديد ويسألونها عما سيحدث في الليل والنهار من خير وشر، فيصدر من داخلها صوت يشبه الكلام، فكانوا يعتقدون أنها بذلك الصوت تخبرهم بأحوال الطقس غدا إذا كان حارا أم باردا، وتعرفهم بأحداث العالم في دورته في هذه الفترة من الزمان(365).

فنهاهم الأسكندر عن مثل هذه الخرافات ودعاهم إلى اتباع دينه، ثم كلف دين من رجاله بمهمة هدايتهم ورعايتهم، وغادر القرية بعد أن اطمأن على هدايتهم.

القصة الثانية:

وتذكر هذه القصة أن الأسكندر واصل سيره في طرق وعرة، حتى وصل إلى واد مملوء بالماس، فيبدو ومتلألئا بسببه، كما أنه مملوء أيضا بالأفاعي الفاتكة، يفوق عددها مئات الألوف، تسد طريق الوصول إلى هذا الماس.

فلما رأى الأسكندر الماس طمع في الحصول عليه، يقول نظامي:

"عندما شاهد الملك منجم الماس، خفق قلبه له كتلألؤ بريق الماس" (366).

وفكر في حيلة للحصول عليه، وهي أن أمر رجاله، بذبح ألف نعجة، وإلقائها في قاع الوادي، حتى إذا ما شاهدتها النسور، انقضت لخطفها إلى خارج الوادي لالتهامها.

وقد نجحت حيلة الأسكندر، فلما رأت النسور اللحوم تسطع ببريق الماس الملتصق بها، هبطت في الوادي، وخطفت اللحوم، وخرجت بها إلى خارج،

---

(365) نظامي: اقبالنامه، ص 190- 191.

(366) نظامي: اقبالنامه، ص 193:

جه شد ديد كان الماس خيز		كذركاه دارد جو الماس تيز

وبعد أن أكلتهما، تركت الماس، فأمر الأسكندر رجاله بجمعه، وترك ذلك المكان، متجها إلى الصحراء[367].

وفي الحقيقة لم يوفق نظامي في ذكر مثل هذه القصة، لأنها لا تتفق مع حديثه عن الأسكندر كنبى، فقد سبق أن ذكر لنا أن هاتفا أبلغه أن الله اصطفاه للطواف حول العالم من أجل هداية الناس إلى الدين الحق، فكان هذا يحتم عليه أن يصف بصفات النبي القنوع، لا المتكالب على المال على عكس ما صوره، وذلك حتى يتفق مع صفات النبي الحقيقي.

القصة الثالثة:

وتحكي هذه القصة أن الأسكندر عبر كثيرا من الصحارى، حتى وصل إلى مكان فسيح مملوء بالمزروعات والخضروات، فرأى شابا وسيم الوجه، ضخم البنيان يفلح الأرض، فتقدم إليه، وعرض عليه العرش مقابل أن يتخلى عن الفلاحة التي يمارسها، فرفض شاكرا الأسكندر، ثم سأله الأسكندر عن دينه، فأجاب الشاب:

"يامن خصصت بالنبوة من قبل الله لتهدي الخلق إلى طريق الخير.

لقد تعلق قلبي بالله مثلك، فأنا أتبع نفس الدين تدعو إليه.

لقد رأيتك أكثر من مرة في المنام، فتعلقت حياتي بك كما تتعلق حياة السمكة بالماء.

وبما أنك جئت لدعوة الناس جهرا، فإنني لن أتخلف عن خدمتك[368].

---

(367) نظامي: اقبالنامه، ص 194- 195.

(368) نظامي: اقبالنامه، ص 196- 197:

جو انمرد كفت اى زكيتى خداى		ببيغمبرى خلق را رهنماى
در آنكس دل خويش بستم كه تو		همان قبله را مبرستم كه تو
ترا ديده أم بيشتر زين بخواب		بتوزنده كنتم جوماهي بآب

فأثنى عليه الأسكندر، وقضى يوما كاملا في هذا المكان الفسيح، ثم غادره.

القصة الرابعة:

واصل الأسكندر سيره، فطوى كثيرا من المنازل، حتى وصل إلى مدينة كالجنة الجميلة، ولكن كان يحكمها حاكم ظالم، يعبث فيها فسادا، فحاربه الأسكندر، وانتظر عليه، ثم أرسى فيها قواعد العدل وسماها (اسكندر آباد)، وأعاد لكل شخص حقه المغتصب(369).

توجه الأسكندر صوب الشرق:

ذهابه إلى الهند ثم إلى مدينة لنكَربهشت(370):

ثم توجه الأسكندر بعد ذلك إلى الهند، فلما وصل إليها، كان الوقت ربيعا، فكانت الحدائق يانعة، والأزهار متفتحة، عطرة الرائحة. فتوقف فيها قليلا(371)، ثم اتجه شرقا، فسار حتى وصل إلى المدينة المباركة التي يسميها الأتراك (لنكربهشت) لبهائها، فوجد فيها ربيعا جميلا، ومعبدا اسمه قندهار.

وكان في هذا المعبد صنم له عينان من حجرين كريمين، فأمر الأسكندر بتحطيم الصنم والمعبد، وأخذ ما يوجد من جواهر، لأنها لا تفيد الناس، فتقدم أحد كهنة المعبد ومثل بين يدي الأسكندر، وقص عليه قصة المعبد، وهي أنه كان في الأصل قصرا أثريا قيما، أوشك على الانهيار لقدمه فهبط عليه طائران، وكانا يحملان في منقاريهما حجرين كريمين، ثم طارا تاركين الحجرين، فبنى الناس

كنون كامدى وين خبر شد عيان		بخدمتكَرى جون نبندم ميان

(369) نظامي: اقبالنامه، ص 197- 198.

(370) لنكربهشت: معناها (مرسى الجنة) أي المكان الذي تستقر فيه، وهي مدينة وهمية من صنع خيال نظامي.

(371) نظامي: اقبالنامه، ص 200.

مكان القصر معبدا، وصنعوا صنما، وجعلوا عينيه من هذين الحجرين الكريمين(372).

وأيقن الكاهن أن الأسكندر نبى مصلح، فدله على كنز أخفى تحت الأرض، تعجب مستخرجوه من كثرة ما فيه من جواهر، فاستولى الأسكندر عليه وتصدق بجزء منه واحتفظ بالجزء الباقي(373).

ثم واصل الأسكندر رحلته، فكان يقطع الصحارى، حتى يصل إلى المناطق المعمورة، فيهدى الناس إلى تعاليم دينه، يقول نظامي:

"فكلما شاهد آدميين في بقعة تحدث معهم، واستمع إلى كلامهم. ودعاهم إلى عبادة الله، حتى هداهم إلى الدين الحق"(374).

ذهاب إلى الصين:

وبعد ذلك ذهب الأسكندر إلى الصين، فلما علم خاقان الصين، أن الأسكندر قد جاء هذه المرة كنبى يدعو الناس إلى دين الله الحق، رحب بقدومه، وأحسن استقباله، وأعد له الهدايا اللائقة به، وعقد ميثاقا معه، فتوطدت أواصر الصداقة بينهما، بل أنه اعتنق دينه، وتعلم أصوله وتعاليمه، وحفظ آياته(375).

ثم عرض الأسكندر على خاقان الصين أن يصحبه في رحلة بحرية ينوي القيام بها في المحيط، فوافقه، ثم اختار الأسكندر عشرة آلاف رجل من

---

(372) نظامي: اقبالنامه، ص 201- 202.
(373) نظامي: اقبالنامه، ص 202..
(374) نظامي: اقبالنامه، ص 202- 203:

بهـر بقعـه كـادمى زاد ديـد		بايشان سخن كفت وزيشان شنيد
زيزدان برستى خبر داد شان		زدين تويتاى نظر داد شان

(375) نفس المرجع: ص 203:

بـذيرفت خاقـان ازوديـن او		در آموخـت آيـات وآيـين او

خيرة جنوده، وأبحروا جميعا نحو الشرق، ثم جنحوا صوب الجنوب وتوغلوا في أعماق المحيط مدة أربعين يوما متصلة دون راحة، حتى وصلوا إلى البحر الأزرق[376]، فرسوا على الشاطئ، ورفعوا الأعلام[377].

ولاحظ الأسكندر أنه بالقرب من الشاطئ يوجد معبد، تخرج منه طوال الليل عرائس البحر الجميلات، ثم يذهبن إلى الشاطئ، فيغنين بصوت عذب، ويرقصن، بحيث أن كل من سمع غناءهن، سكر من عذوبة صوتهن، فابتعد بمن معه عن الشاطئ حتى لا يزعجهن[378].

ولما حل الصباح، أمر الأسكندر قبطان السفينة، بالابحار في ذلك المحيط، الذي كان في حالة هياج شديد، فأبحروا حت وصلوا إلى بحر الصين، وفجأة ظهرت جزيرة من بعيد، فساروا إليها. وهناك علم الأسكندر من رجاله أنه لا يمكن السير أبعد من هذه الجزيرة، لأنها تعد نهاية حدود العالم من ناحية الشرق. فأمر ببناء طلسم رافعا يده مشيرا إلى عابري البحار، أنه ليس للناس طريقا بعد هذه الجزيرة، وما هو إنسان يستطيع أن يعرف ما يوجد في الطرف الآخر من البحر[379].

وبعد أن تم بناء الطلسم، رجع الأسكندر إلى خاقان الصين، الذي كان في انتظاره، فأستراح اسبوعا، ثم واصل هو والخاقان سيرهما، فسارا في الصحراء عشرة أيام، حتى وصلا إلى مدينة صغيرة جميلة عامرة بخيراتها، فعرف من أهلها أنهم يخافون من صوت مرعب، يأتي من البحر، عندما تشرق الشمس في صورة طرق شديد، فيهرعون إلى كهوف قد بنوها تحت الأرض، يخفون أبناءهم فيها.

(376) يبدو أن نظامي كان يقصد بالبحر الأزرق، بحر صغير يقع في الهند قرب مدينة قنوج كان يسمى (آب سياه) وقد استعمل كلمة أزرق للمحافظة على الوزن الشعري للبيت: انظر: البستاني: دائرة المعارف، الجزء الأول طبع بيروت 1876م.

(377) نفس المرجع، ص 203- 204.

(378) نظامي: اقبالنامه، ص 205.

(379) نفس المرجع: ص 207- 208.

وقد طلب الأسكندر من بليناس، تفسير هذه الظاهرة الغريبة، ففسره أن هذا الصوت يحدث بفعل تأثير الشمس حينما تسطع على أمواج البحر، وأشار على الأسكندر أن يأمر الجنود بدق الطبول، فطرب الناس، وأصبح دق الطبول عادة من عادتهم، وأقبلوا على تعلم دينه، الذي يدعو إليه، وشكروه على هدايتهم من الضلال، إلى معرفة الله[380].

ثم واصل الأسكندر رحلته حتى بلغ الصين، فاستراح شهراء ثم بدأ رحلته إلى الشمال.

توجه الأسكندر صوب الشمال:

وقد بدأ الأسكندر رحلته صوب الشمال في فصل الصيف، بعد أن غادر الصين محملا بالكثير من الهدايا، التي قدمها له خاقان الصين إليه.

وقد واصل سيره في الصحراء، حتى وصل إلى أرض مملوءة بالفضة، فلم يحمل منها إلى القليل لكثرة ما يحمله معه من الذهب[381].

لم يوفق نظامي في هذه الحكاية، لأنها تتناقض مع شخصية الأسكندر النبي، التي يتحدث عنها، فقد صوره هنا في صورة ملك طماع يهوى جمع الكنوز والأموال، فلم يكتف بما معه من ذهب كثير، بل أمر قائد جنوده بحمل الفضة قائلا:

"خذ من هذا الكثير قليلا، حتى لا يتعب حاملوه، من كثرة ما يحملون.

ولا تقل للجنود، فلولا عشقي للفضة، لخافوا أن يحملوا هذه الأحمال الثقيلة"[382].

---

(380) نظامي: اقبالنامه، ص 216- 218.

(381) نظامي: اقبالنامه، ص 222.

(382) نفس المرجع ونفس الصفحة:

باندازه بردار ازين راه كنج	نه جندان كه محمل كش آيد برنج
بلشكر مگو وكر از عشق سيم	كر انبار كردند ويابند بيم

بناؤه سد يأجوج:

وواصل الأسكندر سيره حتى وصل إلى جماعة متدينة، يقطـن أهلهـا سفوح الجبال، ووجدهم قد اهتدوا إلى الحق دون أرشاد نبي، فعرفـوا الله عـن طريق العقل بالهام من الله. فلما شاهدوا طلعة الأسكندر قبلوه نبيـا، واعتنقـوا دينه، وطلبوا منه أن يزودهم بالعلم ويمنحهم العدل، فبين الأسكندر لهم أصـول دينه، وأعطاهم أموالا كثيرة(383).

وشكوا له من قبيلة يأجوج قائلين:

"توجد جماعة في تلك الصحراء تدعي يأجوج أفرادها آدميـون مثلنـا، ولكن طبيعتهم شريرة كطبيعة الشيطان.

ويغطى الشعر أجسامهم من الرأس إلى أخمص القدم بحيث لا ترى شيئا من وجوههم.

ويريقون دماء غيرهم بأنيابهم وأسنانهم التي تشـبه أنيـاب الحيوانـات المفترسة.

وينهبون إنتاج كل منجم ولا يأكلون إلا النباتات.

وليس لهم حرفة سوى النوم والأكل، بُحيث لا يمـوت أحـد مـنهم، إلا ويكون قد أنجب ألفا.

ويغيرون علينا كل مدة فيخربون بيوتنا.

ويسلبون أغنامنا، وينهبون طعامنا"(384).

---

(383) نظامي: اقبالنامه، ص 224.

(384) نفس المرجع، ص 224- 226:

كروهى درآن دشت يـاجوج نـام		جومـا آدمـى زاده وديـو فـام
رسيده زسـر تـا قـدم مويشـان		نبينـى نشـانى تـواز رويشـان

وبعد أن استمع الأسكندر إلى شكواهم، دبر وسيلة لدفع الشر عنهم، فبنى لهم سدا منيعا من الفولاذ، يفصل بينهم وبين قبيلة يأجوج، يصف نظامي مناعة وصلابة هذا السد فيقول:

"هكذا أقام سدا منيعا من الفولاذ، لا يتحطم إلى يوم القيامة"(385).

وقد تأثر نظامي من هذه القصة بما ورد في القرآن الكريم في سورة الكهف(386).

من قصة ذي القرنين مع قبائل يأجوج ومأجوج، وبنائه سدا لدرء خطرهم، مثلما تأثر الفردوسي من قبله عند حديث عن الأسكندر في الشاهنامه.

وقد تأثر أيضا نظامي بوصف الفردوسي في الشاهنامه لهذه الجماعة، ولم يضف عليه جديدا، ولكنه اختلف في وصفه لكيفية بناء السد(387).

وكما وفق نظامي في ذكر هذه القصة عند الحديث عن الأسكندر النبي توفيقا عظيما حتى يصوره كنبى ينشر الدين الحق، ويهب الناس العطايا، ويدفع

بجنگال ودندان همه جون دده	بخون ريختن جنگ ودندان زده
زهر طعمه كان بود حبستنى	طعامي ندارند جز رستنى
ندارند جز خواب وجز خور دكار	نميرد يكى تا نزايد هزار
بهر مدت آرند بر ما شتاب	كنند آشيانهاي ما را خواب=
=زما گوسپندان بغارت برند	خورشهاى ماهر جه باشد خورند

(385) نفس المرجع: ص 226:

بدانكونه سدى زپولا دبست	كه تا رستخيزش نباشد شكست

(386) سورة الكهف: آيات 94- 98.

(387) انظر الرسالة: ص 71.

الظلم وينشر العدل، كما كانت هذه القصة تمهيدا طيبا لختم الحديث عن نبوة الأسكندر في المنظومة.

ذهاب إلى المدينة الفاضلة:

وهذه القصة هي خاتمة الحديث عن نبوة الأسكندر، وقد صور نظامي فيها نموذجا حيا للعالم المثالي، الذي ينبغي وجوده في هذا العالم. فذكر لنا أن الأسكندر واصل سيره حتى وصل إلى مدينة جميلة تشبه الجنة من حيث وفرة خيراتها، وبهاء جمالها، ليست لها أبواب، يسكنها قوم تسود الأمانة بينهم، فهم يتركون دكاكينهم مفتوحة دون أن يغلقوها، ومراعيهم وبها أغنامهم بلا حراسة، فلا يوجد بينهم لص ولا مخادع، وجميعهم متساوون في الحقوق والواجبات متعاونون في السراء والضراء، فيعيشون بذلك في سعادة وهناء، مبتعدين عن المساوئ الخلقية، يسودهم العدل، كما أنهم لا يعادون غيرهم، ويفرحون لما يعود عليهم من خير، ويتألمون لمصيبتهم وهم لا يأكلون حتى يشبعون، ويعفون عند المقدرة، ولا يحزنون لموت أحد منهم، وأنهم يعلمون أنهم لا حيلة لهم أمام الموت، فهو المصير المحتوم الذي كتبه الله على الإنسان[388].

وقد سألهم الأسكندر عن دينهم فقالوا:

"نحن جماعة من الضعفاء نعتنق دين الله، ولا تحيد شعرة من رأسنا عن الحق.

وليس لدينا مكر ولا خداع، فنحن لا نعرف سوى الصدق والاستقامة فقط.

لقد أغلقنا باب الانحراف والفسق في وجه الدنيا، وتخلصنا بالدين الحق منه.

فنحن لا نقول الكذب لأي سبب من الأسباب، ولا نرى في النوم ليلا ملاذا للهروب من آثامنا.

---

(388) نظامي: اقبالنامه، ص 227- 231:

كما أننا لا نفعل ما يغضب الله من سوء.نرضى بكل ما يكتبه الله علينا، لأن الاعتراض عليه اثم"[389].

وقد ختم نظامي حديثه عن الأسكندر النبي بوصول الأسكندر إلى هذه المدينة الفاضلة، التي يسودها العدل والسعادة والهناء، لمعرفة أهلها بما لهم وما عليهم دون حاجة إلى حاكم يسوسهم، أو قاض يفصل بينهم، وفي الحقيقة كان نظامي موفقا إلى حد كبير في هذه الخاتمة بالنسبة لحديثه عن نبي ينشر رسالة سماوية مكلف بها، فيكون وصوله إلى المدينة الفاضلة هو نهاية المطاف به، وهو الهدف في المنشود الذي يسعى إليه.

ويبدو أن نظامي قد تأثر عند نظمه لهذه القصة بالمذهب المثالي عند أفلاطون، فوجد في آرائه عن الجمورية المثالية ما تنادي به أعماق نفسه التقية الورعة، وما تسمح به أخلاقه النبيلة كشاعر اشتهر بالفضيلة في عصره، فنظم هذه القصة ليبين للقارئ المبادئ النبيلة السامية التي يجب أن يقوم عليها أي مجتمع إسلامي، هذا بالإضافة إلى ثقافة نظامي الدينية العالية قد أثرت أيضا في نظمه لهذه القصة، حيث تأثر بما ورد في القرآن الكريم في وصف الجنة وما

---

(389) نفس المرجع: ص 228- 229:

كَروهی ضعيفان دين برورِيم		سر موئی از راستی نكَذريم
نداريم بر برده كج بسيج		بجز راست بازی ندانيم هيج
در كجروی برجهان بسته ايم		زدنيا بدين راستی رسته ايم
دووغی نكَوئيم در هيج باب		بشب باز كَونه نه بينيم خواب
نبر سيم جيزی كزوسودنيست		كه يزدان ازان كار خشنود نيست
بذيريم هرج آن خدائی بود		خصومت خدای آزمائی بود

بشر الله به المؤمنين بالعيش في نعيم وأمان، دون حاجة إلى حاكم يسوسهم، يظللهم العدل الآلهي.

عودة الأسكندر إلى بلاد اليونان:

وهنا بدأ نظامي يمهد لرحيل الأسكندر من الدنيا، وبالتالي نهاية منظومته اسكندرنامه، فذكر لنا أن الأسكندر سمع هاتفا، ينصحه بالرجوع إلى بلاده، وكفاه طوافا حول العالم قائلا:

"الأفضل لك أن لا تتعب نفسك أكثر من هذا.

فلقد طوفت العالم حتى آخره، فأرجع إلى موطنك الأصلي"[390].

رجع الأسكندر من الشمال إلى كرمان، ثم رحل إلى كرمانشاه، وسار منها إلى بابل، ثم توجه شطر بلاد اليونان، فلما وصل من بابل إلى مدينة شهر زور، أصابه المرض، وعجز عن الحركة فجأة.

ولما أحس بدنو أجله، جمع رجاله، وأخذ يتحدث معهم عن الموت والرحيل عن الدنيا، وعن فتحه للعالم من أقصاه إلى أقصاه، وتطهيره من الظلم، ونشره للعدل في أرجائه، ودعوته إلى الدين الحق، وكيف أنه سيترك الدنيا، دون أن ياخذ معه شيئا، وضرب لهم مثلا فقال:

"إذا حط طائر على جبل، ثم طار، فماذا يصيب الرجل من زيادة أو نقصان؟.

إنني ذلك الطائر، والدنيا جبلى، وأن لتلك الدنيا أن تغتم لفراقي[391].

([390]) نظامي: اقبالنامه، ص 236:

جنانش آمد آواز هاتف بگوش		كزين بيشترسوى بيشى مكوش
رساندى زمين را باخر نورد		سوى منزل اولين باز گرد

([391]) نظامي: اقبالنامه، ص 247:

وصية الأسكندر:

ثم استدعى الأسكندر وزيره، وأملاه وصيته إلى أمه، قال فيها:

"حينما تصلك وصيتي هذه، لا تحزني وتعقدي حاجبيك.

ولا تجزعي وتلبسي ملابس الحداد.

فأنظري إلى طبيعة الدنيا.

واحزني واغتمى كثيرا لو وجدتي شخصا خلد فيها.

وبما أن العمر ينتهي سواء كان طويلا أم قصيرا، فيستوى لو كان عشر سنوات أو مائة سنة.

فكيف أخشى الرحيل من الدنيا، وأنا معي مفتاح الأبـواب، ومصـباح الطريق إلى الجنة بأعمالي الحسنة"[392].

يكى مرغ بر كوه بنشست وخاست		جه افزود بر كوه يـا زوجـه كاسـت
من آن مرغم ومملكت كـوه مـن		جو رفـتم جهـانرا جـه انـدوه مـن

(392) نفس المرجع، ص 255- 256:

كه جون اين وثيقت رسد سوى تـو		نكَيـرد كَـره طـاق ابـروى تـو
مصيبت نـدارى نبوشـى بـلاس		بهنجـار منـزل شـوى رده شـناس
نبجـى بنالـه نكـردى ز راه		كنـى در سـرانجام كَيتـى نكَـاه
اكَر ماندنى شـد جهـان بركسـى		بمـان درغـم وسـو كَـوارى بسـى
جو بسيارى عمر ما انـد كيسـت		اكَـرده بودسـال وكَرصـد يكيسـت
جرا ترسم ازرفـتن هشـت بـاغ		كـه دربـا كليدسـت وره بـاجراغ

"أن الأسكندر هو الذي كان وحده دون غيره من ملوك العالم، ملكا على أقاليم العالم السبعة.

وليس في يده كنوز الدنيا التي جمعها غير التراب.

وأنتم أيضا حينما تخرجون من الدنيا، سوف لا تأخـذون معكـم غيـر التراب"[393].

وفي الحقيقة تعد هذه الصورة الشعرية أجمل صور المنظومـة، فهـي تعبيرا حقيقيا عن شخصية الأسكندر التـي رسـمها نظـامي فـي منظومتـه اسكندرنامه، كما أنها تعد من المشاهد الأخيرة الجميلة التي نجحت نفسية نظامي النقية الورعة في التعبير عنها وتصويرها تصويرا حيا وصادقا.

ويذكر لنا نظامي بعد ذلك أنهم حملوا جثمان الأسكندر من شهرزور إلى مصر ودفنوه في مدينة الأسكندرية[394].

وقد سمعت أم الأسكندر بوفاته، فحزنت حزنا شديدا، وماتت سريعا تأثرا عليه[395]. وقدم العظماء فروض الطاعة والولاء لابنه (اسـكندروس)، ولكنـه رفض بحجة أنه لا يملك صفات أبيه، لذا فإنه سيقضى حياته كراهب فـي أحـد الأديرة[396].

([393]) نظامي: اقالنامه، ص 259:

كه فرمانده هفـت كشـور زمـين		همـين يكـتن آمـد زشـاهان همـين
زهر كَنج دنيـا كـه درباربسـت		بجـز خـاك جيـزى نـدارد باسـت
شما نيز جـون ازجهـان بكذريـد	ا	ازيـن خاكـدان تيـره خـاكي بريـد

([394]) نفس المرجع، ص 259- 260.
([395]) نظامي: اقبالنامه،ص 263- 264.
([396]) المرجع السابق: ص 264- 268.

وبعد أن انتهى نظامي من الحديث عن الأسكندر ختم المنظومة بحديثه عن موت الحكماء السبعة[397]، الذين سبق أن ذكرهم عند الحديث عن حكمة الأسكندر، ثم تحدث عن خاتمة حياته[398]، حيث أنه كان قد أحس بدنو أجله لكبر سنه، فقد مات بعد انتهائه من نظم المنظومة بعام واحد، وطلب في هذه الخاتمة الرحمة والمغفرة من الله سبحانه وتعالى، وأخيرا مدح عز الدين مسعود حاكم الموصل، الذي أهداه هذه المنظومة[399].

وبذلك تنتهي قصة الأسكندر عند نظامي، بعد أن صورة من ثلاثة جوانب هي: جانب البطولة، وجانب الحكمة، وجانب النبوة.

([397]) المرجع السابق: ص 268- 278.
([398]) المرجع السابق: ص 278- 280.
([399]) المرجع السابق: ص 280- 293.

تعد منظومة اسكندرنامه أروع وأعظم عمل أدبي تناول شخصية الأسكندر المقدوني في الأدب الفارسي على مر عصوره، وذلك من حيث ضخامة حجمها، فقد نظمت في أحد عشرة ألف بيت من الشعر، ومن حيث تعدد جوانبها، فلقد صور نظامي فيها ثلاثة جوانب من شخصية الأسكندر وهي الملك والحكيم والنبي في صورة تتفق مع مزاجه الخاص وآرائه ومبادئه، وتتناسب أيضا مع ظروف عصره، مما أعطاها قيمة أدبية عظيمة، وشهرة عالمية بين آداب العالم المختلفة.

وعلى الرغم من أن نظامي قد تأثر بالموضوعات التي طرقها الفردوسي عن الأسكندر في الشاهنامه، وبالصورة التي رسمتها القصة النثرية (اسكندرنامه) لشخصية الأسكندر كملك عادل محب السلام التي القصة المجهولة المؤلف، والتي ألفت – كما سبق أن ذكرنا– في بداية القرن السادس الهجري، وهو القرن الذي نظم في آخره نظامي منظومته إلا أنه لم يكتف بما ورد فيهما، بل أضاف عليها، وأخرج لنا قصة ظهرت فيها شخصيته واضحة، وآرائه النزيهة المستقلة، ويبدو ذلك في هدم انسياقه وراء تعصب الفردوسي الشديد لبنى جنسه، ونسبه الأسكندر إلى الملك دارا الإيراني، بل أثبت صراحة نسب الأسكندر إلى أبيه فيليب اليوناني، ثم صوره في صورة الملك العادل المحب للسلام، المصلح للعالم ثم أضاف عليها صورتين أخرتين هما الحكيم والنبي.

وكان تصوير نظامي لهذه الصور الثلاثة من شخصية الأسكندر واضحا وجليا، فقد درج به من صورة إلى أخرى حتى ارتقى به إلى منزلة النبوة في مهارة شعرية فائقة، جعلت القارئ يشعر بأن هذه الصور الثلاثة مرتبطة ارتباطا وثيقا، ومكمله لبعضها البعض، فشوقته إلى تتبعها حتى النهاية، فمثلا صوره في صورة بطل عدل وإصلاح، ألم بالعلوم والمعارف الموجودة في عصره، فصار عالما وحكيما يقبل عليه حكماء الهند لمناقشته، ثم يجمع الحكماء حوله، ويخلق جوا من الحكمة والمعرضة، ويناقشهم فيما يتعلق بالخلق الأول وأصل العالم،

ويتفوق هو عليهم برأيه الذي يثبت وجوده الله، لأن كل خلق لابد له من خـالق. فأصبح بذلك مؤمنا بوحدانية الله، مما أهله للنبوة والرسالة، فبدأ مرحلة جديـدة وهي خروجه إلى الناس بدعوته الجديدة، وطوافه العالم شرقا وغربـا وشـمالا وجنوبا، داعيا وهاديا.

غير أن هناك بعض الملاحظات تؤخذ على نظامي، لكنها لا تقلل مـن شأنه ولا تنقص من قيمة عمله العظيمة منها أنه قد غلب عليه التعصـب لبنـي جنسه فصور الأسكندر في عدة مواضع في صورة غير التي رسمها لـه فـي المنظومة، فعلى سبيل المثال صور الأسكندر في صورة الملك المتـآمر الـذي تآمر مع الخونة على قتل ملك بلاده دارا، وإن كان قد تراجع بعد ذلك وذكر أن الأسكندر ندم على تآمره هذا.

مثال آخر وهو تصويره للأسكندر في صورة الطماع المتكالـب علـى جمع المال، وهذا لا يتفق مع تصويره له كنبي اصطفاه الله للطواف حول العالم من أجل هداية الناس إلى الدين الحق.

ملاحظة أخرى تؤخذ على نظامي أنه على الرغم من نجاحه في تصوير الأسكندر كحكيم ماهر، إلا أن أغلب القصص التي أوردها في الجزء المتعلـق بالحكمة لم يكن الحديث فيها مباشرا عن الأسكندر، بل كان ذكر الأسكندر يـأتي من ثناياها. وفي رأيي لو كان نظامي نظم مجموعة هذه القصص في الحـديث عن حكمة الأسكندر مباشرة، لكن تأثيرها أقوى وأعمق في نفس القارئ.

ومما يؤخذ عليه ايضا أن النعرة الإيرانية قد تغلبت عليه فأبـت عليـه نفسه ذكر خضوع بلاده لحكم اليونانيين فكذب هذه الحقيقة التاريخية في الحديث عن ترك الأسكندر الحكم من بعده لأبناء الملوك الإيرانيين – والحقيقة تقول أنه وزع حكم الأقاليم التي فتحها بين قواده، ممن عرفوا بعد ذلك بالسلوكيين.

ومع كل هذه المآخذ فقد كان نظامي اسـتاذ فـن القصـة فـي الأدب الفارسي، فقد نظم منظومته اسكندرنامه في قالب قصصي، اتخذه ميدانا لآرائه، وأنطق الأسكندر بما يؤمن هو به، ويدعو إليه، وجعله يصل إلى الهدف الـذي يتمنى تحقيقه، وهو أن يعيش الناس في صفاء وأمن وسـلام، يظللهـم العـدل،

يعرف كل واحد منهم حقوقه وواجباتـه، دون الحاجـة إلـى حـاكم يسوسـهم ويوجههم، طالما أوصل الأسكندر إلى مثل هذا المكان، أوقفه عن السير، لأنـه اعتبر نفسه قد حقق الهدف المنشود.

لذلك فإن شخصية الأسكندر في المنظومة تعد أصدق تصوير لشخصية نظامي الكنجوى، كداع من دعاة الفضيلة، يتمنى أن يبنى المجتمع أسس وطيـدة من العدل والسلام والأخلاق النبيلة.

وقد أصبح نظامي الكنجوى بتصويره هذا لقصة الأسكندر، اماما قلـده شعراء من الفرس والترك، واعتمد هؤلاء جميعا على منظومته (اسـكندرنامه) واقتبسوا مما فيها من أقوال ومعلومات عند نظمهم لمنظوماتهم.

وأشهر من قلدوه من شعراء الفرس: أمير خسر والدهاوى المتوفي عام 725هـ فنظمهاع تحت عنوان (آئينه سكندري)، وهي إحدى خمـس منظومـا تتعرف باسم (بنج مثنوى) وعبد الرحمن الجامي المتوفى عـ "898هـ" ونظمها تحت عنوان (خردنامه سكندي)، وهي أيضا احدى سبع منظومات، تعرف باسم (هفت اورنك).

وأشهر من قلدوه من شعراء الترك: الأحمدي الكرمياني المتـوفي عـام 815هـ ونظم القصة تحت عنوان (اسكندرنامه)، ويقال أنها عبارة عن ترجمـة غير دقيقة لمنظومة نظامي اسكندرنامه التي تناولتها بالبحث والدراسـة حيـث تصرف وغير فيها[400].

وجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أن منظومة اسـكندرنامه تعـد احـدى أسباب ذيوع اسم نظامي بين المستشرقين الأوربيين، فقد نال مكانة عالية عندهم مثل سعدى والفردوسي وحافظ والخيام، بل أنه صار خامسهم، ومازالـت هـذه المكانة له حتى الآن.

(400) بروسة لي محمد طاهر: عثمانلي مؤلفري، استلنبول سنة 1333، والجزء الثاني، ص 73- 74.

ففي عامي 1826م و 1828م نشر المستشرق الروسي (فرانسوا ادرمان) في مدينة غازان منتخبا من (اسكندرنامه نظامي) اشتمل على قصة حرب الأسكندر مع الروس، وذلك تحت عنوان (De Expedition Russ .orum)

ثم نشر المستشرق الروسي (ليس سبتزناجل) في عام 1828م كتابا في مدينة بطرسبرج أخذه عن (اسكندرنامه) وسماه حملة الأسكندر ضد الروس وهو يقع في مجلدين.

كما ترجم قصة حرب الأسكندر ضد الروس إلى الفرنسية، وأعد النص والترجمة للنشر في نفس السنة، ولكن وفاته المبكرة حالت دون ذلك، فتكفل بهذه المهمة المستشرق الروسي (شارموا) وكان يتقن الفارسية، فقام بالقاء نظرة على الترجمة، ثم كتب لها مقدمة قيمة، ونشر النص والترجمة.

كما نشر المستشرق الانجليزي (ناثپان بلند N.Bland) (خردنامه اسكندري) [401] في كلكته عام 1884م.

ثم نشر المستشرق الأماني (شبرنجر Sprenger) ومحمد شوشترى في عام 1852م (فردنامه اسكندري) تحت عنوان (اسكندرنامه بحري).

ونشر المستشرق الألماني (ولهلم باخر W.Bacher) في عام 1871م، كتابا عن نظامي في جوتنبرج تحت عنوان (حياة نظامي وآثاره). تحدث في القسم الأول منه عن حياة الشاعر وآثاره، ودرس في الجزء الثاني من منظومة اسكندرنامه بصفة خاصة.

ثم نشر (كلارك Calarke) في عام 1881م (اقبالنامه سكندري) تحت عنوان (اسكندرنامه برى) وذلك في مدينة كلكته.

كما نشر المستشرق الهولندي (هوتسما Houtsma) في عام 1921م كتابا في ليدن تحت عنوان (خلاصة خمسة نظامي) وهو عبارة عن منتحبات من منظومات الشاعر.

([401]) نفس المرجع، ص 259- 260.

الباب الخامس

قصة الأسكندر بعد نظامي

تمهيـــد:

لم ينقطع الاهتمام بشخصية الأسكندر وقصـته بعـد عصـر نظـامي الكنجوى، ولم تفتر العناية بالقصة بين الشعراء والكتاب، بـل ظهـرت صـور مختلفة من القصة تفننوا في رسمها علـى مختلـف العصـور حتـى العصـر الصفوي.

وإذا أردنا استعراض صور القصة منذ القرن السابع الهجري الذي توفى نظامي في أوائله حتى العصر الصفوى أي القرن العاشر الهجري فأن الحـديث يطول بنا كثيرا دون مبرر للإطالة، لأن صور القصة جميعها، تشبه ملامحهـا الرئيسية ملامح القصص التي سبق أن درسـناها أي قصـة الأسـكندر عنـد الفردوسي، والقصة النثرية التي اقتبس منها نظـامي، ومنظومـة اسـكندرنامه لنظامي، بكل ما حوته من حقائق وخرافات وأساطير، مركزة الأضـواء علـى ثلاثة جوانب من شخصية الأسكندر، هي جانب البطولـة، وجانـب الحكمـة، وجانب النبوة، كما سبق أن بينا، ومرددة ما قيل من أن الأسكندر إيرانـي الأب يوناني الأم، ومن أنه المقصود بذي القرنين المذكور في القرآن الكـريم، وأنـه التقى بالخضر ذلك العبد الصالح التي ذكرت قصته مع موسى عليه السلام، قبل ذكر ذي القرنين.

ولهذا فإنني سأكتفى بعرض سريع لثلاث صور من قصـة الأسـكندر ظهرت في الأدب الفارسي بعد عصر نظامي. أحداهما في القرن الثامن الهجري لأمير خسرو الدهلوى تحت عنوان (آئينه سكندري)، والثانية في القرن التاسـع الهجري لعبد الرحمن الجامي، تحت عنوان (خردنامه سكندري) وهمـا تقليـد لمنظومة اسكندرنامه لنظامي، لذا سيتضمن الفصل الأول الحديث عنهما معا، أما الثالثة فقد بعدت عن التقليد المطلق ولهذا استقلت بفصل مستقل لمنوجهر خـبان حكيم وذلك لمجرد بيان أن قصة الأسكندر لم تفقد سحرها، واهتمام الناس بهـا على مر العصور، لأن الناس في كل زمان يعجبون بالبطولة، ويولعون بـذكر الأبطال ورواية أخبارهم وتكرارها.

ونبدأ بعرض الصورة الأولى من هذه الصور الثلاث، ألا وهـــي قصـــة الأسكندر كما صورها الشاعر أمير خسرو الدهلوى.

الفصل الول

مقلد ونظامي

أولاً: قصة الأسكندر "أمير خسروالدهلوى":

كما سبق أن ذكرت أن أمير خهسروالدهلوى[402] من شعراء القرن الثامن الهجري، وأحد مقلدي نظامي الكنجوى، وقد نظم قصة الأسكندر تحت عنوان (آئينه سكندري) أي مرآه الأسكندر ضمن خمس منظومات تعرف بأسم (بنج مثنوى) [403] أي المثنويات الخمس تقليدا لنظامي.

وقد بدأ أمير خسروالدهلوى القصة بالطريقة التقليدية المعروفة عند الشعراء، يذكر الله وحمده والثناء عليه، ووصف بديع صنعه، وعظيم قدرته، وآياته في الآفاق، ثم مدح رسول الله "صلى الله عليه وسلم"، وتحدث عن أخلاقه وصفاته، وذكر اسراءه ومعراجه، ثم مدح السلطان، ودعا له بالنصر والتأييد، ثم أشار إلى نظام الشاعر نظامي الكنجوى لقصة الأسكندر، وتقليده له، واقتباسه منه[404].

ثم أخذ الشاعر بعرض أخبار الأسكندر، ويعرف بشخصيته، ويظهر أهم ملامح هذه الشخصية، فعرض في أبيات قليلة حياة الأسكندر منذ بدايتهما إلى نهايتها، منذ ورث ملك فيلقوس ببلاد اليونان، ثم فتح أنحاء العالم المختلفة، فتجلت بطولته ومهارته الحربية، ثم ما أعقب ذلك من اهتمامه بالعلم والحكمة، وجمعه الحكماء حوله، ثم خروجه للطواف في أرجاء العالم المختلفة لنصرة الحق والعدل، ثم انتهاء حياته وموته ودفنه، وبيان فناء الدنيا.

وأنا لا أجد داعيا لتكرار وقائع ذكرتها من قبل في قصص الأسكندر التي تناولتها بالدراسة والنقد، صحيح أن الصياغة الفنية تختلف بين قصة وأخرى، ولكن الوقائع واحدة في جوهرها، ولذلك أكتفي بالقول بأن أمير

---

(402) أمير خسرودهلوى: هو أحد شعراء إيران الكبار الذين عاشوا في الهند واتصل بحكامها ومدحهم، وقد توفى عام 725م، وقد توفى عام 725م، وانتاجه يشتمل على ديوان كبير يقع في خمسة أجزاء، وينج مشنوى التي نظمها تقليدا لمنظومات نظامي الخمس.

(403) المنظومات الخمس هي: مطلع الأنوار، شيرين وخسرو، مجنون وليلى، ائينه سكندري وهشت بهشت، وتقع آئينه سكندري في ألفي بيت شعر.

(404) أمير خسروالدهلوى: آئينه سكندري، مخطوطة موجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم (155 دب فارس طلعت)، ص 116..

خسروالدهلوى بدأ بتصوير الجانب البطولي في شخصية الأسكندر، فذكر جلوسه على العرش في بلاد اليونان بعد موت الملك فيلقوس، ثم إتجاهه شرقا لاسترداد ملكه في إيران، الّذي انتزعه منه أخوه دارا، ثم فتح الهند ثم غزا بلاد الترك، ثم توجه إلى بلاد العرب، وزار مكة والكعبة، ثم طاف حول العالم فدان له حكامه بالطاعة والولاء، وغنم أموالا طائلة، فتوفرت له جميع أسباب البطولة والعظمة.

وتأتي بعد ذلك مرحلة أخرى من مراحل حياة الأسكندر، ويظهر جانب آخر من جوانب شخصيته، ألا وهو جانب الحكمة، حين تتوق نفس الأسكندر إلى تعلم أنواع العلم والمعرفة، بعد تأكيد بطولته الحربية، وظهور مهارته بصورة أسطورية، فيأخذ في جمع العلماء والحكماء حوله، ويعمل على نشر العلم والحكمة في أنحاء العالم المختلفة فيجتمع حوله أشهر حكماء العالم، وفي مقدمتهم أرسطو وأفلاطون وسقراط بطريقة قصصية مثيرة دون تقيد بالزمان أو المكان، فيصبح الأسكندر بطلا أسطوريا يستطيع تخطي حواجز الزمان والمكان، ويفعل أي شيء خارق بحيث يصور بطولته في ميدان العلم والمعرفة والحكمة.

ثم يصور أمير خسرو الدهلوى بعد ذلك الجانب الثالث والأخير من جوانب شخصية الأسكندر النبي، الذي يظهر فيه في صورة ذي القرنين، فيطوف العالم غربا وشرقا لمحاربة الظلم والقضاء على الظالمين، ونصرة الحق، وتأييد المؤمنين، ونشر العدل في أنحاء العالم.

ومن أبرز أعماله بناء سد في المشرق للقضاء على عدوان يأجوج ومأجوج الذين كانوا مفسدين في الأرض، حيث كانوا يغيرون على جيرانهم، ينهبونهم ويسلبونهم أموالهم، وقد بنى الأسكندر هذا السد من الفولاذ حتى يكون متينا محكما لا ينهدم إلى يوم القيامة.

وهذا الجانب من شخصية الأسكندر حافل بالأعمال المثيرة التي ترويها قصص طريفة قصيرة[405].

([405]) المرجع السابق: ص 134 وما بعدها.

وقد ظل الأسكندر يواصل تجواله في أنحاء العالم المختلفة فلا يكتفي برفع الظلم عن المظلومين، ونشر العدل بين الناس، وأنما يذهب إلى كل مكان في سبيل تصحيح عقائد الناس ودفع الفاسد منها، حتى تنتصر دعوة الحق، ويستقر الإيمان والتوحيد في قلوب أهل الأرض أجمعين بحيث يوجد المجتمع الفاضل الذي يسوده العدل ولا يحتاج الناس فيه إلى حاكم يحكمهم أو قاض يفصل بينهم إذا اختلفوا لأنهم يعرفون حقوقهم وواجباتهم فلا مجال للتنازع بينهم.

وكما صورت القصة الأسكندر وهو يتقمص ثوب ذي القرنين يواصل تجواله في أنحاء العالم غربا حتى شاهد الشمس، وهي تغرب في عين حمئة، وشرقا حيث رأى كثيرا من العجائب التي تحكي كل واحدة منها في قصة قصيرة[406].

وتنتهي القصة بأن الأسكندر ظل يطوف البلاد، حتى بلغ غايته المنشودة، فوصل إلى مكان ليس عليه حاكم وليس فيه قاض، لأن العدل يرفرف على الجميع وكل واحد في هذا المكان يعرف ما له وما عليه، مما يجعل جميع الناس يعيشون في سلام وطمأنينة وسعادة[407].

وهنا شعر الأسكندر أن مهمته قد انتهت، وأيقن أن نهايته قد قربت، وأن ساعة منيته قد دنت، فسلك طريق العودة، ولكنه مرض أثناء الطريق، واشتد عليه المرض يوما بعد يوم[408]، حتى بلغ مدينة شهر زور فكان الحكماء قلقين عليه، لا يفارقونه لحظة من النهار أو الليل غير أن المنية أدركته فأسلم الروح وسط أتباعه وأحبابه، ثم بين للعلماء والحكماء دليلا على فناء الدنيا وعدم خلود أي إنسان، مهما بلغ من الجاه والسلطان، والعلم والمعرفة، لأن كل إنسان مصيره الزوال، فليس لأحد غير الله بقاء[409].

---

(406) المرجع السابق: ص 152.
(407) المرجع السابق: ص 155.
(408) المرجع السابق: ص 156.
(409) المرجع السابق: ص 157.

ويجدر بنا في هذا الموقف أن نذكر المشهد الأخير من القصة، الذي يصور نهاية الأسكندر، لأن فيه بيانا للحكمة، التي تحرص القصة على بيانها، حيث أظهرها الموت في أقوى صورها.

تقول القصة في هذا الشأن ما ترجمته:

"إن مانح الدر من كنز الكلام، قد أعطى بعض الجواهر من كنز الكلام، وأن جوهر التاج الأسكندري لما بلغ القمة من الرفعة واللمعان، صمم على الذهاب إلى الصحراء لينتقل منها إلى الصحراء الأخرى فبعد أن كان مسيطرا على العالم كله بما فيه من ماء ويابس، صار فجأة راغبا في الرحيل عن هذه الدنيا، وبعد أن كان طعامه في الحياة شهدا مكررا، أصبح يتجرع من هذه الدنيا سما، وكان الجميع ينتظرونه في مجلس الأنس والسرور، فطوى دوران الفلك ذلك البساط[410].

ثم أخذ الحكماء والعظماء يرثون الأسكندر، فذكروا عظمته وبطولته وحكمته وعلمه وإرشاده للناس، ويتحسرون على ذهابه من هذه الدنيا الفانية الغدارة، ونذكر رثاء أحدهم على سبيل المثال، يقول فيه:

در افشان اين كنجدان كهن		جنين داد كهر زكنج سخن
كه جون كهر برتاج اسكندري		زدريا بر آمد بنيك اختری
ازانجا بصحرا علم بركشيد		زصحرا بصحراء ديكر كشيد
قدم تا بود برسر خاك واب		نكه آب وخاكش برفتن شتاب
در ان روز كز جاشنها مكرر		شد آموز شربت او بزمر
همه منتظر بهر عيش ونشاط		كه دور فلك درنوشت آن بساط

(410) المرجع السابق: ص 157:

"أنظر ماذا حمل معه من كل كنوز العالم التي جمعها[411].

ثم تبين القصة أن الإنسان لا تنفعه إلا أعماله الصالحة، فهذه الأعمال هي التي سيذكرها الناس بعد رحيله من هذه الدنيا، فتكون حياة لصاحبها، يعيش بواسطتها بين الناس، فتذكر دائما أفعاله وخصاله، وتبقى أعماله، ويصبح ذكره بالخير على ألسنة الناس، تقول القصة في ذلك:

"إن ذكر الناس له بالخير علامة طيبة، وهو الأثر الذي يتركه الغيب على صفحة الأرض"[412].

وتختتم القصة الحديث عن الأسكندر مبينة أن مثله لن يّموات أبدا، لأن ذكره سيظل خالدا، ولأن اسمه سيظل باقيا، لأنه ترك من الأعمال الجليلة ما يكفي لتخليد ذكره، وبقاء اسمه، وتذكير الناس به إلى يوم القيامة، تقول:

"لن يموت من ترك ذكرا طيبا، وحمل من الدنيا اسما حسنا، فالرجل ذو الاسم الحسن لا يموت أبدا"[413].

وبهذا تكون هذ القصة قد انتهت، والواضح بعد دراستها، أنها كانت تقليدا لمنظومة نظامي (اسكندرنامه) ولكن بصورة موجزة، وهذا دليل على مدى تعلق الناس بشخصية الأسكندر، مما شجع الشعراء على إعادة نظمها استجابة لرغبتهم، وإرضاء لأذواقهم.

---

(411) نفس المرجع ونفس الصفحة:

ازآن كنج كز روى عالم سترد		نكرتا سرانجام باخود جاء برد

(412) المرجع السابق: ص 158:

زبان خير مردم رمزيست پاك		رقم كرده غيب بر لوح خاك

(413) المرجع السابق: ص 160:

نمرد آنكس كز جهان نام برد		ركه مرد نكونام هركز نمرد

ولنبدأ في دراسة منظومة عبد الرحمن الجامي (خردنامــه ســكندري)، لنقف على أهم ملامحها ولنتبين إلى أي حد كان مقلدا لنظامي الكنجوى.

ثانياً: قصة الأسكندر عند عبد الرحمن جامى:

عبد الرحمن جامى[414] هو أحد شعراء القرن التاسع الهجري المشهورين الذي قلدوا نظامي الكنجوى فقد قام بنظم قصة الأسكندر في منظومة تحت عنوان (خردنامه سكندري) أي حكمة الأسكندر، وهذه المنظومة أحدى سبع منظومات باسم (هفت اورنكَ) [415] أي التيجان السبعة.

وقد بدأ الجامى منظومته، بمقدمة تقليدية في حمد الله والثناء عليه، والضراعة إليه أن يغفر له الذنوب، ويحقق الرغبات، ثم أثنى على الرسول "صلى الله عليه وسلم"، وعرف بالقصة التي ينظمها، وقبل أن يبدأ الجامى في نظم أحداث القصة، سرد لنا أعمال الأسكندر البطولية بصورة موجزة تحت عنوان: "قصة فتح الأسكندر للعالم وتعميره للمدن واختراعه للأعمال على سبيل الإيجاز"[416].

ثم بدأ الجامى القصة بذكر توجه الأسكندر إلى المغرب، حيث بلغ مغرب الشمس، ثم اتجه بعد ذلك إلى المشرق، حيث قاتل دارا، لأخذ الثأر منه، يقول:

"وقاد الجيش من هناك صوب دارا لأخذ الثأر منه صراحة"[417].

([414]) عبد الرحمن الجامى: هو نور الدين عبد الرحمن جامى، أحد شعراء الصوفية المشهورين في إيران، عاش في العصر التيموري، له إنتاج غزير منظوم ومنثور ففي النظم له ديوان كبير، وهفت اورنك التي نظمها مقلدا لنظامي، أما في النثر فله بعض الكتب في موضوعات مختلفة وهي نقد النصوص، نفحات الأنس ولوايح اللوامع، وشواهد النبوة، أشعة اللمعات، بهارستان، بالإضافة إلى بعض الرسائل في موضوعات شتى، وقد توفى جامى عام 898هـ.

([415]) المنظومات السبع هي: سلسلة الذهب، سلامان وابسال، تحفة الأحرار، سبحة الأبرار يوسف وزليخا، ليلى ومجنون، خردنامة سكندري. ويبلغ عدد أبياتها 1889 بيت من الشعر.

([416]) عبد الرحمن الجامى: خردنامه سكندري، مخطوطة موجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم 21 تصوف فارسي.

وقد صرح بهذا العنوان ص 15 "داستان جهانكيرى أسكندر وعمارت شهرهاو اختراع كارهاى وى برسبيل اجمال".

([417]) المرجع السابق: ص 15:

وتمضي القصة مصورة بطولة الأسكندر ومبينة أنه استطاع السيطرة على جميع أرجاء العالم بواسطة غزواته العديدة التي قادها، وحروبه الكثيرة التي خاضها، وانتصر فيها جميعا، فكان النصر حليفه حيثما ذهب في كل مكان.

ثم تردد القصة ما سبق أن ذكر نظامي الكنجوى، من أن الأسكندر بعد أن حقق انتصارات باهرة، وتغلب على الحكام والملوك، وصار ملك العالم دون منازع، أخذ يشجع العلم، ويميل إلى الحكمة، ويجمع حوله الحكماء المعروفين، فاجتمع حوله أرسطو وسقراط، وأفلاطون وفيثاغورس واسقلينوس وهرمس وبليناس، ثم أخذ الأسكندر يتحدث مع هؤلاء الحكماء المشهورين، ويناقشهم في الخلق والكون، وفي الحياة والموت، وفي الوجود والفناء، ويتدبر معهم حكمة الخالق عز وجل، وبديع صنعه، وأحاطته سبحانه بكل صغيرة وكبيرة.

وتذكر القصة كذلك أن أرسطو كان أستاذ الأسكندر، الذي علمه من البداية وأعطاه كل ما لديه من علم وحكمة، فقد ورد فيها ما ترجمته:

"لقد سلمه أرسطو الذي كان أستاذه كل ما لديه من ثروة علمية"[418].

والواضح هنا أن صورة الأسكندر التي رسمها الجامى، لا تختلف في ملامحها الرئيسية عن صورته عند نظامي الكنجوى، مما يدل على أن الجامى كان يقلد ما قام به نظامي، ويحاول إعادة نظم القصة بصورة مثيرة، فقد جمع هنا سبعة حكماء حول الأسكندر، لم يعيشوا في عصر واحد، كما بينا عند دراستنا للقصة التي عرضها نظامي، دون النظر إلى صحتها من التاريخية والواقعية.

از انجا سبه سوى دارا كشيد		وزوكين خود بى مدارا كشيد

(418) المرجع السابق: ص 18:

ارسطو كش استاد تعليم بود		بد ونقد خود كرد تسليم بود

وتستمر القصة في الحديث عن حكمة الأسكندر، فتذكر أن أخبار حكمته قد بلغت جميع أرجاء العالم المختلفة، بحيث أصبح حكام العالم أجمع يعترفون به حكيما، مثلما اعترفوا به من قبل بطلا حربيا[419].

كما ذكرت القصة أيضا أن الأسكندر برغم شهرته في ميدان الحكمة كان يعترف بالفضل لأستاذه أرسطو، ويستأنس برأيه، بواسطة المراسلة إذا كان بعيدا عنه، تقول القصة:

"كتب الأسكندر إلى أرسطو قائلا: أيها الأستاذ المبارك الحسن السيرة، أن قلبي لوح لقلم تعليمك، ورأسي ميدان لتعظيمك، وأنا بدونك ياجوهر السرور، بعيد عن منبع الحكمة"[420].

ثم تذكر القصة أن الأسكندر واصل تجواله في العالم بصفته حكيما، يحب العلم والحكمة، ويحرص على توجيه النصح والإرشاد، والنطق بالحكمة والموعظة الحسنة، ويسعى إلى مقابلة العلماء والحكماء، ويستمر في تجواله وطوافه بأنحاء العالم المختلفة، حتى تتحقق له الغاية التي كان ينشدها، ألا وهي الوصول إلى المدينة الفاضلة التي يسكنها قوم فضلاء، لا يقولون كلاما عبثا، ويمسكون عن فعل السوء قولا وفعلا، فهم لا يبحثون مطلقا عن العمل السيء، ولا يسعون إلى شيء فيه ضرر، وانما يتجهون دائما إلى الأعمال الطيبة والأفعال الحسنة، وليس بينهم فقير، وليس عليهم سلطان أو أمير، فقد قسموا الأموال بينهم بالتساوي، فتساوى نصيب كل فرد فيهم مع نصيب غيره، وهم لا

(419) المرجع السابق 19- 20.
(420) المرجع السابق: ص 20:

سكندر بسوى أرسطو نوشت		كه اى فرخ استاد نيكو سرشت
دلم تخته كلك تعليم تست		سرم خاك ميدان تعظيم تست
مم بى توای كهر سور وسرور		زسر جشمه حكمت إفتاده دور

يخشون قحطا ولا بؤساء، ولا يخشون أن تقوم حرب بينهم تعكر صفو السلام الذي يظللهم"[421].

وهذه المدينة التي وصل إليها الأسكندر، كانت الهدف المنشود بالنسبة إليه، والغاية التي يسعى إليها، وبعد ذلك ركب الأسكندر البحر، وسار فيه حتى وصل إلى جبل قاف، ولقى الملك الموكل بهذا الجبل، وطلب النصح منه[422].

وأخذ الأسكندر بعد ذلك يسلك طريق النهاية، فاكتفى بما قام به من أسفار، وبدأ العودة إل بلاده، وبينما هو راكب في السفينة، كادت السفينة أن تغرق، نتيجة لعواصف هوجاء لولا مساعدة أرسطو، فترك ركوب البحر، وسلك طريقه في البر، وأخذ يدعو الناس في كل مكان ينزل فيه إلى الحق والعدل، حتى بلغ شهرزور، فأصابه المرض وأحسن بدنو أجله، فاجتمع الحكماء من حوله، فأخذ يناقشهم في الموت ودلالته، ويضرب المثل بنفسه، وكيف أنه ملك العالم، وطاف في أرجائه، وظفر بكثير من أمواله وخيراته، ثم هو بعد هذا كله

([421]) المرجع السابق: ص 25:

سكندر جو ميكشت كَرد جهان		خبر برس هر أشكار ونهان
در أثناى فتن بشهرى رسيد		در آن شهر قومى بسند بده ديد
زكَفتار بيهوده بها خموش		فروبستته ازناسزا جشم وكَوش=
=نجسته ببد هر كَز آزار هم		بهر كار نيكو روكار هم
نه زايشان توانكَر كربى فقير		برايشان نه سلطان كس نه امير
برابر بهم قسمت شان مال شان		موافق بهم صورت مال شان
نه ازمحنت قحط شان سال تنكَ		نه برصفحه صلح شان خوف جنكَ

([422]) المرجع السابق: ص 17.

يغادر الحياة، لا يحمل من متاعها شيئا، فلا تكون في يده سوى حفنة من التراب.

وأخيرا يلفظ الأسكندر أنفاسه الأخيرة، فيحزن عليه الحكماء ويرثونه واحدا واحدا، وتعلم أسبوفاته، فتحزن عليه وترثيه.

ويقوم الحكماء بالترتيبات اللازمة لدفن الأسكندر حسب وصيته، فيضعون جسمه في تابوت، ويجعلون يده اليمنى خارج التابوت، ويضعون في كفه قدرا كبيرا من التراب، دليلا على فناء الدنيا.

ثم أخذ الحكماء السبعة يشيدون بمناقب الأسكندر، ويطنبون في رثائه، وبخاصة أرسطو أستاذه، الذي كان يعتز به، ويستمع إلى نصحه طوال أيام حياته[423].

وبذلك تكون منظومة خردنامه سكندري قد بلغت نهايتها، والملاحظ أن عبد الرحمن الجامي قد اقتصر في الصورة التي رسمها للأسكندر على تجسيم حكمة الأسكندر، ودمج جانب الحكمة بجانب النبوة، فلم يفصل بين الجانبين كما فعل نظامي الكنجوي، ولم يجعل الحكمة مرحلة يسلكها الأسكندر، أو درجة يصل إليها، قبل أن يبلغ درجة النبوة والرسالة، فقد وصل الأسكندر وهو حكيم إلى ما وصل إليه وهو نبي مرسل مكلف بالتجوال في أنحاء العالم المختلفة، وعاد بعد أن بلغ الغاية بالوصول إلى المدينة الفاضلة التي يعيش أهلها في سعادة وطمأنينة، نتيجة لتطبيق العدل والمساواة بينهم، فلا يحتاجون إلى من يحكم بينهم، أو يفصل في مشاكلهم.

وبرغم أن قصة عبد الرحمن الجامي قصيرة موجزة، إذا ما قورنت بقصة نظامي الكنجوي، فعدد أبياتها لا يزيد على ربع عدد أبيات قصة نظامي التي نظمها من قبل، إلا أنها قد عرضت جميع ملامح الأسكندر التي اشتهر بها، ومن أهمها أنه ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم، وأنه كان بطلا مظفرا وملكا فاتحا، ثم صار حكيما، اعترف العالم كله بحكمته، فخرج يطوف العالم،

([423]) المرجع السابق: ص 38- 40.

وينصح الناس إلى الحق والعدل، حتى قضى نحبه ضاربا أروح مثل لفناء الدنيا وزاولها.

ولنبدأ الآن في دراسة قصة الأسكندر عند منوجهرخان، لنقف على أهم ملامحها ولنتبين كيفية معالجته لها.

الفصل الثاني

قصة الأسكندر عند منوجهرخان

الأسكندر كما صورته قصة
(اسكندرنامه)

تمهيـــد:

مؤلف هذه القصة (اسكندرنامه) النثرية هو منوجهرخان(424) حكيم أحد كتاب القرن العاشر الهجري، والمعاصرين للدولة الصفوية، التى حكمت إيران من (906- 1148هـ) وقد ألفها في سبعة أجزاء، كلها في الحديث عن بطولات الأسكندر الباهرة الخارقة.

وفي الحقيقة هذه القصة أشبه بالأساطير الشعبية، فهي عبارة عن قصص أسطورية مثيرة لا تتقيد بزمان أو مكان، فقد صور مؤلفها الأسكندر بطلا أسطوريا يستطيع تخطي حواجز الزمان والمكان، وفعل أي شيء، والقيام بالخوارق من الأعمال التي تصور بطولته في كل جانب من جوانب الحياة، سواء أكان ذلك في ميدان الحرب والقتال أم ميدان العلم والمعرفة والحكمة، أم ميدان السحر والشعوذة، إلى آخره من الميادين المختلفة، وهذا ما سيتضح فيما يلي:

الجزء الأول:

تذكر القصة منذ بدايتها أن الأسكندر هو ذو القرنين وأنه فارسي الأب يوناني الأم كما ذكر الفردوسي في الشاهنامه، وأنه فكر في الفتح والسيطرة فور وصوله سن البلوغ، فاتجه إلى إيران، لاعتقاده بأن فتحها يعد فتح الدنيا كلها، تقول:

---

(424) لم أعثر في المراجع على معلومات عن منوجهرخانم حكيم وتفيد في التعريف به وبحياته ولكن كل ما ذكرته المراجع أنه مؤلف قصة أسكندرنامه التي تقع في سبعة أجزاء وأنه من معاصري العصر الصفوى.

"حين بلغ الأسكندر حد البلوغ، راوده خيال فتح العالم، وقال في نفسه: لو فتحت مملكة الإيرانيين، فكأنما سيطرت على جميع أطراف الربع المسكون"[425].

وتمضي القصة فتصور غزو الأسكندر لإيران، وانتصاره على أخيه داراب الثالث[426]، وقد كان يصطحب معه في هذه الغزوة الحكماء والفلاسفة، وفي مقدمتهم سقراط وأفلاطون وأرسطو ويستشيرهم في مختلف الأمور.

وقد تمكن الأسكندر بعد مصرع داراب الثالث من الجلوس على العرش، واستطاع الاستيلاء على قصر جشميد، بعد إبطال مفعول الطلسم الموجود فيه[427]، وبذلك استتب له الأمر، وأخذ يسيطر على سائر أرجاء إيران، ويقضي على من يقف في طريقه، فحارب بلخى شاه[428]، وتمكن من القضاء على خططه وحيله والانتصار عليه.

ويخلط مؤلف القصة منوجهرخان حكيم الوقائع الحربية التي انتصر فيها الأسكندر بالقصص التي تبين مهارته الحربية وقدرته الخارقة على أبطال سحر السحرة، والتغلب على الصعاب المختلفة، مستعملا في ذلك أسلب المحاورة، فيذكر أن الأسكندر انتصر في حروبه مع الشياطين في مازندران، بعد أن نجح في تسخير الريح، وجعلها سلاحا يحارب به أعداؤه، ويكتشف به مواقعهم[429].

وبدخول الأسكندر مازندران ينتهي الجزء الأول من القصة، والواضح في هذا الجزء أن منوجهرخان حكيم كان يهدف إلى الإثارة والتشويق لايهمه تحرى دقة الوقائع وصحتها، بقدر ما يهمه أن تكون مثيرة دالة على بطولة الأسكندر، وكانت نتيجة ذلك أن اختلطت الحقائق التاريخية بالخرافات

---

(425) منوجهرخان حكيم: كليات هفت جلدى اسكندرنامه، طبع إيران، ص1، جون أسكندر ذو القرنين بحد بلوغ رسيد، خيال كشور كشائي در سرش افتاد، باخود انديشيد، اكر فاتح مملكت إيرانيان شوم تمام ربع مسكون را مسخر ميشوم.

(426) المرجع السابق: ص 2-3.

(427) المرجع السابق: ص 6 وما بعدها.

(428) بلغى شاه: شخصية وهمية.

(429) المرجع السابق: ص 29- 38.

والأساطير، لتصور لنا الأسكندر بطلا أسطوريا، لا حدود لمهاراته، وليس لأحد أو لشيء قدرة على الوقوف في وجهه أو التصدي له، بشكل لا يتفق مع العقل والمنطق.

الجزء الثاني:

ويبدأ الجزء الثاني بمواصلة الأسكندر السير حتى تبريز، ويصور هنا المؤلف أعمالا عجيبة، فيقول أن الأسكندر في أثاء زحفه إلى تبريزه كان يقاتل كل ما يقابله في طريقه، ويتغلب عليه عن طريق تسخيره للريح وتحدثه معها، وأبطاله مفعول السحر، ومخاطبة الجبال، وإصدار أوامره للإنس والجن، وقدرته على الوصول إلى أي مكان في سرعة مذهلة، وبهذه الطريقة توجه من تبريز إلى كردستان، وقد صوره منوجهرخان هنا كسيدنا سليمان عليه السلام، فقد استطاع أن يعامل ملكة كردستان الساحرة، كما عامل سيدنا سليمان بلقيس ملكة سبأ، فأظهر لها قوته الخارقة، حتى أذعنت له، ثم توجه إلى مكة داعية من دعاة الإسلام، يدعو الناس إلى الدخول في الإسلام، دين الله الحق(430).

والقصة في هذا الجزء مليئة بأحداث ووقائع لا صلة لها بعصر الأسكندر، لأن من المسلم به أنه عاش قبل الإسلام، فلا صلة له بوقائع حدثت في العصور الإسلامية، ولكن المؤلف كما سبق أن ذكرت، لا تهمه الدقة التاريخية بقدر ما تهمه الإثارة وإظهار الأسكندر بطل من أبطال الأساطير الذين لا تقف في وجوههم حواجز المان أو المكان، فالأسكندر يستطيع أن يتخطى القرون، وأن يلتقي بمن يريد من السابقين عليه أو اللاحقين(431).

وقد واصل الأسكندر زحفه في أقاليم إيران، فذهب إلى شيراز، وكان معه أرسطو الذي أسره في الطريق أحد قطاع الطرق، وكان اسمه (كهنك العدني)، واستطاع الأسكندر أن يخلصه من الأسر، بعد سيطرته على الأنس والجن وإرسالهم إليه(432).

---

(430) المرجع السابق: ص 40 وما بعدها.

(431) المرجع السابق: ص 45.

(432) المرجع السابق: ص 55- 60.

وتمضي أحداث القصة بعد ذلك بشكل ليس فيه ترابط في المكــان، ولا تناسق في أسماء الأشخاص الذين يرد ذكرهم في الأحــداث، فبعضــها أســماء إسلامية، ليس من الضروري أن يكون أصحابها لهم وجود حقيقي، وانما أوردها المؤلف من أجل الإثارة والتشويق، فهو يذكر أن الأسكندر سيطر بعد ذلك على عدن بحيطه وحذر، ثم توجه إلى فرخ سيستان، على رأس اثنــى عشــر الــف فارس، لتعقب أم فرهنك، أحد الكفار الذي كان قد ثاروا ضده.

وترك قيادة الجيش لأمير عبد الحميد والوس[433].

ويبدو أن الناس في عصر المؤلف كانوا مولعين بأعمال السحر والسحرة فقد حرص مؤلف القصة على الاكثار من ذكر بعض الأكسندر لأعمال السحرة، ونجاحة في أبطال سحرهم، فقد ظل الأسكندر في هذه المرحلة منذ توجهه إلــى فرخ سيستانت يقضي على أعمال السحرة الواحد في أثر الآخر، حتى تمكن من إحباط مؤامرتهم، وكان يستعين بأرسطو في أبطال السحر، واخضاع الســحرة، وبذلك ينتهي الجزء الثاني من القصة.

الجزء الثالث:

اتخذ المؤلف للأسكندر في هذا الجزء لونا جديدا، إذ صوره نبيا مكلفــا برسالة، يهدي الناس إلى الدين الحق، فيذكر أن الأسكندر خــرج عــن عــدن، وتوجه إلى اليمن، ثم واصل سيره بعد ذلك صوب تبريزه ثم اتجــه بعــد ذلــك صوب الغرب، ثم تابع الأسكندر سيره، حتى بلغ جبل العقيــق، وكــان يتعقــب حاكما ظالما اسمه (صياد خان الخطائى)، فوصل في أثناء ذلك إلى الغار الــذي يقيم فيه أصحاب الكهف، ثم أصبح نبيا وكلف برسالة، وبدأ يتنقل إلى المنــاطق المختلفة في صورة نبى مرسل من قبل الله تعالى، لنصرة الحق ونشــر العــدل والقضاء على الظلم والظالمين.

ويصور لنا المؤلف الأسكندر في صورة ملك مسلم مؤمن موحد بــالله، كان جديرا بالنبوة وحمل الرسالة السماوية لتقواه وورعه فيقول: "نظر الأسكندر

(433) المرجع السابق: ص 75.

في تلك الصحراء، فأبصر عين ماء تخرج من غار، فدخل الغار وتوضأ وأدى صلاة الصبح، فلما رفع رأسه من السجود، وصلت غمامة سوداء، وقالت للأسكندر: أن هناك بشرى لك، لقد أبطلنا السحر، ومنحناك النبوة، فاطلب أي شيء تريده في هذا المكان، فإنه سيستجاب، ثم قالت للأسكندر: إرفع الحجر الفلاني، فأنه سينفعك كثيرا. فلما رفع الأسكندر الحجر، وجد لوحا من الحجر مكتوبا عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم جاءت غمامة أخرى، وقالت للأسكندر: أيها الأسكندر، اترك دنيا الكفر، حتى نجعلك نور العالم، وتتخلص من الظلمة، فحصل اليقين للأسكندر، بأنه قد تشرف بالنبوة، وغلبه البكاء من شدة السرور، ثم عكف على العبادة في الغار(434).

وبعد أن تحدث المؤلف عن الأسكندر كنبي ورسول يدعو إلى الإسلام دين الله الحق، انتقل إلى الحديث عن قتاله من أجل نصرة هذا الدين والقضاء على أعداء الإسلام، فذكر أنه قاتل الزنوج وانتصر عليهم، وقاتل (افراسياب البدخشانى) الذي حشد مائة ألف جندي مرة واحدة وهاجم بهم جيش الإسلام الذي كان بقيادته، وحقق النصر عليه(435)، ثم واصل الأسكندر قتال أعداء الإسلام، فقاتل (مرجاه شاه)(436) وانتصر عليه، ثم توجه إلى (سلسال خان) (437) خاكم الخطاء، وتغلب عليه.

---

(434) المرجع السابق: ص 85- 86:
النص: اسكندر در آن بيابان نكاه كرد جشمه آبى ديدكه ازميان غارى بيرون مى آيد داخل آن غارشد وضوساخته نماز صبح را ادا نمودجون سر ازسجده برداشت سبباه بوشى رسيد كفت اسكندر مزده بادتوراكه جادورا برطوف كرديم وبيغمبرى بتوداديم دراين مكان بطلب هو مطلبي كه داري مستجاب خواهد شد وباز كفت اسكندر فلانه سنكَ ار بر داركه دربسيار جا بكار تومى آيد اسكندر جون سنكرا برداشت ديدكه لوحى است از سنكَ وبرا ونوشته بود لا إله إلا الله محمد رسول الله وباز سياه بوش دينكر رسيد كفت كه اى اسكندر دنيا راكفر فرو كَرفته ازجهت همين ترا شمع عالم كرديم كه از ظلمت باك سازى اسكندر يقينش حاصلشد كه به بيغمبرى سرافراز كرديده استاز شدت شادى كَريه براو غلبه كرد بس درغار بعيادت مشغول شد.

(435) المرجع السابق: ص 91.

(436) المرجع السابق: ص 102.

(437) المرجع السابق: ص 110- 119.

وهكذا يمضي المؤلف مصورا حروب الأسكندر الرسول المختار هو وجنوده من أجل نصرة الإسلام. وهو ينتقل من نصر إلى نصر، يؤكد مهارته وبطولته، ونصرة الله له، حتى بلغ الأسكندر التركستان، وكان في أثناء سيرة يواجه السحرة، ويقضي على سحرهم، ويخلص أتباعه من شرهم، ويأتي بأعمال عجيبة[438].

وقد استغرقت تحركات الأسكندر على حدود التركستان بقية الجزء الثالث من القصة، كما تضمن بعضَ الأحداث، كقصة ذهاب فريدون الثاني أحد رجال الأسكندر إلى ناجكن، وحربه ضد افراسياب، واصابته بجروح[439].

والواضح هنا أن المؤلف يهدف إلى تأكيد قدرة الأسكندر على الخوارق من الأعمال، وبخاصة بعد أن أصبح نبيا ورسولا من رسل الحق، لنصرة الإسلام، كما أن تلك الأحداث كسابقتها تروى بطريقة أسطورية تهدف إلى الإثارة وتجسيم بطولة الأسكندر، دون الاهتمام بصحة الوقائع التي تتضمنها.

الجزء الرابع:

ويشمل الجزء الرابع ذهاب الأسكندر إلى بلاد الخطا، وحروبه مع الكفار، الذين كانوا يستعينون بالسحرة مثل الساحرة شمامة، وقد استطاع السحرة أن يوجد وا غشاوة على أبصار الأسكندر وقواده، ولكن الأسكندر نجح في أبطال السحر والقضاء على السحرة، والقبض على الساحرة شمامة وقتلها، وبذلك انتصر الإسلام وعز أبطاله، واندحر الكفر ورجاله[440].

ثم تأتي قصة الحرب التي قامت بين طغماج بن سلسال الكافر وفريدون أحد رجال الأسكندر، وانتصار جيش الإسلام، وأسر طغماج، ثم دخوله الإسلام هو ورجاله وانضمامهم إلى جيش الأسكندر[441].

---

(438) المرجع السابق: ص 120 وما بعدها.
(439) المرجع السابق: ص 122- 128.
(440) المرجع السابق: ص 130- 135.
(441) المرجع السابق: ص 136- 136.

وتروى بعد ذلك قصة توجه أحد الأسكندر وأسمه (مهترنسيم) إلى افراسياب، ودخوله في حوزة ابليس وتمكنه من التغلب على ابليس وسلبه شيئا من صندوقه[442].

ثم تأتي بعد ذلك قصة الأسكندر مع ساحرة تسمى دمامة، تمكنت هذه الساحرة من حمله إلى الغار، الذي يوجد فيه افراسياب، ولكنه نجح في التغلب عليها، وأبطال سحرها، وإظهار بطولاته ومعجزاته[443].

ويروي المؤلف بعد ذلك قصصا أخرى شبيهة بهذه القصة، تبدأ بقصة ملكة زابلستان (كَيسيابانو) [444] وكيف نجا الأسكندر ورجاله من غار افراسياب بمساعدتها، ثم قصة الأسكندر مع شمسة، بعد قيامها بقتل أبيها مالوت شاه، ولجوئها إليه[445].

وترد بعد ذلك قصة الأسكندر مع سلسال خان الذي تمكن من الوصول إلى جبل قاف، واجلاس شيطان على العرى بدلا الأسكندر، وذكر كيف تمكن الأسكندر من التغلب على سلسال خان، والجلوس على عرشه بمساعده كَيسيابانو [446].

وبهذه القصة ينتهيالجزء الرابع الذي امتلأ بالأحداث الخيالية، كان الهدف منها إبراز بطولة الأسكندر الخارقة أثناء مدة نبوته، وقتاله من أجل نصرة الإسلام.

الجزء الخامس:

ويبدأ هذا الجزء بالحديث عن جيش الإسلام وأعماله البطولية بقيادة الأسكندر، لنصرة أنصار الإسلام، ومحاربة أئمة الكفر والانتصار عليهم،

---

(442) المرجع السابق: ص 136- 142.

(443) المرجع السابق: ص 142- 144.

(444) المرجع السابق: ص 144- 149.

(445) المرجع السابق: ص 149- 153.

(446) المرجع السابق: ص 153- 162.

ومهارته في أبطال سحر ساحرة ماهرة اســمها مرجانــة، وتصــوير حــرب الأسكندر ضد سلسال(447).

وقد استمر الأسكندر في مطاردة الكفار، حتى وصل إلى بــلاد الهنــد، حيث يوجد قبر آدم عليه السلام، فتاقت نفسه إلى زيارة القبر، فاســتدعى أحــد رجاله ويدعى نسيم، ولبس زى أهل الهند، وتوجه لزيارة القبر، فلما وصلا إليه، ترجل الأسكندر ملك العالم، ودخل فيه، فلما أبصره خادم القبــر، تقــدم وتهيــأ لخدمته، فأعطاه الأسكندر خمسمائة دينار له، وطلب منه أن يفتح الباب الذي في مدخل القبر، ليدخل ويطوف حول القبر، وبعد أن قام الأسكندر بالطواف والدعاء حسب الأصول المرعية، جلس أسفل رجل آدم، ودعا بما يريد، ومسح وجهه في التراب تعبيرا عن العجز، وتضرع إلى آدم طالبا من التأييد والعون في مواجهة ملوك الهند، وفي تلك الأثناء غلب النوم على الأسكندر، فنام فرأى فــي المنــام ملكا نورانيا يبدو أمامه، يبشره بأنه سينتصر على ملوك العالم جميعا قائلا: يــا ملك الأقاليم السبعة، لا تجعل للقلق والاضطراب سبيلا إلى نفسك، لأن لطف الله تعالى سيكون دائما قرينا لك، وستكون دائما مظفرا ومنصورا على الأعداء، ثم قال له: أيها الأسكندر: "قم من مكانك، فقام الأسكندر من مكانه، ففك آدم حــزام وسطه، وأعاد شد وسطه بيده المباركة، ثم فتح كف الأسكندر، ووضع فيه شيئا، وضم أصابعه ليحكم قبضته عليه، وقال: أيها الأسكندر افهم معنى هذه الإشــارة وهي أن رب العالم قد وضع زمام اختيار الدنيا في قبضة تصرفك"(448).

وقد أورد المؤلف هذه القصة لبيان قدر الأسكندر، في أنه قد حظى بتأييد الله ونصره، وأنه سيحكم العالم كله، ويبدو أن المؤلف في القصة قد تأثر بقصــة

(447) المرجع السابق: ص 164 وما بعدها.

(448) المرجع السابق: ص 174:

النص: فرمود ايشاه هفت كشور هيج دغدغه بخاطر مرسان كه درهمه حال لطف ايزد متعال قرين وهميشه بر دشمنان مظفر ومنصور خواهى بودبس كفت اى أسكندر ازجاى بر خيز أسكندر بر خواست آنحضرت كمرداواكشود وباز بدست مبارك خودبست بــس دست اسكندررا كشوده جيزى دركف دست اونهاده ومشتش را بــرهم نهــاد كفــت اى اسكندر معنى اين اشاره را دریاب یعنی كه حضرت برورد كار عــالم زمــام اختيــار جهان را قبضه تصرف تونهاده.

زيارة الأسكندر لقبر آدم والتي وردت في القصة النثرية التي الفت قبل نظامي حتى يظهر بطولة الأسكندر للقارئ في أقوى صورها.

وينتهي هذا الجزء بقصص تتعلق بأحداث جانبيه، تقع في أثناء تجوال الأسكندر، منها اضطراره إلى الاشتباك في حُرب ضد الحيات والثعابين(449)، وإرساله بعض أتباعه لقتال أعداء الإسلام، ودخول بعض الأعداء في الإسلام، ومشاركتهم في الجهاد لنصرته(450)، هذا بالإضافة إلى انضمام ملوك الهند والصين تحت لوائه، فصار مطاعا في كل مكان(451).

الجزء السادس:

وهذا الجزء كبقية الأجزاء الخمسة السابقة، يتضمن قصصا أسطورية بعيدة عن العقل والمنطق، وهو يبدأ بذكر أن الأسكندر كان يعاصر مزدك أحد أصحاب المذاهب في إيران قبل الإسلام في العصر الساساني، وقد دعا الناس إلى (الشيوعية) في الأموال والنساء، وقد استطاع الأسكندر القبض عليه وأسره، وقد نجح أحد أتباع مزدك، ويدعي (شرار) في دخول معسكر جيش الإسلام، وتخليص مزدك من الأسر، والهرب به، غير أن أحد رجال الأسكندر، واسمه (برق) اقتفى أثر مزدك وخاطفيه في محاولة لاعادته إلى الأسر، لكنه وق هو في قبضة مزدك، لولا أن أسرع أبنه طيفور، وانقذ والده من أسر مزدك ورجاله(452).

ثم تأتي بعد ذلك قصة جمشيد بن افريدون، وهو من أعداء الأسكندر وجيش الإسلام، وتبين القصة كيفية وقوف (زلازل) أحد رجال الأسكندر وفي وجه جمشيد هذا، مما جعله يرتكب أعمالا خسيسه ضد رجال جيش الإسلام، فأسرع الأسكندر بقمعه(453).

---

(449) المرجع السابق: ص 179

(450) المرجع السابق: ص 184.

(451) المرجع السابق: ص 188 وما بعدها.

(452) المرجع السابق: ص 196- 199.

(453) المرجع السابق: ص 201- 222.

وترد بعد ذلك قصة عشق (لندهور) ابن عم الأسكندر لابنة مرجان شاه واسمها (سوسن بانو)، حتى ظفر بالزواج منها[454].

ثم تأتي قصة هجوم (نهنك المغربي) أحد قـواد الكفـار علـى جـيش الإسلام، وتصوير فشل هذا الهجوم، وانتصار جيش الإسـلام، وإصـابة هـذا المعتدي الغادر بجرح، مما جعله عبرة لغيره من المعتدين[455].

وترد بعد ذلك قصة قضاء الأسكندر وجنوده على عد وآخـر للإسـلام وهو (طهماسب ابن عنقويل)، والقضاء عليه وقتله شر قتله[456].

وتلي هذه القصة قصة اشتباك الأسكندر في حرب ضد (كشـواد) أحـد قواد الكفار وانتصّاره عليه، وقتله في النهاية، وقد اشترك في الحرب أفلاطـون وغيره من أتباع الأسكندر[457].

وترد بعدها قصة حرب الأسكندر ضد خاورشاه المغربي الذي أكثر من الظلم والفساد، ولكن جيش الأسكندر عزز نصره السابق، وقضى على خاورشاه المغربي وقتله[458].

واشتبك الأسكندر بعد ذلك في حروب ضد الظلمة والمتمردين، وكـان النصر حليفه في هذه الاشتباكات.

وتذكر القصة أن الأسكندر توجه بعد ذلك إلى جنة عدن هـو ورفاقـه، وكان أرشده إلى الطريق إليها أحد أتباعه، ويدعى (شهباك بن شاهرخ بـرى) فلما وصل إليها، توجه إلى جنـة ارم، وكـان بصـحبته نسـيم أحـد أتباعـه المخلصين[459].

([454]) المرجع السابق: ص 223- 224.
([455]) المرجع السابق: ص 204- 206.
([456]) المرجع السابق: ص 206- 208.
([457]) المرجع السابق: ص 209- 214.
([458]) المرجع السابق: ص 214- 216.
([459]) المرجع السابق: ص 220- 222.

وأخر قصة في هذا الجزء هي اشتباك الأسكندر في قتال مع (هـيكلان) ألد أعداء الإسلام، وانتصاره عليه[460].

وقد صور المؤلف في هذه القصة بطولة الأسكندر ومهارته القتالية في المواقف المختلفة، فضلا عن التأييد الإلهي له الذي مكنه من التفوق على كل أعدائه.

الجزء السابع:

ويبدأ هذا الجزء بقصة ظهور اثنين من الملثمين في جيش الإسلام، وقد رفضا أن يكشفا عن شخصيتهما إلا في حضرة الأسكندر، الذي أمر بإدخالهما عليه، وبعد تكريمهما طلب منهما اظهار وجهيهما، فتبين أنهما من أبناء أتباعه الموالين له، فسر الأسكندر وشكر الله على ذلك، واحتفل بهما لمدة أربعة أيام[461].

ثم تذكر القصة بعد ذلك أن أعداء الأسكندر داهموا رجاله، وتمكنوا من أسر بعضهم، وكان الأسكندر حينذاك مشغولا بالصيد، فلما علم الأسكندر بذلك حزن حزنا شديدا وساق جيشه بسرعة هائلة، لانقاذ الأسرى، وقد نجح في تخليصهم، والحاق الهزيمة بالأعداء[462].

وتأتي بعد ذلك أحداث متفرقة غير مترابطة، بعضها يتعلق برجال الأسكندر، وبعضها الآخر يتصل بالأسكندر نفسه، وذهابه إلى قبر آدم صفي الله، وقد تجلت في هذه الرحلة أخلاق الأسكندر على حقيقتها، فيظهر عطفه وكرمه وحرصه على أداء حقوق الله من الصلاة والصدقة ومساعدة المحتاجين.

وقد ظهرت في هذه الأحداث شخصية أرسطو كذلك، وهو يعلق في بعض المواقف، حين قدم الأسكندر مساعدة لأحد الحكام الذين أخنى عليهم الدهر، فأصابهم الضعف بعد القوة، وانتقلوا من العزة إلى الذلة، فعلق أرسطو بقوله ببيت الشعر قائلا:

---

(460) المرجع السابق: ص 224- 226.

(461) المرجع السابق: ص 228.

(462) المرجع السابق: ص 231.

"هكذا أسلوب الحياة الحقيقي، فأحيانا تكون فوق السرج، وأحيانا يكــون السرج فوقك"[463].

ثم تأتي بعد ذلك أحداث حرب الأسكندر ضـــد طائفـــة كفـــار تـــدعي (فيلكوشان) فقد ظل يقاتلها طوال الليل حتى شروق الشـــمس، وقتـــل زعيمهـــا. وحينذاك طلب أفراد هـــذه الطائفـــة الأمـــان، ونطقـــوا بالشـــهادتين وأعلنـــوا إسلامهم[464].

ثم يذكر المؤلف قصة أخرى تبين قوة الأسكندر وغلبته، وخشية ملـــوك العالم منه، لأنه يستطيع أن يتفوق عليهم، ويطيح بهم، وتمضي القصة فتقول أن الأسكندر توجه إلى بلد اسمه (عيانية) فلما علم ملكها ويدعى محمود شاه، بخبر قدومه على رأس جيش كبير، خشى بطشه، وفكر وتدارك الأمر، ثم خرج على رأس جند كثيرين، وندماء ووزراء، وتوجهوا جميعا إلى معسكر الأسكندر.

ولما وصل الخبر إلى الأسكندر بأن محمود شاه جاء لاســـتقباله، ســـر كثيرا، وأمر بخروج العظماء لاستقباله، واصـــطحابه بـــاحترام وتكـــريم إلـــى حضرته، فلما دخل محمود شاه الحضرة وأبصر الأسكندر، خر علـــى الأرض احتراما ورهبة، فكرمه الأسكندر وأجلسه إلى جواره، فقدم محمود شاه الهـــدايا التي كان قد أحضرها معه إلى الأسكندر، ثم اصطحبه هو وقواده إلى بلده[465].

ثم يذكر المؤلف بعد ذلك قصة يبين فيها أن الأسكندر بعد أن أصبح نبيا ورسولا من قبل الله صار قريبا من ربه يناجيه فيتجيب لندائه، ويمـــده بـــالعون الإلهي فيقول أن جالنيوس أحد حكماء الأسكندر، قد فر إلى شيرزادخان حـــاكم مدينة شيردره، ولجأ إليه، شاكيا من معاملة الأسكندر له، فأرسل الأسكندر بعـــد ذلك رجلا من قبله إلى مكان قريب من مدينة شيردره ليقيم فيه معسكرا، فغضب

---

(463) المرجع السابق: ص 242.

جنين است رسم ســـراى درســـت		كهى بشت بزين وكهى زين به بشـــت

(464) المرجع السابق: ص 231.
(465) المرجع السابق: ص 245.

حاكمها شيرزادخان، واشتبك مع الأسكندر في حرب ضارية، فلما أبدى شيرزادخان مقامة عظيمة، ووجد الأسكندر أن الانتصار أمر صعب تحقيقه، ناجى ربه فاستجاب لندائه، وأمده بملائكة ملثمين في لباس أصفر اللون وأخضر اللون نزلوا إلى ميدان القتال، وعاونوه في القتال، وقتلوا شيرزاد خان، وقد وردت هذه الرواية في القصة تحت عنوان: "مناجاة الأسكندر ربه قاضي الحاجات، ومجئ ملائكة ملثمين في لباس أصفر اللون وأخضر اللون، ونزولهم إلى الميدان وقتلهم شيرزادخان وبقية القصة"[466].

وبعد مقتل شيزرادخان، تقدم الأسكندر إلى رأس جيشه، وأستولى على شيردره.

يذكر المؤلف بعد ذلك قصة سبق أن ذكرتها جميع الأعمال السابقة، فلا داعي لتكراراها وهي أن الأسكندر ذهب إلى مدينة كل سكانها من النساء[467].

ثم تبدأ بعد ذلك أحداث عجيبة تنتهي بها القصة، أولها أن الأسكندر صمم على السيطرة على الشمس كما سيطر على الأرض، وصرح بذلك لأتباعه قائلا: هيهات أن أقوم بكل هذه الفتوحات في الأرض، وأتحمل كل هذه المشقات، وأشهر السيف، وأضرب به، وأقطع رءوس المخالفين، ثم لا أحقق هدفي ألا وهو أذهب إلى قرص الشمس، وأشاهده، وأنصب منجنيقا في منطقته"[468].

لكن أتباعه نصحوه بعدم المجازفة والقيام بهذه الرحلة، لأنه ليس لديه طاقة لتحمل حرارة قرص الشمس، لأن الشمس حينما تشرق تصدر صوتا

(466) المرجع السابق: ص 261:
النص: مناجات كردن اسكندر بدر كَاه قاضي الحاجات وآمدن نقابدار زرد بوش وسبزيوش ودرميدان رفتن وشيزراد خان رازدن وباقى داستان.
(467) المرجع السابق: ص 267- 270.
(468) المرجع السابق: ص 270:
امير كبير فرمود هيهات آنقدر در روى زمين زحمت كشيدم وشمشيرها زدم وسردكردن كشان را بخاك هلاك افكندم وتمام منظورم اين بودكه بروم وكره آفتاب را مشاهده كنم ومنجنيقي در آنجا بزنم.

مرعبا يهلك أي مخلوق في الدنيا من سماعه، لكن الأسكندر رفض وصمم على الاستعداد للقيام بالرحلة.

وتمضي القصة فتذكر أنه بينما كان الأسكندر يشق طريق لغزو الشمس، أبصر في أثناء الطريق غزالا بديع الشكل جميل المنظر، له قرنان أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وظهره مرصع بالفضة، فتعلق به وأراد أن يصطاده، وأمر رجاله بعدم ذهاب أحد وراءه، لأنه وهو وحده الذي سيذهب في أثره لاصطياده، وظل الأسكندر يطارد الغزال ثلاثة أيام متتالية دون أن يلحق به ثم اختفى الغزال، وضل الأسكندر طريقه، ولم يجد بدا من العودة، لكنه لم يعرف إلى أي جهة يذهب، وفجأة رأي جماعة من بعيد، يصيحون بصوت عال قائلين: لقد كدنا نهلك عطشا لأنه كان يوجد في ذلك المكان عين ماء مالح، وكانوا يشربون منها فلا يرتوون، فبقى الأسكندر في حيرة(469).

ثم وصل الأسكندر إلى جماعة أخرى، كان جميع أفرادها عرايا، وكانوا يشعلون النار ويلقون بأنفسهم فيها، وأمامهم جماعة أخرى على أفرادها ملابسهم، وهم ينصحون أفراد الجماعة الأخرى بأن يجعلوا على أجسادهم الملابس، وأن يمتنعوا عن إلقاء أنفسهم في النار، ولكن النصيحة لا تجدى، فحاول الأسكندر أن يفهم شيئا عن سر ما يحدث، ولكن أحدا لم يلتفت إليه(470).

وواصل الأسكندر السير فرأى إمرأة عجوزا تمسك مغزلا وحولها مجموعة من الأطفال يشكون من العرى، والعجوز تهدئ من روعهم، وتقول لهم أنها تشتغل بالمعزل لتصنع لهم ثيابا يلبسونها، ولكنها بعد أن تغزل خيطا طويلا تجعله أشبه بالقوس، تلفه حول رقاب الأطفال وتخنقهم به، فسألها عن سبب قتلها هؤلاء الأطفال بدون ذنب إقترفوه، ولكنها لم تجبه، فتحير الأسكندر، وتضرع إلى الله في هذه الصحراء، حتى أرشده إلى حديقة غناء، فقطف منها بعض الفاكهة، ولما شق هذه الفاكهة، وجد باطنها أسود مليئا بالدود، فتعجب من أمرها، وترك المكان، وأخذ يناجي ربه، ويسأله أن يخلصه من ذلك المكان

---

(469) المرجع السابق: ص 270- 271.

(470) المرجع السابق: ص 271.

العجيب، فرأى فجأة شيخا هرما نورانيا قد ظهر في تلك الصحراء، وكان النور يشع من وجهه، وأخذ يتجه صوب الأسكندر، فلما وصل الأسكندر إلى هذا الشيخ، تبين أنه الخضر عليه السلام، فسلم عليه، وقال له: "يانبي الله أي مكان هذا الذي صرت فيه، رأي الأشخاص هؤلاء الذين شاهدتهم، فقال الخضر: "أيها الأسكندر هنا ولاية مشرق الأرض، التي فيها عجائب كثيرة، والعين الأولى التي أبصرتها عين الحرص وتلك الجماعة جماعة الجهال عباد الدنيا، ومهما شربوا من تلك العين لا يرتوون، وكلما كثر مالهم، إزداد حرصهم، أما العراة فهم أهل الحسرة الذين يحرقون أنفسهم في دار الحسرة، وأما هؤلاء الذين يلبسون الثياب وينصحونهم فهم أهل الصدق، وكانوا يعظونهم دون جدوى أما المرأة العجوز التي رأيتها فهي الفلك الذي يدور، والخيطان الأبيض والأسود هما الليل والنهار، والأطفال الذين يلتفون حولها، هم أهل الدنيا الذين يأتون إليها، ويكبرون ثم يهلكون، وهذه الحديقة التي رأيتها هي الدنيا، وأهل الدنيا هم الذين ظاهرهم حسن، وباطنهم سيء، فغرق الأسكندر في التفكير، وعلم أنه لابد من صرف النظر عن هذه الدنيا، بعد كل هذه الأحداث والوقائع، ثم أوصله الخضر عليه السلام إلى المعسكر، وقال له: أيها الأسكندر أنظر جيشك، ثم اختفى من أمام الأسكندر [471].

ونظر الأسكندر فرأى جيشه ومعسكره، وكان الجنود قد تفرقوا في الصحراء، يبحثون عنه، فلما أبصروه أسرعوا إليه، فجلس على عرشه، وقص ما وقع له عليهم.

والواضح هنا ان مؤلف القصة قد تأثر بما ورد في سورة الكهف عن قصة سيدنا موسى عليه السلام والخضر، فشبه الأسكندر بسيدنا موسى، ليضفي عليه شيئا من القداسة.

ثم واصل الأسكندر سيره بجيشه حتى وصل إلى جبل ضخم لا مثيل له في الضخامة، فمهما نظر الإنسان إلى الجبل لا يستطيع أن يرى قمته، فقال

([471]) المرجع السابق: ص 272.

الأسكندر: "لم يعد هناك مكان في الربع المسكون، لم أذهب إليه"[472]، وقرر أن يرسل شخصا من قبله، ليصعد ذلك الجبل، ويطلع على أبعاد، وحقيقته، فأختار رجلا من أتباعه ويدعى (مهتر نسيم بابا "للقيام بهذه المهمة وصنع له أرسطو زيتا يطلي به رجليه أثناء صعوده، حتى تبتعد الكائنات عنه، فصعد الرجل الجبل، وهم ينظرون إليه حتى أختفى، ثم اشتغلوا هم الصيد[473].

وتأتي بعد ذلك قصة صعود مهترنسيم بابا، وقد ظل مدة ستة أشهر كاملة يصعد هذا الجبل العجيب، حتى بلغ قمته، وخيل له أن قمة ذلك الجبل ملتصقة بالسماء وكلما نظر حوله، لم يشاهد شيئا غير الماء، وشاهد داخل المساء حيوانات عجيبة وغريبة، فغلبته الدهشة والحيرة، وفجأة سمع صوتا مدويا، ورأى شخصا يهبط على قمة الجبل يشبهه في الخلقة، فاختفى مهتر نسيم بابا خلف حجر، ونصب شباكا، واصطاد به ذلك القادم الجديد، وجشم فوق صدره، وقيد يديه، ثم نظر في وجهه، فوجده شخصا شبيها به، فأخذ يتحدث معه، ولكنه لم يفهم لغة مهتر نسيم بابا، ولم يفهم بابا لغته، فحمله بابا، ونزل به الجبل، وذهب إلى الأسكندر، وقص قصته إليه، فأمر الأسكندر باحضار الرجل والتحدث معه ولكن أحدا لم يستطع التفاهم معه، فسأل الأسكندر أرسطو أن يحل هذه المشكلة، فاقترح أن يزوج الرجل بإمرأة، ثم تؤخذ المعلومات اللازمة من نسله، وبعد ثماني سنوات عرف الأسكندر من ابن ذلك الرجل، أنه يسمى (مهتر نسيم عيار) وأنه حارس الأسكندر الذي يكون تارة أمامه، وتارة خلفه، وأنه يقود جيشا عدده أربعة وعشرون ألف جندي ماهر يحرس به الأسكندر، ثم ذكر أنه يوجد في الجانب الآخر للجبل عالم آخر، وأنه قد استولى على هذا العالم الآخر، ويستطيع أن يجعله تحت تصرفه، ثم قص الرجل كيفية لقائه بمهتر نسيم بابا ووقوعه في قيده.

فلما سمع الأسكندر ذلك تعجب كثيرا، وقال لأتباعه: لقد صار واضحا أنني شاهدت نصف العالم، ثم سجد ذكرا لله، وأمر الرجل مهتر نسيم عيار بالذهاب، فانصرف واختفى[474].

([472]) المرجع السابق: ص 272.

([473]) المرجع السابق: ص 273.

([474]) المرجع السابق: ص 273- 275.

ثم قرر الأسكندر ترك المكان، والسير من جديد للسيطرة على الشمس، وكانت على بعد ثلاثة منازل، فلما بلغ الأسكندر محلة الشمس، نزل بالقرب منها، وقرر أن يذهب هو وسبعة عشر نفرا من أبنائه وأحفاده حيث توجد الشمس نفسها، فساروا طوال الليل حتى لم يبق على ظهور الصبح الصادق أكثر من ساعتين، حتى وصلوا إلى مكان لا يمكن تجاوزه أو الاقتراب من الشمس أكثر من ذلك المكان، لشدة الحرارة هناك، وظل الأسكندر مصرا على السيطرة على الشمس حتى رآها ذات مرة، وهي تخرج من بئر عميقة راكبة أسدا، وتتحدث معه قائلة: "أيها الأسكندر ذو القرنين: لقد سيطرت على وجه الأرض كلها، ألم يكفك هذا، حتى تجئ إلى هنا، فماذا تريد مني؟ فقال الأسكندر: لقد أخذت الخراج من جميع أنحاء العالم حتى جئت إلى هنا والآن أريد أخذ الخراج منك، ويقول الرواى أن الشمس أعطت لأمير العالم عقدا مرصعا باللؤلؤ، حتى ينصرف عنها[475].

ثم صعد الأسكندر فوق الفلك، فأصيب من كانوا معه بالإغماء، وغابوا عن الوعي مدة، ثم رجع إليهم وعيهم، وأصيب الأسكندر بالحمي، حتى أنه لم يعد قادرا على مواصلة السير، فلازم الفراش، واجتمع رجاله حوله، فطلب سرعة حمله إلى المعسكر، ليودع جنوده قبل الرحيل من الدنيا، بعد ما أيقن أن وقت رحيله قد حان.

وقد تجمع الأطباء حوله في محاولة لعلاجه، لكن محاولاتهم باءت بالفشل، وأيقن أتباع الأسكندر أنه ميت لا محاله، فحزنوا حزنا شديدا، واضطرب أمرهم، ثم نظر الأسكندر إليهم، وقال لهم وصيته وهي: "ضعوني في تابوت، وأخرجوا احدى يدى من التابوت، وصفوا جميع الأمراء والأموال والملوك والعظماء والخزائن والأموال أمام التابوت بصورة غاية في الجمال

---

(475) المرجع السابق: ص 275:
النص: اي اسكندر ذو القرنين تمام روى زمين را گرفتى، ترا بس نبود كه در اينجا آمده اي، ازمن جه ميخواهى؟ اسكندر فرمود از تمام عالم باج گرفتم تابدين مكان رسيدم الحال از تو باج ميخواهم بگيرم، رواى گوبد كه گلوبندى باعقد مروايد آفتاب بامير دادا تا أمير اورا رهاكرد.

والزينة، لأن جثمانى يجب أن يكون في الخلف، ثم طوفوا في جميع الولايات التي تحت سيطرتي، والمكان الذي أسحب فيه يدي إلى داخل التابوت ادفنوني فيه، وبعد الدفن ينصرف الجميع"[476].

وتقدم الأمراء والعظماء والقواد، فقلبوا وجهه، ثم تبسم الأسكندر وفاضت روحه، فحزن الجميع، وشقوا ثيابهم، ثم ترحموا عليه، وقرأوا الفاتحة، ونفذ وصيته، فوضعوه في التابوت.

وواضح من هذه الرواية أن المؤلف تأثر بما أورد نظامي عن وصية الأسكندر في منظومته سكندرنامة، وأخرجها في صورة شبيهة جدا بها.

وبموت الأسكندر أسدل الستار على قصة الأسكندر عند منوجهرخان حكيم، فلنبدأ الآن تقويم هذه القصة:

([476]) المرجع السابق: ص 276:
النص: مرا در تابوتي بگذاريد ويكدست مرا از تابوت بيرون كنيد، وتمام شاهزاد كان وباد شاهان وبزر كان وخزينة ودفينه را به آراستكى هرجه تمامتر درجلو تابوت من ببريدكه جنازة من ازعقب باشد ودر تمام ولايتي كه در تصرف من هست بگرد دانيد هر كجاكه من دست خود را درتابوت كشيدم مراهمان خادفن بعد از دفن تمام مرخص هستند.

غلبت الخرافات والأساطير في هذه القصة على الحقيقة والوقائع التاريخية، فصورت الأسكندر بطلا أسطوريا يقوم بخوارق الأعمال، ويخترق حواجز الزمان والمكان، ويفعل المعجزات، فهو تارة ملك فاتح وبطل مظفر، يحقق الانتصارات تلو الانتصارات بفضل شجاعته النادرة، ومهارته القتالية الفائقة.

وتارة أخرى ساحر ماهر يفوق جميع السحرة، فيبطل سحرهم، ويخاطب الريح ويسخرها، ويكلم الجبال، ويسخر الأنس والجن لخدمته.

وأهم ما نلاحظه على هذه القصة هو سيطرة النزعة الإسلامية عليها، ويرجع هذا إلى تأثر مؤلفها منوجهْرخان حكيم بظروف العصر الذي عاش فيه، فكما سبق أن ذكرت أن منوجهر عاش في عصر الدولة الصفوية تلك الدولة التي أعلنت بقيامها قيام المذهب الشيعي في إيران، وعدت الجهاد من أجل نشر المذهب الشيعي، ومحاربة أصحاب المذهب السنى والقضاء عليهم جهادا في سبيل الله- فطبيعي أن تنعكس هذه الظروف في معالجته لشخصية الأسكندر في القصة، فصوره في معظم أجزائها نبيا مرسلا من قبل الله عز وجل لنشر الإسلام، وهداية الناس من الضلال إلى الحق، ومجاهدا في سبيل نصرة الدين الإسلامي، فصور لنا معارك كثيرة لا تحصى، خاضها ضد الكافرين من أجل نشر الدين الإسلامي وحمايته، ونجاحه في القضاء على بعضهم، وتسليم البعض الآخر واعتناقه الإسلام، وذلك بفضل مهارته الحربية الفائقة، وبالعون الإلهى له.

ومن الملاحظ أيضا أن اضطراب الأوضاع السياسية نتيجة للصراع المذهبي في العصر الصفوي في إيران قد أثر في العادات والتقاليد الاجتماعية كان من بينها انتشار السحر والشعوذة بين الناس، وقد بدأ هذا واضحا جليا في القصة، حيث غلبت عليها الحكايات التي تصور الأسكندر ساحرا ماهرا يتغلب على جميع السحرة بأعماله السحرية الباهرة.

وأخيرا ليس لنا من كلمة نقولها بعد ذلك إلا أن قصة الأسكندر عند منوجهرخان، قصة خرافية، أو أسطورة شعبية كانت خاتمة الأعمال الأدبية التي تناولتها شخصية الأسكندر في الأدب الفارسي.

الخاتمـــــة

في نهاية بحثي هذا ينبغي أن أشير إلى أهم النتائج التي توصلت إليهـا من خلال تناولي لقصة الأسكندر في الأدب الفارسي بالدراسة والتحليل والنقـد، لأهميتها بالنسبة للقارئ، وتتلخص فيما يلي:

غلب الجانب الأسطوري على أكثر أحداث القصة في الأعمال الأدبيـة التي تناولت الأسكندر نظما ونثرا، فحرصوا على تجسيم بطولتـه سـواء فـي الحرب، أو في الحكمة، أو في النبوة، دون تقيد بزمان أو مكان.

أدعى جميع مؤلفي قصة الأسكندر من شعراء أو كتـاب أن الأسـكندر المقدوني هو ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم، وأنه التقى بالخضـر ذلـك العبد الصالح الذي ذكرت قصته مع موسى عليه السلام، قبل ذكر ذي القـرنين فخلطوا بسبب ذلك صفات الأسكندر المقدوني بصفات ذي القرنين المذكورة في القرآن الكريم، ثم شطح بهم الخيال، فأضافوا إلى سيرة الأسكندر في صـورته التي رسموه فيها "أعمالا بطولية خرافية جملته بطلا من أبطال الأساطير، الـذين يحطمون حواجز الزمان والمكان، ويقدرون على فعل كل شيء بحيث أصبح لنا أن نسمى قصة الأسكندر "أسطورة الأسكندر ذي القرنين".

هناك ملاحظة أخرى جديرة بالذكر، وهي أنه على الرغم مما تمتعت به شخصية الأسكندر من اهتمام واحترام وتبجيل من بعد الفتح الإسلامي لإيـران حتى القرن العاشر الهجري، إلا أن هذه النظرة قد تغيرت في العصر الحـديث فأصبح الإيرانيون الآن ينظرون إلى الأسكندر المقدوني نظرتهم إليه قبل الإسلام وهي أن الأسكندر كان مستعمرا ظالما باغيا، ويؤيد هذا رأي السيد محمد جعفر محجوب، الذي صرح به في مجلة سخن عند حديثه عن ترجمته لكتاب فرنسـي إلى الفارسية تحت عنوان (زندگی افسانه أسكندر كبير) أي أطـورة الأسـكندر الكبير، اذ يقول ما ترجمته "نحن الإيرانيون لا نحب الأسكندر، ولا نسميه مطلقا الكبير، بل كنا نسميه في العصور القريبة من عصره بالملعون والمطرود وقـد

أوردت كلمة الكبير بعد اسم الأسكندر في عنوان الكتاب من أجل الالتزام بدقة الترجمة عن المتن الأصلي"[477].

([477]) مجلة سخن: دوره بيست وششم، شماره دهم 1357، ص 1034.*
النص: ما ايرانيان اسكندر را دوست نداريم، ونه تنها هركز وى را كبير نخوانده ايم، بلكه در روز كار نزديك به دوران وى اورا "كجستك" ومطرود وملعون ناميديم، لغت كبيرى كه به دنبال نام أسكندر آمده براى حفظ وفادارى نسبت به متن بوده است.

ثبت المراجع

أولاً: المراجع الفارسية:

ابو ريحان بيروني: (ابو ريحان محمد بن أحمد بن بيروني خوارزمي).

1- ترجمة آثار الباقية أبو ريحان بيروني، جاب تهران 1321 هـ.ش.

2- اسكندرنامه:

مجهول المؤلف، تصحيح ايرج افشار، جاب تهران 1343 هـ.ش.

بديع الزمان بشروبه خراساني:

3- سخن وسخنوران، جلد أول، جاب دوم 1318 هـ.ش.

براون باك:

4- إيران نامه ياكار نامه إيرانيان در عصرا شكانيان، جلد دوم، وسوم، تهران 1321 هـ.ش.

بناكتى:

5- تاريخ بناكتي: كمبوشش جعفر شعار، تهران 1348 هـ.ش.

بهار: (محمد تقى بهار ملك الشعراء)

6- سبك شناسى، جلد دوم، تهران 1321 هـ.ش.

بيكولوسكايا رد يكران:

7- تاريخ إيران ازدوران باستان تاپايان سده "هجرهم ميلادي، ترجمة" كشا ورز، تهران 1354 هـ.ش.

تئود ورنو لدكه:

8- حماسه ملى ايران: ترجمة بزرك دلوسي، تهران 1327.

حسن بيرينا:

9- اسكندر" تهران 1344.

حسن بيرينا وعباس اقبال:

10- تاريخ إيران ازآغازتا انقراض قاجاريه: بكوشش محمد دبيرسياقي، جاب تهران.

خواندمير:

11- حبيب السير في معرفة أخبار البشر: جلد أول، جاب دوم، تهران 1353 هـ.ش.

ذبيح الله صفا (دكتر)

12- حماسه سرائى درايران، جاب تهران.

13- كنج سخن: جلد أول، جاب دوم 1339 هـ.ش.

زين العابدين مترجم الملك:

14- آئينه اسكندري: جلد أول، 1326 هـ.ش.

فردوسي:

15- شاهنامه: جلد سوم وجهارم، تصحيح محمد رمضاني، تهران 1312 هـ.ش.

محمد على تربيست:

16- دانشندان آذربيجان: تهران 1314 هـ.ش.

منوجهرخان حكيم:

17- اسكندرنامه: جاب تهران.

نظامي كَنجوى:

18- اقبالنامه: تصحيح وحيد دستكردى، تهران 1321 هـ.ش.

19- شرفنامه: تصحيح وحيد دستكردى، تهران 1319 هـ.ش.

20- مخزن الأسرار: تصحيح وحيد دستكردي، تهران 1312 هـ.ش.

ثانيًا: المراجع العربية:

ابراهيم رزقانه وآخرون:

21- حضارة مصر والشرق القديمة، طبع مصر.

ابن جرر الطبري: (أبو جعفر بن جرير بن يزيد الطبري)

22- تاريخ الطبري: الجزء الثاني، طبع مصر.

البنداري:

23- الشاهنامه: ترجمها إلى العربية الدكتور عبد الوهاب عزام، الطبعة الأولى، القاهرة 1350هـ- 1932م.

زهراى خانلرى كيا دكتورة وبرويز ناكر خانلرى دكتور

24- من روائع القص في الأدب الفارسي: تعريب الدكتور أمين عبد المجيد بدوي، طبع القاهرة.

سيد الناصري: (دكتور)

25- الأغريق (تاريخهم وحضارتهم): الطبعة الثانية، القاهرة 1977م.

الشهابي:

26- حاشية الشهابى على تفسير البيضاوي: الجزء الثالث والرابع، طبع مصر.

الشهرستاني:

27- الملل والنحل: الجزء العاشر، القاهرة 1923م.

طه ندا: (دكتور)

28- دراسات في الشاهنامه، طبع الأسكندرية.

عبد النعيم حسنين: (دكتور)

29- نظامي الكَنجوى (عصر وبيئة وشعره): طبع القاهرة 1954م.

الفخر الرازى:

30- تفسير الرازي: الجزء الخامس، طبع مصر 1308هـ.

القرطبي:

31- الجامع لأحكام القرآن: الجزء الحادي عشر، طبع القاهرة، 1360هـ- 1941م.

البنهاني:

32- تفسير البنهانى: طبع القاهرة 1338هـ.

النسفي:

33- تفسير النسفى: المجلد الثاني، طبع القاهرة 1339هـ.

هـ. آيدرس بل:

34- مصر من الأسكندر الأكبر حتى الفتح العربي: نقله إلى العربية الدكتور أحمد على، طبع القاهرة، 1968م.

و. وتارن:

35- الأسكندر الأكبر: ترجمة زكي على ومراجعته الدكتور محمد سليم سالم، طبع القاهرة 1963.

ثالثًا: المراجع الأوروبية:

BURY, S.A COOK, TE. ADOCK:

36- The Cambridge of Anoient Mistory, Vol VI, Cambridge, 1927.

37- Mistory of Greeoe: London 1900.

38- Johss Pentaland Mahaffy: The Story of Nations, London.

رابعًا: المراجع التركية:

بروسه لي محمد طاهر:

39- عثمانلي مؤلفري، الجزء الثاني، استانبول سنة 1333.

خامسًا: المطبوعات:

أ- المطبوعات الفارسية:

40- سخن (مجله أدبيات ودانش وهنر)، دوره بيست وجهارم 1354 هـ.ش ودوره بيست وششم 1357 هـ.ش.

ب- المطبوعات العربية:

41- حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس، العدد الثاني عشر 1969م، مقالة تحت قصة الأسكندر ذي القرنين كما صورها الآدب الفارسي الإسلامي، بقلم الأستاذ الدكتور عبد النعيم حسنين.

42- مجلة المجلة، العدد السابع والأربعون، نوفمبر 1960م، مقالة تحت عنوان أسطورة الأسكندر ذي القرنين، بقلم الأستاذ الدكتور عبد النعيم حسنين.

سادسًا: المخطوطات الفارسية:

أمير خسرودهلوى:

43- آئينه سكندري: مخطوطة موجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم (55 ادب فارسي طلعت).

عبد الرحمن جامسي:

44- خردنامه اسكندري: مخطوطة موجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم (21- تصوف فارسي).

45- فتوحات اسكندرمشهور بذو القرنين، مخطوطه موجودة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم (721 فارسي).

سابعًا: المعاجم الفارسية:

برهان قاطع: (محمد حسين بن خلف تبريزيٌ متخلص ببرهان قاطع).

46- فرهنك برهان قاطع، جاب تهران 1330 هـ.ش.

دهخدا:

47- لغت نامه، تهران، 1331 هـــ.ش.

زهراى خانلرى كيا: (دكتر)

48- فرهنگ أدبيات فارسي، تهران 1348 هـــ.ش.

ثامنًا: دوائر المعارف العربية:

البستاني:

49- دائرة المعارف، الجزء الأول، طبع بيروت 1876م.

الفهـــــــــــرس

المقدمة:	5
الباب الأول **الأسكندر المقدوني**	
أولا: الصراع بين الفرس والاغريق.	8
ثانيا: الأسكندر المقدوني وفتوجاته.	13
أ- الأسكندر المقدوني.	13
ب- فتوحاتــــــــه.	13
ثالثا: شخصية ذي القرنيــن.	21
الباب الثاني **قصة الأسكندر عند الفردوسي**	
تقديم:	28
أ- الفردوسي.	28
ب- الشاهنامه.	28
ج- قصة الأسكندر- كما صورها الفردوسي وطلب فيلقوس الصلح.	31
حروب داراب مع فيلقوس وطلب فيلقوس الصلح.	32
زواج داراب من ابنة فيلقوس وانجابه الأسكندر.	33

تولى الأسكندر عرش بلاد اليونان.	34
ذهاب الأسكندر إلى مصر.	35
ذهاب الأسكندر إلى إيران.	35
مقتل دارا الثالث.	40
جلوس الأسكندر على عرش إيران.	44
زواج الأسكندر من روشنك.	45
ذهاب الأسكندر إلى الهند.	47
زيارة الأسكندر إلى الكعبة.	51
عودة الأسكندر إلى مصر.	51
ذهاب الأسكندر إلى بلاد الأندلس.	51
ذهاب الأسكندر إلى مدينة برهمن.	55
ذهاب الأسكندر إلى الحبشة.	56
ذهاب الأسكندر إلى مدينة نرم بايان.	57
ذهاب الأسكندر إلى مدينة الروم.	58
ذهاب الأسكندر إلى الظلمات.	61
بناء الأسكندر سد يأجوج ومأجوج.	63
ذهاب الأسكندر إلى الصين.	64

ذهاب الأسكندر إلى بلاد السند.	68
ذهاب الأسكندر إلى اليمن.	69
عثور الأسكندر على كنز كيخسرو.	69
ذهاب الأسكندر إلى بابل ومعرفته بدنو أجله.	70
وصية الأسكندر إلى أمه.	71
وفاة الأسكندر ودفنه بالاسكندرية.	72
رثاء حكماء اليونان للأسكندر.	74
رثاء أمه وزوجته روشنك.	75
تقييم قصة الأسكندر عند الفردوسي.	79
الباب الثالث **اسكندرنامه** **القصة النثرية المؤلفة في بداية القرن السادس الهجري**	
أولا: قصة الأسكندر كما صورتها القصة النثرية اسكندرنامه.	82
ثانيًا: مقارنة بين ما ورد في الشاهنامه والقصة النثرية عن الأسكندر.	88
الباب الرابع **قصة الأسكندر عن نظامي الكَنجوى**	
الفصل الأول: أولا: نظامي الكنجوى.	94

	ثانيا: المصادر التي اعتمد عليها نظامي عند نظم منظومة اسكندرنامه.	97
	ثالثا: التعريف بمنظومة اسكندرنامه.	99
الفصل الثاني: الأسكندر الملك في منظومة شرفنامه.		103
	ذكر الأسكندر.	105
	أصل الأسكندر.	106
	جلوسه على العرش.	111
	ذهابه إلى مصر.	112
	النزاع بين الأسكندر ودارا.	115
	جلوس الأسكندر على عرش إيران.	127
	زيارة الأسكندر للكعبة.	133
	ذهاب الأسكندر إلى مملكة بردع.	134
	ذهاب الأسكندر إلى جبل البرز.	137
	ذهاب الأسكندر إلى قلعتي دربند وسرير.	138
	ذهاب الأسكندر غار كيخسرو.	139
	ذهاب الأسكندر إلى إقليم خراسان.	140
	ذهاب الأسكندر إلى الهند.	142

	ذهاب الأسكندر إلى الصين.	144
	ذهاب الأسكندر إلى القيجاق.	148
	ذهاب الأسكندر إلى بلاد الروس.	149
	أسطورة ماء الحياة.	151
	عودة الأسكندر إلى بلاد الروم.	154
الفصل الثالث: الأسكندر الحكيم في منظومة اقبالنامه.		157
	بداية الحكاية.	157
	لما سمى الأسكندر بذى القرنين؟	159
	الأساطير.	163
	انكار الحكماء السبعين لحكمة الفيلسوف هرمس.	166
	إساءة أرسطو إلى أفلاطون.	167
	الخاتم والراعي.	168
	أحوال الأسكندر مع أرسطو.	169
	حديث الحكيم الهندي مع الأسكندر.	171
	خلوة الأسكندر بالحكماء السبعة.	174
الفصل الرابع: الأسكندر النبي في منظومة اقبالنامه.		179
	طواف الأسكندر النبي للعالم.	182

	توجه الأسكندر صوب الغرب:	183
	ذهابه إلى مصر.	183
	ذهابه إلى بيت المقدس.	173
	ذهابه إلى بلاد الأندلس.	185
	ذهابه إلى مغرب الشمس.	185
	بحثه عن منابع نهر النيل.	187
	ذهابه إلى حديقة ارم.	188
	ذهابه إلى جماعة المتوحشين.	190
	توجه الأسكندر صوب الجنوب:	191
	توجه الأسكندر صوب الشرق:	194
	ذهابه إلى الهند ثم إلى مدينة لنكربهشت.	194
	ذهابه إلى الصين.	195
	توجه الأسكندر صوب الشمال.	197
	بناؤه سد يأجوج.	198
	ذهابه إلى المدينة الفاضلة.	200
	عودة الأسكندر إلى بلاد اليونان.	202
	وصية الأسكندر.	203

	تقويم منظومة اسكندرنامه.	207

الباب الخامس

قصة الأسكندر بعد نظامي

الفصل الأول: مقلد ونظامي.	215
أولا: قصة الأسكندر عند أمير خسرودهلوى.	216
ثانيا: قصة الأسكندر عند عبد الرحمن الجامى.	222
الفصل الثاني: قصة الأسكندر عند منوجهرخان حكيم.	229
الأسكندر كما صورته قصة (اسكندرنامه)	230
تقويم قصة الأسكندر عند منوجهرخان حكيم:	249
الخاتمة.	251
ثبت المراجع.	253

قصة الإسكندر المقدوني في الأدب الفارسي



إن حب القصص صفة مشتركة بين الشعوب، فالناس جميعا يحبون ترديد القصص وروايتها، وبخاصة إذا كانت هذه القصص تتعلق بالبطولة، كقصة الاسكندر التي هي موضوع بحثنا، فقد حظيت هذه القصة باهتمام الآداب العالمية المختلفة، لبطولة الاسكندر الحربية الفائقة، فقد بدأ غزوه للعالم، وهو في ريعان الشباب، لم يتجاوز العشرين من عمره، واستطاع في مدة اثنى عشر عاما أن يسيطر على بلاد كثيرة في أنحاء العالم المختلفة.

وقد عرف الفرس بحبهم للقصص إلى درجة الولع، كما قال ابن النديم في كتابه الفهرست، وقد دفعهم هذا الحب إلى إعادة رواية أحداث القصة الواحدة مرات ومرات في مختلف العصور، دون أن تفقد القصة جاذبيتها ودون أن يفتر اهتمام الناس بها.

وقصة الاسكندر من القصص التي حظيت باهتمام الفرس على مختلف العصور، وبخاصة بعد أن صالح الفرس الاسكندر، وحاولوا أن يثبتوا أنه إيراني الأصل، وأنه ذو القرنين الذي ذكر في القرآن الكريم في سورة الكهف كما س[illegible] - ولذلك احتفظت القصة بأهميتها وجاذبيتها، ووجدت الاهتمام بها [illegible] العصور الإسلامية المتعاقبة.

وواضح مما سبق ذكره أن بحثي هذا سيشمل دراسة الأعمال [illegible] قصة الاسكندر في الأدب الفارسي بعد الإسلام



I.S.B.N. 978_977_276_721_2



المكتب العربي للمعارف